جـــون روبـــرت

المقـــاومـــــة
بديلاً عن الحرب
حرب العصابات

إيهاب كمال

الحريـــــة
للنشر والتوزيع
3 ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
0123877921 - 5745679

المقاومة
بديلاً عن الحرب
حرب العصابات

اسم الكتاب	المقاومة بديلاً عن الحرب
تأليف	إيهاب كمال
الناشر	الحرية للنشر والتوزيع
	٣ ميدان عرابى وسط البلد - القاهرة
	ت: ٢٦١٥٦٤٦ - ٥٧٤٥٦٧٩
	م: ١٢٢٣٨٧٧٩٢١.
رقم الإيداع	٤٥٨٥ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولى	913 - 21- 12 - 15 - 2

مقدمة

مشروعية المقاومة

الدفاع عن النفس هو المبدأ الأول والأساسى فى شرعية المقاومة المسلحة فكل الشعوب دائماً فى دعوة للدفاع عن وجودها ومقاومة العدوان والإحتلال الأجنبيين وهو ملمح بارز من ملامح الدفاع عن النفس طلباً للحرية والإستقلال.

والحق فى تقرير المصير هو المبدأ الثانى فى شرعية المقاومة المسلحة ذلك لأنه حق غير قابل للتصرف ولايجوز لأية دولة مستبدة أن تتعلل بأيه وسيلة لتعطيله أو عرقلته وقمع الجهود لنصرته.

والغريب فى الأمر أن القانون الدولى والذى تتشدق به أمريكا وأعوانها وتستخدمه «كمسمار جحا» فى كل جريمة ترتكبها ضد الشعوب المقهورة يُعدّ ه المصدر الرئيسى فى دعم مفهوم المقاومة المسلحة وهو يميز بين الإرهاب والذى هو «استخدام غير شرعى للقوة أو العنف بقصد الحصول على أهداف سياسية» والمقاومة السلحة والتى هى «أداة لممارسة الحق فى تقرير المصير أو فى التحرر من قوة إحتلال لا تراعى القانون الإنسانى الدولى»

ويجدر التنويه بإتفاقيات وقرارات دولية عديدة كان لها الدور فى «تأصيل» المشروعية الدولية للمقاومة المسلحة ومن أهمها وأبرزها.

١ ـ إتفاقيات لاهاى لعام ١٨٩٩ وعام ١٩٠٧ والتى تتعلق بقانون الإحتلال الحربى.

٢ ـ إتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ وبخاصة الإتفاقية الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين فى زمن الحرب والإحتلال الحربى وحماية الحقوق والحريات وتحريم اللجوء إلى القوة والتهديد.

٣ ـ ميثاق الأمم المتحدة الذى حرم الحرب وحرم استخدام القوة بل حرم مجرد التهديد باستخدامها ولم يسمح بالحرب إلا فى حالة الدفاع المشروع عن النفس.

٤ ـ الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨ والإتفاقية الخاصة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاتفاقية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية للإنسان.

وبعد...

فمما تقدم يتضح لنا أن مقاومة شعوبنا فى فلسطين وجنوب لبنان والعراق ليست عملاً إرهابياً «حتى من منظور القانون الدولى» بل هى عمل مشروع يستمد مشروعيته أولاً من ديننا الحنيف. ثم من مبدأ الدفاع عن النفس والأرض والعِرض. وأمام قوة غاشمة وباطشة مثل أمريكا. وأمام الأنياب النووية والمخالب الكيماوية لأمريكا واسرائيل علاوة على كل هذا الكم من المؤامرات النتنة على عالمنا الإسلامى ـ لا يبقى لنا سوى «المقاومة بديلاً عن الحرب.. المقاومة طريقاً للنصر»

حركة حماس

«وجع فى قلب إسرائيل»

نموذج المقاومة المضىء

الانتفاضة وانطلاقة «حماس»

المبحث الأول

الانتفـــاضـــة

أسباب الانتفاضة:

لقد كُتب الكثير في هذا الموضوع، وتكاد تتفق جميع المصادر على الخطوط العريضة للأسباب التى أدت إلى الانفجار، وما يهمنا هنا هو ما يتصل بموضوع البحث ويمهد له، ويوضح الصورة العامة، مما يربط بين التفاصيل فى لوحة واحدة شاملة ومترابطة.

إن عملية بهذا الشمول والاستمرار، يشارك فيها الشعب كله بمختلف الأعمار والفئات والشرائح الاجتماعية والتوجهات السياسية، لا يمكن أن تكون نتيجة لأسباب بسيطة فجائية لم تكن فى الحسبان، فصحيح أن حادث المقطورة الإسرائيلية التى صدمت سيارتى أجرة على حاجز «إيرز» الفاصل بين قطاع غزة وفلسطين المحتلة، وأدت إلى استشهاد أربعة من العمال الفلسطينيين وجرح تسعة آخرين فى يوم ٨ / ١٢ / ١٩٨٧م، كانت شرارة البداية لانتفاضة عارمة وشاملة وعنيفة ستستمر عدة سنوات، لكنها بالتأكيد لم تكن لوحدها كافية، لولا أنها كانت عود الثقاب الذى أحرق أكواماً متراكمة من القهر عمرها عشرون سنة، فقد سبق هذا الحادث عدة حوادث مماثلة كان أكبرها ما حدث قبل الانتفاضة بأربع سنوات حيث صدمت شاحنة إسرائيلية حافلة عمال كبيرة، وأدت إلى مقتل ثلاثة عشر فلسطينياً وجرح آخرين ومرت تلك الحوادث قضاءً وقدراً، ولم تحدث ردود فعل ذات بال.

ولأن الانتفاضة هى انتفاضة الشعب كله، قادها بنفسه ونفذها بأيدى أبنائه ورجاله

ونسائه فى كل المخيمات والمدن والقرى، وليست من فعل أو قيادة أو تخطيط تنظيم واحد أو عدة تنظيمات - مع إقرارنا بالدور الكبير الذى قامت به جميع التنظيمات السياسية فى الأرض المحتلة - فكان لابد أن تأتى إشارة البداية من الشعب نفسه، الشعب الذى أدمته جروح الاحتلال المستمر منذ عشرين سنة، وفجعته أرواح الضحايا الذين سقطوا على نقطة تفتيش «إيرز» فانطلق الشعب كله فى انتفاضته واضعاً لأسس لجميع القوى السياسية كى تضع برامجها لاستمرار الانتفاضة وتصعيدها، معلناً استعداده الكامل لكل ما يطلب منه وأكثر، من بذل وتضحية وصمود ومواجهات مع العدو. ولقد كانت وراء الانتفاضة أسباب خارجية وأخرى محلية، استمرت تراكماتها بطول سنوات الاحتلال.

(أ) الأسباب الخارجية:

تتلخص الدوافع الخارجية بكلمة واحدة، وهى «اليأس» من كل ما يأتى من خلف الحدود، فقد كان قدر الشعب الفلسطينى تحت الاحتلال أن ينتظر الفرج يأتيه من الخارج، صحيح أن الشعب لم يظل ساكتاً منتظراً، فقد قاوم وقاتل وتظاهر وأضرب وواجه واحتج وعانى من البطش والسجون ومصادرة الأراضى وهدم البيوت وحظر التجول وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى، لكنه كان يؤمن أن الفرج الكامل والحل النهائى لا يأتى إلا مع الجيوش القادمة من خلف الحدود.. وماتت أكثر آماله بموت جمال عبد الناصر، وتعلقت الآمال والأحاسيس بأبنائه الذين يشكلون حركات المقاومة المسلحة، وينفذون الأعمال البطولية، ويرفعون رايته، ويؤكدون على هويته الوطنية فى مواجهة محاولات الطمس والإفناء.

ولكن الأزمات بدأت تعصف بحركة المقاومة، فمن مأساة الأردن عام ١٩٧٠م، إلى مآسى أخرى متكررة ومتنوعة فى لبنان، انتهت بإخراج المقاتلين وتوزيعهم على أماكن تبعد آلاف الكيلومترات عن الوطن، بالإضافة إلى ما صاحب ذلك أو تبعه من انشقاقات واقتتال فلسطينى داخلى، خلّف فى النفوس الكثير من المرارة واليأس.

كان الشعب الفلسطينى دائماً فى الأرض المحتلة وخارجها يزداد التفافاً حول أبنائه ومنظماته ومقاتليه، محملاً مسئولية هذه الانتكاسات المتلاحقة للأنظمة العربية التى انشغلت بمصالحها القطرية الضيقة، أو ارتبطت بالدوائر الأجنبية، ملاحقت الحركة الفلسطينية بالضرب والحصار والتشويه، أو الاستقطاب والاستدراج.. ومع ذلك فقد كانت النتيجة أن

الجماهير فى الداخل قد يئست أيضاً من الحل الذى يأتى عن طريق فلسطينيى الخارج.

يضاف إلى ذلك أن الجماهير لمست أن معظم الحكومات العربية تسعى فى اتجاه الصلح مع العدو، والتضحية بالفلسطينيين وقضيتهم من أجل الحفاظ على بقاء الأنظمة الحاكمة، وكان أكثر ما سبّب اليأس والإحباط، اتفاقية «كامب ديفيد» ومعاهدة الصلح بين مصر وإسرائيل، فقد ظل الفلسطينيون ينظرون إلى مصر بمثابة الأخ الأكبر والأمل بالخلاص، مقدرين لها الدور الكبير الذى قامت به لنصرتهم وما تحمّلته فى سبيل ذلك من أعباء، ومسترجعين دورها فى تحرير فلسطين من التتار ثم من الصليبيين.

ويأتى مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى عمان قبل شهر واحد بالضبط من اندلاع الانتفاضة، ليضع النقاط كلها على الحروف، فلم تعد فلسطين وشعبها هى القضية الأولى للدول العربية، ولو على موائد المؤتمرات، وأصبحت الأولوية عند الحكومات العربية لمواجهة إيران وتدعيم أركان الأنظمة.

وجد الشعب الفلسطينى نفسه تحت الاحتلال أنه بين خيارين لا ثالث لهما، خيار مستحيل وآخر ممكن، أما المستحيل فهو أن ييأس ويستسلم، وأما الممكن والذى ينسجم مع طبيعته وتاريخه أن يأخذ الدور كاملاً، ونيابة عن الحكومات العربية لعلها تراجع حساباتها ونيابة عن الشعوب العربية لعلها تنتفض هى لأخرى، فتغير أوضاعها، وتسهم فى معركة الخلاص، ونيابة عن منظمة التحرير الفلسطينية المحاصرة، لعلها تفك قيودها وتستمد القوة من شعبها.

أما هيئة الأمم المتحدة ومواقف الدول العظمى فقد يئست منها الجماهير قبل ذلك بكثير... يئس الشعب من الجميع وامتلأ ثقة فى نفسه، فهو صاحب الثورات المتصلة منذ سبعين عاماً، لقد نظم أكبر إضراب عرفه التاريخ عام ١٩٣٦م ضد بريطانيا العظمى، ودحر الاحتلال الصهيونى عن قطاع غزة عام ١٩٥٧م، وقبر كل مشاريع التوطين، وفجر الثورات والانتفاضات طيلة العشرين سنة الماضية من الاحتلال، ومع كل هذا فقد كان يرى فى بطولات المقاومة الإسلامية اللبنانية والعمليات الاستشهادية والتى أخرجت الأمريكان والإسرائيليين من لبنان، مثلاً مضيئاً يأتيه من الخارج.

(ب) الأسباب الداخلية:

كانت العشرون سنة تحت الاحتلال سبباً كافياً لاندلاع الانتفاضة، فقد لعب الاحتلال ـ رغماً عنه ـ دوراً مهماً فى التحضير للانتفاضة، وذلك بسياسة القمع والإذلال والإبعاد والتهجير ومصادرة الأراضى، والاستيطان الذى يسحب الأرض من تحت أقدام أصحابها، بالإضافة إلى محاربة التعليم والاقتصاد الوطنى، وفرض الضرائب الخيالية وتقييد حرية الانتقال والسفر، ومحاربة القيم والعمل على نشر الفساد.. وثقلت وطأة الاحتلال فى الفترة الأخيرة حتى أصبح ـ كما يقول الشيخ خليل القوقا: «جاثماً كله على كل فرد من الشعب على حده»[1].

وكانت الحركة الوطنية قد اكتسبت خبرة طويلة فى التعامل مع الاحتلال والتعرف على نقاط ضعفه، وازدادت أعداد الشباب المثقف، وانتشرت المؤسسات الوطنية، بشقيها العلمانى والإسلامى، مما سبب رقياً فى تنظيم الجماهير، وأسهم فى إبراز قيادات شعبية لها كلمتها المسموعة، كما كان لعملية تبادل الأسرى التى نفذتها «الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة» عام ١٩٨٥م أثراً مهماً حيث أطلق سراح ألف معتقل من ذوى الأحكام العالية وذوى الخبرة التنظيمية والنضالية وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين، توزعت خبراتهم على جميع مناطق الأرض المحتلة.

وكان حضور الغائب أو المغيب، أى الحركة الإسلامية، وبروزها الفاعل فى السنوات العشر التى سبقت الانتفاضة سبباً قوياً فى إضافة البعد الأكثر أهمية للصراع مع الاحتلال، وأصبح الإسلام يحرك القطاعات الكبيرة من الجماهير، ودخلت جماعة «الإخوان المسلمين» الساحة السياسية بكل قوة، بما تملكه من تاريخ، وما تستند إليه من مفردات تجمع الناس عليها، وما تعتمد عليه من أنصار يتواجدون فى كل مكان من الأرض المحتلة، بالإضافة إلى امتداداتها الكثيرة والمتعددة من الإخوان المسلمين الفلسطينيين والعرب وأنصارهم فى كل مكان فى هذا العالم، وكانت الانتفاضات وثورات المساجد والمواجهات فى المدن والجامعات والمخيمات بمثابة تدريب للشعب وللتنظيمات السياسية جميعها، أعطتهم الخبرة والثقة.

---

(١) خليل القوقا، مقابلة شخصية، الكويت: ١١ / ٨/ ١٩٨٨.

والشعب الفلسطيني الذي حرم طويلاً – ولايزال – من السلاح والتدريب، وكان عليه دائماً أن يقدم الشهداء والضحايا، يعطى أهمية بالغة واحتراماً أبلغ للعمليات العسكرية البطولية التي تترك فيه أبلغ الأثر. لذلك تعلقت عواطفه بأبنائه في قطاع غزة والضفة الغربية الذين يضربون أروع الأمثلة في القتال والاستشهاد تحت الراية الإسلامية، فقد كانت عمليات «عملية البراق» في ١٥/ ١٠/ ١٩٨٦ م حيث هاجم الشباب المسلم مئات الجنود الصهاينة الذين كانوا يحتفلون بتخرجهم عند «حائط المبكى» في القدس الشريف وأصابوا العشرات منهم، كما نفذ أبطال «حركة الجهاد» في مايو ١٩٨٧ م أجرأ عملية خروج من السجن في تاريخ الاحتلال، حيث استطاع ستة منهم أن يحرروا أنفسهم من أكثر السجون تحصيناً «سجن غزة المركزي»، ولم يحاول هؤلاء مغادرة الأرض المحتلة بحثاً عن السلامة، إنما اتخذوا قطاع غزة قاعدة لهم يضربون قوات الاحتلال ويشتبكون معها إلى أن سقط أربعة شهداء منهم في «معركة الشجاعية» الشهيرة، وكان أحدهم مصباح الصوري الذي يحفظ كتاب الله، فالتهبت الأرض المحتلة وصدرت البيانات الملتهبة ونفذت الإضرابات، مما جعل جميع مصادر وأدبيات حركة الجهاد الإسلامي تؤرخ للانتفاضة من تاريخ ٦/ ١٠/ ١٩٨٧ م، يوم استشهاد المجاهدين الأربعة في الشجاعية، وقبل الموعد المعروف والمتفق عليه للانتفاضة بشهرين.

وهكذا كانت أسباب الانتفاضة وأدواتها وإمكانياتها وروحها المتحفزة جاهزة تنتظر فقط إشارة البداية، لتأتي حادثة المقطورة ويحدث الانفجار.

الانفجار

وقعت الحادثة على مرأى ومسمع من آلاف العمال الذين ينتظرون دورهم في التفتيش كما يحدث لهم كل يوم، هؤلاء العمال عادة يعودون إلى بيوتهم في كل مدينة وقرية ومخيم في قطاع غزة، وفي هذا المساء ٨/ ١٢/ ١٩٨٧ م الذي يخبئ فجراً جديداً، حمل العمال إلى أهلهم أخبار الحادث «المتعمد» فليس معروفاً كيف شاع بين الناس أن سائق المقطورة اليهودي افتعل الحادث بصورة متعمدة انتقاماً لليهودي الذي طعن بالأمس في «غزة»، لم يكن أحد في قطاع غزة مستعداً للتحقق من كون الحادث مدبراً أو جاء قضاءً وقدراً، فالكل كان ينتظر هذه الشرارة التي تفجر في نفسه مخزون الغضب.

ونام القطاع كله والغليان يسرى فى كل أوصاله، إلا مخيم «جباليا» للاجئين الذى لم ينم تلك الليلة، كما أنه خطف النوم من عيون جنود الاحتلال الذين يتمركزون فيه، شيع المخيم شهداءه فى مسيرات حاشدة ملتهبة خرج إليها الناس جميعاً، «كان الإخوان المسلمون قبل ذلك بسنوات خمس قد أعطوا تعليماتهم لجميع أعضائهم بالمشاركة فى أى فعالية ضد الاحتلال، أما فى عام ١٩٨٥ م فقد قرر مجلس الشورى أن يبادر الإخوان فى مناطقهم فى صنع المظاهرات والمواجهات مع الاحتلال، علاوة على مشاركتهم لأية مواجهة يبادر بها أى فصيل وطنى آخر»(١).

وانطلقت جماهير جباليا فى مسيرتها وفى مقدمتهم شباب المساجد، الذين سقط أحدهم شهيداً، لينضم «حاتم السيسى»(٢) ابن الحركة الإسلامية إلى الشهداء الأربعة على أثر مواجهة دامية مع جنود الاحتلال بالحجارة والزجاجات الحارقة، وفى صباح اليوم الثانى ٩/ ١٢/ ١٩٨٧ م تشرق على مدينة غزة شمس جديدة، ويتدافع طلاب الجامعة الإسلامية بناء على نداء من مجلس الطلبة، الذى علق الدراسة، يتوجهون إلى مستشفى «الشفاء» بغزة للتبرع بالدماء لإسعاف عشرات الجرحى والمصابين، ولما كان المستشفى محاصراً من قوات الاحتلال، فقد اندلعت الاشتباكات والمواجهات بين الطرفين لتسقط أعدادا جديدة من الجرحى، ويسقط شهيد غزة الأول، الطالب، «رائد شحادة» أحد النشيطين العاملين من الشباب المعروفين بانتمائهم إلى الإخوان المسلمين»(٣).

عاد طلاب الجامعة الإسلامية ـ بعد إغلاقها فى اليوم الأول ـ إلى مدنهم وقراهم ومخيماتهم فى جميع أنحاء القطاع ليقودوا التظاهرات والمواجهات فى كل مكان، وليجمعوا مع إخوانهم من الشباب من المساجد إذاعات شعبية تبث الأناشيد الحماسية، والنداءات إلى الناس وهتافات «الله أكبر» التى لا تنقطع، ولتصبح المساجد قواعد انطلاق للشباب يصممون فيها الشعارات واللافتات، وتعم الانتفاضة كل مناطق القطاع، وتصل بعد أيام قليلة إلى مدينة نابلس ومخيمات «بلاطة» و«الدهيشة» ثم كل الضفة الغربية(٤).

(١) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.

(٢) أعلنت الجبهة الديمقراطية عدة مرات أن الشهيد حاتم السيسى من عناصرها.

(٣) زئيف شيف واهود يعارى (انتفاضة: الانتفاضة الفلسطينية ـ الجبهة الإسرائيلية الثالثة) ـ ترجمة دافيد سجيف، القدس: دار شوكن، ١٩٩٠ م، ص ١٢٢.

(٤) غسان حمدان (الانتفاضة المباركة وقائع وأبعاد) الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٨ م (أحداث الأسبوع الأول، ص ص ٣٦ ـ ٥٥.

وقد أصدرت حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين بيانها الأول فى الانتفاضة بتاريخ ١١/ ١٢/ ١٩٨٧ م، ودعت إلى إضراب شامل فى اليوم الثانى[١]، كما وزع الإخوان المسلمون بيانهم الأول فى الانتفاضة فى جميع مساجد قطاع غزة فى يوم ١٤/ ١٢/ ١٩٨٧ م بتوقيع «حركة المقاومة الإسلامية»[٢]، كما قاموا بتوزيع بيانهم الثانى فى قطاع غزة والضفة الغربية فى الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر نفسه[٣].

وبدأت الأنباء تنقل عن الانتفاضة طابعها الإسلامى، فرئيس دولة «إسرائيل» حاييم هرتزوغ صرح فى ١٤/ ١٢/ ١٩٨٧ م: «أن الانتفاضة مجرد حركة تقودها عناصر دينية متزمتة بتأييد من الخارج»[٤] وبدأ مراسلوا وكالات الأنباء والصحافة الغربية يرسلون بتقاريرهم عن هذا الزلزال المفاجئ، فقد أفادت وكالة الأسوشيتدبرس للأنباء فى ١٧/ ١٢/ ٨٧ «أن الحمى الإسلامية المتصاعدة فى قطاع غزة هى التى أوقدت الاشتباكات فى كانون أول (ديسمبر)، وأن الموجة الأصولية تستفحل كالفطر على الأشجار، وتجعل الشباب العربى وبشكل متزايد أقل خوفاً من مواجهة رصاص الإسرائيليين»[٥]، أما وكالة الأنباء الفرنسية فى تقرير لها بتاريخ ٢٤/ ١٢/ ١٩٨٧ م فقد أكدت أن «الأصوليين المسلمين، ورثة حركة الإخوان المسلمين المصرية، الأكثر عدداً والأكثر نشاطاً فى قطاع غزة، هم وراء الانتفاضة، وهم وقودها الحقيقى»[٦]، أما «التايمز» البريطانية فتقول: «إن الإسلام بدأ يحل بسرعة محل الوطنية كقوة موحدة يعتقد الفلسطينيون أنها قد تساهم فى التحرك نحو النصر»[٧].

ويقول «جون لافين» الخبير بشئون الشرق الأوسط والمؤرخ العسكرى المعروف: «إننى أعتقد أن الانتفاضة كانت تلقائية تماماً، مهما كان السبب المعجل لحدوثها... ثم أصبحت

---

(١) (كسيرة الجهاد الإسلامى فى فلسطين)، من منشورات حركة الجهاد الإسلامى ـ فلسطين، بيروت: بيت المقدس للصحافة والنشر، ١٩٨٩ م، ص ٣٢.

(٢) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية ـ حماس) الجزء الأول ـ إصدار المكتب الإعلامى، ص ١٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٩.

(٤) (فجر الإسلام فى فلسطين)، الانتفاضة، بيروت: ١٩٨٨ م، ص ص ٧٩ ـ ٨٠.

(٥) المرجع السابق، ص ٨٠.

(٦) خالد عز الدين، (الانتفاضة الفلسطينية فى الصحافة العبرية)، شيكاغو: المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث، ١٩٩١ م، ص ٤٨.

(٧) جريدة (الوطن) الكويتية، عدد ٤٩١٨، ١٩/ ١٢/ ١٩٨٧ م.

ذات طابع دينى بعد فترة قصيرة جداً، حسب ما شاهدت بنفسى وأخبرتنى بذلك مصادر أخرى من الضفة الغربية وغزة.. وقد كان لحركة «حماس» الحركة الأصولية المحلية يد فى ذلك فأصبحت الانتفاضة جزءاً من حرب مقدسة ضد إسرائيل»(١).

وفى الأسبوع الخامس من الانتفاضة ظهر المنشور الأول باسم «القيادة الوطنية الموحدة»(٢)، ومع بداية الشهر الثانى للانتفاضة، كانت الأحداث والمواجهات قد عمت الأرض المحتلة جميعها وانخرطت فى نشاطاتها جميع التنظيمات السياسية.

التسابق فى تبنى الانتفاضة:

وعلى الرغم من المساهمة الفعالة التى قام بها الجميع فى الانتفاضة، وعلى الرغم من أن ميدان التسابق الفعلى كان يجب أن يكون فى مواجهة اليهود، إلا أن كل طرف أراد أن ينسب الانتفاضة لنفسه، ويشيع عن تأخر الأطراف الأخرى عن الانتفاضة... وتمادت جميع الأطراف فى عدم موضوعيتها وخصوصا عند تناول مشاركة الأطراف الأخرى ودورها وفعاليتها.

(أ) حركة حماس:

تؤكد حركة المقاومة الإسلامية ـ حماس ـ وعلى لسان قادتها وفى أدبياتها أنها هى التى أشعلت الانتفاضة وقادتها من لحظاتها الأولى، بل إنها حددت ساعة الصفر فى بعض التصريحات، يقول الشيخ أحمد ياسين فى أحد اللقاءات الصحفية بعد مرور أربعة أشهر على الانتفاضة: «إن العنصر الفعال فى الانتفاضة والأساس هو العنصر الإسلامى مع مشاركة التوجهات الأخرى فيها بشكل أو بآخر»، ويستدل على ذلك بتصريحات القيادات اليهودية والهتافات والشعارات ودور المسجد، وكذلك بهوية الشهداء والجرحى والمعتقلين حيث تؤكد غالبيتها الساحقة على انتمائهم الإسلامى(٣).

وفى مقابلة أخرى يقول الشيخ ياسين عن القوى المحركة للانتفاضة فى القطاع، بأن «الكل موجود لكن التيار الإسلامى فى الأول، ويؤكد أنه هو الذى بدأ الانتفاضة، ثم دخلت

---

(١) خالد عز الدين، ص ٤٨.

(٢) قيل أن البيان الأول للقيادة الموحدة صدر فى ٨/ ١/ ١٩٨٨ م، وقيل فى ١٠/ ١/ ١٩٨٨ م.

(٣) أحمد بن يوسف (أحمد ياسين الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدى)، دبى دار الأمة للنشر والتوزيع ١٩٩٠ م، ص ص ٩٣ ـ ٩٤، نقلاً عن مجلة «إلى فلسطين» العدد (٣٠)، ٢٥/ ٣/ ١٩٨٨ م.

بعد ذلك الجهات الوطنية»[1]. ويؤكد مصدر آخر من مصادر الحركة الإسلامية «أنه لم يكن للقيادة الموحدة أى دور فاعل فى إشعال الانتفاضة، وأن أول بيان لها صدر بعد أسبوعين ونصف من البيان الأول لقيادة حماس»[2]. ويقول الشيخ خليل القوقا: «إن الانتفاضة ليست وليدة لحظة ولا شهر ولا سنة واحدة.. إنما هى وليدة تجربة عاشتها الحركة الإسلامية.. كل العوامل اجتمعت لتصنع الإنسان الجديد.. عبر حركة «حماس» التى أعلنت راية الجهاد وأخذت على عاتقها زمام التفجير منذ صباح ٨/ ١٢/ ١٩٨٧ م»[3].

وفى كتاب صدر فى الخارج عن أحد الإخوان الفلسطينيين لعله جاء متسرعاً وعاطفياً يقول: «لقد اعتبرت الحركة الإسلامية هذا الحادث (المقطورة) ساعة الصفر المنتظرة لتنفيذ قرارها المتخذ سابقاً باعتباره فرصة مواتية)[4] ويقول فى مكان آخر: «إن الجهة التى اتخذت قرار المبادرة وأعدت له عدته وحددت أى طرف فلسطينى آخر»، ويستطرد قائلاً: «تكاد تكون حركة «حماس» هى الحركة الوحيدة الفاعلة والقادرة على قيادة الجماهير فى قطاع غزة، وتتواجد عدة قوى أخرى إلى جانبها، غير أن حجم جماهيرها لا يكاد يذكر»[5].

أما أبرز مظاهر عدم الموضوعية فى مصادر الإخوان المسلمين، فى الداخل والخارج، فهو تجاهلها التام لحركة الجهاد الإسلامى ودورها فى الانتفاضة وما قبل إلى (الإسلاميين) أو إحدى المجموعات الإسلامية[6]، فبعد أن يشرح مصدر آخر مراحل العمل التى قام بها الإخوان المسلمون فى الأرض المحتلة، هذا العمل الذى «أسس هذا البناء المتين القواعد الشامخ الأهداف» والذى كان «هو الذى دفع الشباب المسلم لخوض عمليات جهادية بطولية كعملية «حائط البراق» وعملية «الشجاعية»[7]، يقول نفس الكاتب فى موضع آخر فى الكتاب: «هذا الاتساع (فى المد الإسلامى) دفع بمجموعات شبابية إسلامية ـ ربما لا تنتمى لتنظيمات عريقة.. لتقوم بعمليات عسكرية نوعية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً»[8].

(١) المرجع السابق، ص ١٢٢، عن مقابلة شخصية مع التليفزيون الإسرائيلى.

(٢) أحمد يوسف، (حركة المقاومة الإسلامية ــ حماس ـ خلفيات النشأة وآفاق المسير)، شياغو: المركز العالمى للبحوث والدراسات، ٩٨٩ـ م، ص ٦٠.

(٣) خليل القوقا، مجلة (الإصلاح) الاماراتية، العدد ١٢٩.

(٤) جهاد محمد جهاد، (الانتفاضة المباركة ومستقبلها)، الكويت مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٩٨٨ م ص ٤٢.

(٥) المرجع السابق، ص ١٠٢.

(٦) غسان حمدان، ص ٣٠.

(٧) جهاد محمد جهاد، ص ٢٧.

(٨) المرجع السابق، ص ٤٢.

وهكذا لدرجة أن بعض الإسلاميين أراد أن ينسب لنفسه دوراً أساسياً فى الانتفاضة بالتركيز على الدور القيادى الذى قامت به الجامعة الإسلامية فى غزة حيث يعمل فى إدارتها[١].

(ب) حركة الجهاد الإسلامى:

أما حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين فهى بدورها - وعلى حد قولها - الوحيدة التى فجرت الانتفاضة وقبل موعدها المعروف بشهرين إذ تجمع مصادر الجهاد جميعاً على أن أول أيام الانتفاضة هو يوم ٦/ ١٠/ ١٩٨٧ م يوم استشهاد المجاهدين الأربعة فى معركة «الشجاعية»، ويقول أحد هذه المصادر: «فمنذ ذلك التاريخ حتى منتصف يناير ١٩٨٨ م وبيان حركة الجهاد الإسلامى هو البيان السياسى الوحيد الذى يوجه الانتفاضة بالأرض المحتلة»[٢] وهو يتجاهل تماماً بيان حركة حماس الأول الصادر بتاريخ ١٤/ ١٢/ ١٩٨٧ م، وبعد اندلاع الانتفاضة بخمسة أيام، «فحركة المقاومة الإسلامية (حماس) اسم جديد انبثق فى النصف الثانى من شهر يناير ١٩٨٨ م أى بعد مضى ثلاثة أشهر على الانتفاضة»[٣].

أما الكتاب الصادر عن الحركة فهو يتحدث عن البيان الأول فى الانتفاضة فيقول: «إن كان على البعض أن يؤرخوا لها منذ ٨/ ١٢/ ١٩٨٧ م، فإن بيان الجهاد كتب يوم الأربعاء ٩/ ١٢/ ١٩٨٧ م، وتمت طباعته وتوزيعه بكميات هائلة يوم ١٠/ ١٢/ ١٩٨٧ م واليوم الذى يليه»[٤]، كما قامت مصادر الجهاد بنسبة شهيد الجامعة الإسلامية «رائد شحادة» إليها[٥]، مع أن حركة حماس قد نسبته أيضاً إليها.

وهناك أيضاً حركة الجهاد الإسلامى - بيت المقدس - التى تحتكر الانتفاضة لنفسها، وتتهم بقية الأطراف بالتأخر، وأنها دخلت الانتفاضة مجبرة، تقول هذه الحركة: «فعندما يكتب التاريخ بعيداً عن الأهواء.. سيكون الفضل فى إشعال فتيل الانتفاضة (ثورة المساجد) لحركة الجهاد الإسلامى»[٦] وتضيف وبعد أن شعرت حركة الجهاد الإسلامى

---

(١) تقرير خاص، الانتفاضة، حقائق وأرقام، أرشيف الحركة، ص ٢٥.

(٢) صالح عوض، (الانتفاضة الثورة: دراسة من الداخل)، تونس: دار الزيتونة للإعلام والنشر، ١٩٨٩ م، ص ٤.

(٣) المرجع السابق. (٤) مسيرة الجهاد الإسلامى فى فلسطين، ص ٢٣ (البيان، ص ص ٣٢ - ٣٦).

(٥) المرجع السابق، ص ٢٤

(٦) إبراهيم سربل، (حركة الجهاد الإسلامى)، عمان: دار النشر للنشر والتوزيع، ١٩٩٠ م، ص ٤٤.

بقبول كافة تيارات شعبنا لفكر الثورة ومؤازرته، أعطيت الإشارة إلى الإخوة فى مدن ومخيمات وقرى الضفة الغربية»[1] أما الحركات الأخرى «فبعد شهرين من الانتفاضة تقريباً شاركت معظم التنظيمات الفلسطينية رسمياً فى موجة الانتفاضة، منها لكى يلحق بركب الشعب، ومنها من كان دخوله مجبراً حتى لا يسحب البساط من تحت قدميه ويكون فى الطرف المناقض للشعب الفلسطينى المجاهد، وبدأت بياناتهم تنزل باسم القيادة الوطنية الموحدة (أى فصائل م. ت. ف) وباسم حركة المقاومة الإسلامية التابعة للإخوان المسلمين.. علماً بأن بعض هذه الجهات فى بداية الأمر كان يصر على اتهام الانتفاضة بأنها من صنع أمريكا واليهود»[2].

نخلص إلى القول أن الانتفاضة كانت من صنع الشعب الفلسطينى كله تحت الاحتلال، وأن الشعب هو صاحب الفضل الأول فى اندلاعها واستمرارها، فمن هو التنظيم الذى يمكن أن يحرك النساء والأطفال والرجال وحتى كبار السن؟! أما الشمول والاستمرار فكان لا يمكن أن يحدث دون مشاركة القوى السياسية المنظمة ومن اللحظات الأولى، وتبنيها للانتفاضة ووضع البرامج لها، بل والتنافس على إبراز حجم كل قوة مما زادها اشتعالاً واستمراراً. ولما شارك الشعب كله فى كل مناطقه فقد كان من الطبيعى ألا يتخلف أكثر الشباب المنتمين للحركات والفصائل، وأن يشاركوا فى الفعاليات قبل أن تصلهم الأوامر التنظيمية، فهم جزء من الشعب، بل ويعتبرون أنفسهم قادته وطليعته.

أما الحركات والمنظمات السياسية. فمن الواضح أنها شاركت جميعاً بجهدها وعلى قدر إمكانياتها، منها من شارك منذ اللحظات الأولى ومنها من تأخر قليلاً.. لكن الجماهير جذبت الجميع، فالمعتقلون والمصابون والشهداء فى الأيام الأولى للانتفاضة دليل واضح على مشاركة الجماهير غير المنضوية تحت أية حركة، وكذلك دليل على توقيت دخول كل حركة لساحة الانتفاضة.

لقد كانت حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين وحركة المقاومة الإسلامية ـ حماس ـ هما الحركتان اللتان شاركتا فى الانتفاضة منذ لحظاتها الأولى، كل حسب قدرته وإمكانياته وانتشاره وخبرته السياسية، وكان هذا أمر طبيعى ينسجم مع مسيرة الحركتين

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٨.

(٢) المرجع السابق.

وتصاعد الخط الجهادى لدى كل منهما، كما أن كلاً منهما يملك حرية اتخاذ القرار، ويقود تنظيمه دون الرجوع لأوامر من الخارج.

وكان طبيعياً أن تتأخر فصائل (م. ت. ف) أياماً فى محاولة لاستيعاب المفاجأة، ودراسة أبعادها وإمكانيات استمرارها، تقيدها التحركات الدبلوماسية التى عولت عليها والاتصالات الأمريكية العربية لإيجاد حل سلمى للصراع، ولكنها من جهة أخرى تجد نفسها مدفوعة باتجاه الانتفاضة تحت ضغط الوجه الإسلامى البارز للانتفاضة وضغط بعض شبابها الذين نزلوا إلى الشوارع قبل صدور التعليمات، وتحت ضغط الإعلام العالمى الذى أشار إلى عدم وجود (م. ت. ف) ولا صور زعمائها فى الانتفاضة.. وكان على القيادات المحلية أن تتشاور مع القيادات فى الخارج فأنشأت «القيادة الوطنية الموحدة» فى بداية الشهر الثانى للانتفاضة، لكنها ومع الاختلافات فى صفوفها برزت بقوة وانتظام هادفة لقيادة الانتفاضة وجعلها تسير فى المسارات التى تتفق مع السياسة العليا لـ (م. ت. ف).

المبحث الثانى

تأسيس حماس ودورها فى الانتفاضة

تأسيس «حماس»

من الطبيعى لأية حركة سياسية لها تشكيلاتها العسكرية والأمنية وفى ظل الاحتلال الذى يمتلك وسائل أمنية متطورة وعيوناً مبثوثة فى كل مكان، وبخاصة فى مرحلة الإعداد والبناء وقبل أن تدخل فى صراع شامل ومكشوف مع العدو، أن تستخدم أسماء مستعارة من أجل المحافظة على أمن وتنظيم وسرية أعمالها، وإرباك أجهزة الأمن المضادة، حتى لا تتجه أجهزة الأمن المضادة بكل قواتها للبحث عن الحركة المعنية... من هنا فقد قام الإخوان المسلمون فى فترة ما قبل الانتفاضة بتوقيع بياناتهم بأسماء مختلفة مثل «المرابطون على أرض الإسراء» و «الاتجاه الإسلامى فى فلسطين» و «حركة المقاومة الإسلامية»، بل إنهم «لم يعلنوا مطلقاً عن عمليات لهم قام بها الجهاز الأمنى من قتل بعض العملاء أو الاشتباك مع جنود الاحتلال»[1] تقول بعض المصادر أنه فى ١٦/ ١٠/ ١٩٨٦ م وزع الإخوان المسلمون فى قطاع غزة بياناً بتوقيع «المرابطون على أرض الإسراء» دعوا فيه إلى إضراب عام وليوم واحد احتجاجاً على مظاهر الإهانة والتنكيل التى تمارسها سلطات الاحتلال فى قطاع غزة[2]، وقد علقت مجلة «المنطق» الصادرة عن الكتلة الإسلامية فى جامعة النجاح الوطنية، على نجاح الإضراب قائلة، «من الواضح أن المحتلين شعروا بمقدار التحدى الذى يمكن أن يدفع الإخوة فى غزة إلى إعلان انتفاضة لا يستطيع اليهود تحمل نتائجها»[3].

(١) (ف. خ) أحد الذين عملوا فى الجناح الأمنى لحماس، مقابلة شخصية (مرج الزهور) ٦/ ٦/ ١٩٩٣ م.
(٢) خالد عز الدين، ص ٤٦. (٣) المنطلق، العدد ١٦، تشرين ثانى (نوفمبر) ١٩٨٦ م، ص ١٥.

وقد ظهر اسم «حركة المقاومة الإسلامية» قبل الانتفاضة مرتين طبقاً لما أورده زئيف شيف الذى يستقى معلوماته من أجهزة الأمن الإسرائيلية، «كانت المرة الأولى فى آذار (مارس) ١٩٨٧ م فى منشور أنذر فيه الصيادلة بوجوب مد يد العون لمكافحة المخدرات، والثانية فى منشور وزع فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨٧ م ودعا فيه إلى اتقاء مناورات مصلحة الأمن العام»(١).

ويؤكد أحد كوادر «حركة المقاومة الإسلامية» مشاركة الإخوان فى الانتفاضة ومواجهة الاحتلال قبل شهرين من اندلاعها على الرغم من أنه حاول أن يحرم قيادات الإخوان المسلمين من هذه المبادرة فيقول: «كان واضحاً أن قطاعاً واسعاً من (جماعة الإخوان) قد انخرط فى الانتفاضة منذ السابع من أكتوبر عام ١٩٨٧ م، ولكن ذلك كان يتم دون قرار رسمى»(٢).

وفى صباح اليوم التالى لحادث المقطورة قام مجلس الطلاب فى الجامعة الإسلامية بتعليق الدراسة والطلب من الطلاب التوجه إلى مستشفى «الشفاء» بغزة للتبرع بالدم ثم العمل على استمرار المواجهات ضد الاحتلال، كل فى منطقته، وفى نفس اليوم أى ٩/ ١٢/ ١٩٨٧ م اجتمعت الهيئة الإدارية للإخوان المسلمين (مكتب قطاع غزة) فى منزل الشيخ أحمد ياسين وبحضور كامل الأعضاء وهم:

١ ـ الصيدلى إبراهيم اليازورى، الأمين العام للمجمع الإسلامى منذ اعتقال الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٨٤ م، وهو من قدامى الإخوان ومن مواليد قرية «بيت دراس» المحتلة منذ ١٩٤٨ م.

٢ ـ الأستاذ محمد حسن شمعة، وهو أيضاً من قدامى الإخوان، والذى سيكون واحداً من أهم قيادات المبعدين فى «مرج الزهور» بجنوب لبنان، وهو أيضاً من مواليد مدينة «المجدل» التى احتلها اليهود عام ١٩٤٨ م.

٣ ـ الأستاذ عبد الفتاح دخان، وهو من الرعيل الأول ومن مفكرى الحركة وقادتها الأساسيين، ويعتقد أنه كان الرجل الثانى فى الحركة، ويمتاز بسعة اطلاعه وقدرته على الكتابة، فهو الذى وضع ميثاق الحركة، بالإضافة إلى صلابته المعروفة، فقد كان أحد

---

(١) زئيف شيف، ص ٥٨.   (٢) صالح عوض، ص ٤٠.

قادة المبعدين فى مرج الزهور وهو أيضاً من مواليد قرية «عراق سويدان» التى احتلت عام ١٩٤٨ م.

٤ ـ الشيخ صلاح شحادة، عميد شئون الطلاب فى الجامعة الإسلامية، وهو من الجيل الثانى الذى أعدته الحركة للقيادة، وقد سبق أن اعتقل مع الشيخ أحمد ياسين ١٩٨٤ م فى قضية التنظيم العسكرى وحيازة السلاح، وهو المتهم بقيادة الجناح العسكرى للحركة، وهو من مدينة يافا المحتلة عام ١٩٤٨ م.

٥ ـ المهندس عيسى النشار، وكان يعمل مهندساً فى بلدية رفح، وهو من الجيل الثانى أيضاً فى القيادة وكان مسئولاً عن منطقة رفح التى ولد فيها.

٦ ـ الدكتور عبد العزيز الرنتيسى، يحمل شهادة الماجستير فى طب الأطفال، وهو أيضاً من الجيل الثانى الذى أعدته الحركة للقيادة، فهو إلى جانب ملكاته القيادية فى الإطار التنظيمى، يمتلك قدرات خطابية، كما أنه نموذج فى الصلابة والقوة يقتدى به الشباب. حتى أنه قام بضرب ضباط المخابرات الذين اقتحموا غرفة نومه لاعتقاله، اتهم بصياغة البيان الأول لحركة المقاومة الإسلامية، كما أنه أصبح معروفاً على المستوى العالمى «كناطق رسمى باسم المبعدين»، وقد أدار معركة المبعدين بنجاح فائق، ولعله صاحب الفشل الأكبر فى الصمود والتحدى حتى تحقق لهم النصر والعودة وهو أيضاً من مواليد قرية «يبنا» المحتلة عام ١٩٤٨ م.

دارت المداولات فى هذا الاجتماع كلها حول استغلال حادث المقطورة وما تسبب عنها من غليان شعبى فى تصعيد المواجهات وانخراط الإخوان بالكامل فى أعمال الثورة الشعبية، وتحويل الجسم التنظيمى وما حوله من الأنصار والمؤيدين إلى هيكله مناسبة. فقرر المجتمعون إنشاء جهاز خاص بالانتفاضة أطلق عليه اسم «جهاز الأحداث»، يضطلع بمهمة وضع الحواجز والمتاريس وقذف الحجارة وإدارة المصادمات وكتابة الشعارات وتوزيع البيانات ومنع العمال من التوجه إلى العمل داخل فلسطين المحتلة، كما قرروا توصيل التعليمات إلى جميع أعضاء الحركة فى كل قطاع غزة بالمشاركة فى تشييع الشهداء، وإلى الخطباء بوجه خاص لتعبئة المشاعر ضد الاحتلال والحث على مواصلة الانتفاضة.

ويذكر الدكتور عبد العزيز الرنتيسى أن من الأفكار التى طرحت للمناقشة فى هذا

اللقاء تخوف البعض من أن هذه الأحداث قد تساعد (م. ت. ف)، وتقوى موقفها الذى ضعف كثيراً فى الآونة الأخيرة، كما أنها قد تحاول أن تستثمر الانتفاضة لتقوية موقعها فى العملية السلميه، لكن الشيخ أحمد ياسين كان يرى أننا بحاجة إلى (م. ت. ف) قوية، كما أن علينا أن نرحب ونعمل على مشاركة المنظمات كلها فى هذه الانتفاضة لتوزيع الأعباء، حتى لا نتحملها لوحدنا فإن المنظمة القوية التى تستمد القوة من شعبها المنتفض سوف ترفض الحلول الاستسلامية الهزيلة.

وهكذا تقرر فى هذا الاجتماع العمل تحت اسم «حركة المقاومة الإسلامية» كجناح سياسى وإعلامى يختص بالانتفاضة وتطويرها والإشراف على فعالياتها من خلال «جهاز الأحداث» بالإضافة إلى الجهازين السابقين اللذين تم تأسيسهما قبل ذلك والمتصلين مباشرة بالشيخ أحمد ياسين، وهما:

ـ الجناح العسكرى «المجاهدون الفلسطينيون» الذى أسسه الشيخ ياسين فى عام ١٩٨٣ م، ثم عاد تشكيله فى أواخر عام ١٩٨٦ م مسنداً مسئوليته إلى الشيخ صلاح شحادة.

ـ والجناح الأمنى «مجد» والذى أسسه الشيخ ياسين ١٩٨٥ م، وكان من أهم من عمل فيه الأخ يحيى السنوار الذى يقضى حكماً بالسجن مدى الحياة[1].

وهنا تجدر الإشارة إلى سر لعله ينشر لأول مرة، ففى اجتماع مجلس الشورى للإخوان المسلمين فى قطاع غزة فى نهاية عام ١٩٨٥ م، وعند دورته الجديدة لانتخاب «مكتب القطاع»، ألح الشيخ أحمد ياسين على إخوانه وبإصرار أن ينتخبوا رجلاً غيره ليكون مسئولاً عن التنظيم، ولم يتسن لنا معرفة الدوافع الحقيقية وراء هذا الطلب، لأن ذلك يحتاج إلى توضيح من الشيخ ياسين نفسه، المعتقل منذ مايو ١٩٨٩، كما أن الشيخ معروف بصمته وتكتمه الشديد وحسابه لكلماته.

فلعله كما قال يريد أن يتفرغ للدعوة العامة بين الشعب كله، فقد كانوا يطلبونه فى كل مكان للاستماع إلى مواعظه وأحاديثه، كما كانوا يأتونه فى كل وقت من الليل والنهار للفصل بين المتخاصمين، ولهذا كان يريد أن يتحلل من تفاصيل العمل التنظيمى المرهق.

---

(١) تفاصيل الاجتماع مأخوذة من مقابلات شخصية مع كل من د. عبد العزيز الرنتيسى وعبد الفتاح دخان ومحمد حسن شمعة فى «مرج الزهور» فى الفترة من ٣ ـ ٩ يونيو ١٩٩٣ م.

ولعله كان يريد أن يتفرغ للعمل العسكرى والعمل الأمنى، فخيوط هذه الأعمال كلها بين يديه، ولقد ثبت لى من طرق كثيرة ومختلفة أن الشيخ أحمد ياسين كان أكثر الإخوان اندفاعاً باتجاه مواجهة الاحتلال بجميع الأشكال وبخاصة العسكرية، وقد روى لى أحد الإخوان القدامى أن الشيخ قال أمامه سنة ١٩٦٨ م، «سأقاتل إسرائيل عندما أمتلك مسدساً واحداً».

ولعله كان يريد أن يطمئن على مسيرة الحركة فى حياته، وأن يسلم الراية للجيل الثانى الذى أشرف بنفسه على تنمية القدرات القيادية عندهم، ووجد فيهم ما يرضيه من عقيدة وإصرار على مواجهة الاحتلال، وانطلاق متحرر من أثقال الماضى، وانفتاح وتعامل مع كل مستجد.. ولكن لطبيعة الشيخ الأبوية والأخوية للجميع، فقد كان أكثر الناس حرصاً حتى على مشاعر الطفل الصغير، فلم يكن ليعبر عن رغباته بوضوح للمحافظة على سلامة الصدور فترك الأمر للإخوان وهو بين صفوفهم يشرف ويراقب ويرشد.

انتخب مجلس الشورى أحد الإخوة القدامى المعروف بصلابته وتشدده وذكائه، وظل الشيخ معهم أحد الأعضاء الستة إلى جانب الرئيس، وعلى الرغم مما يتمتع به الشيخ عبد الفتاح دخان - المسئول الجديد - من قوة ودراية وخبرة، فقد ظل الإخوان، قواعدهم وقياداتهم يعودون للشيخ أحمد ياسين فى كل أمورهم.

وعندما اندلعت الانتفاضة عادت الأمور كلها إلى الشيخ بصورة تلقائية وبدون قرار، فقد كان هو الرجل الأول دائماً، حتى عندما تخلى عن مسئولية التنظيم، وباندلاع الانتفاضة تحقق للشيخ ما كان يعمل له بصبر وحسن تخطيط من تهيئة الإخوان للدخول فى مواجهة شاملة مع الاحتلال، كما تحقق له بروز أعداد من القيادات الجديدة التى أفرزها العمل الميدانى.

بدأت «حركة المقاومة الإسلامية» فى توزيع بيانها الأول فى فجر ١٤/ ١٢/ ٨٧ فى جميع أنحاء القطاع، وجاء بيانها الثانى فى الأسبوع الأخير من نفس الشهر ووزع فى الضفة الغربية إلى جانب قطاع غزة، وفى البيان الثالث أضافت الحركة إلى التوقيع كلمة «فلسطين»، وظهرت الحروف المختصرة للاسم فى البيان الرابع على هذه الصورة (ح. م.

س)، أما كلمة حماس فقد ظهرت لأول مرة فى البيان السابع المؤرخ فى شباط (فبراير) سنة ١٩٨٨ م، واستقر هذا التوقيع منذ البيان السابع طيلة الانتفاضة ليصبح على هذه الصورة:

حركة المقاومة الإسلامية «حماس»

فلسطين

أما الإعلان عن انتماء حركة حماس لجماعة الإخوان المسلمين فقد ظهر فى البيان السادس بتاريخ ١١/ ٢/ ١٩٨٨ م وتكرر ذلك فى البيان رقم (١٥) بتاريخ ١٥ إبريل (نيسان) ١٩٨٨ م وثم جاء تأكيد ذلك فى «الميثاق» الذى صدر بتاريخ ١٨/ ٨/ ١٩٨٨ م.

حركة «حماس» فى الضفة الغربية:

كانت البداية فى نابلس ومخيم «بلاطة» للاجئين، فقد كان الأستاذ عبد الفتاح دخان، أحد أبرز قادة الإخوان المسلمين، يحضر جلسات مكتب نابلس منذ شهور بصفته ممثلاً «لمكتب فلسطين»، يشرف على اجتماعاته ليطمئن على سير العمل وحسم الخلافات السابقة داخل الساحه النابلسية، وقد أشرف على الانتخابات التى أفرزت الهيئة الإدارية الجديدة، وفى أول اجتماع لهم بعد الانتفاضة وضعهم فى صورة الأحداث التى تجرى فى قطاع غزة، فقد كانوا لا يعرفون حقيقة ما يحدث، وحقيقة دور الإخوان المسلمين فى الأحداث هناك، شرح لهم «أبو أسامة»، وانتهى بمطالبة الإخوان المسلمين فى نابلس والضفة الغربية عموماً بالمشاركة، وكان مما قاله «أن إخوانكم فى غزة يقولون لكم إن لم تكن عندكم حجارة فسيرسلونها لكم من غزة».

اجتمع «مكتب نابلس» وقرر المشاركة فى فعاليات الانتفاضة وتقاسم العبء مع إخوانهم فى غزة، كانوا لا يملكون الخبرة الكافية فى هذه الأمور، وتوصلوا إلى فكرة استخدام المساجد، فهم ينشطون فى حوالى أربعين مسجداً فى نابلس، ولكل مسجد لجنة، فأصدروا أوامرهم إلى الشباب بإشعال الانتفاضة فى المساجد، وفى أول جمعة ١١/ ١٢/ ١٩٨٧ م بدأ الإخوان بالتكبير من داخل مسجد مخيم «بلاطة»، وخرج كل المصلين وهم يكبرون، وحدثت اشتباكات مع الجيش استشهد على أثرها وأصيب حوالى ستين شخصاً، فتكهرب الجو فى المدينة والمخيم وأعلنت البلدية إضراباً مدته ثلاثة أيام مما أشرك الناس جميعاً فى الفعاليات.

تقول قيادات الإخوان فى نابلس إن كل هيكلية الإخوان من المكتب الإدارى إلى القواعد شاركت فى الانتفاضة بقوة، «كان الهيكل جاهزاً، كل ما عملناه أن أعطينا الإشارة وغيرنا الاسم ووزعنا المهمات وأنشأنا جهازاً خاصاً للانتفاضة سميناه «جهاز الطوارئ» شبيه «بجهاز الأحداث» فى غزة[1].

وبالنسبة لمنطقة رام الله يقول الشيخ إبراهيم أبو سالم، أحد قادة الإخوان هناك، إن «الأمور كانت هادئة نسبياً حتى جاءنا الأمر بالمشاركة، فانخرط الإخوان بالكامل فى أنشطة الانتفاضة»[2]، وكان الشيخ أحمد ياسين قد التقى مع الشيخ جميل الحمامى فى بداية عام ١٩٨٨ م، وكلفه بإنشاء جهاز حركة فى الضفة الغربية[3]، وقد جاء موعد الاجتماع الدوري للمكتب القطرى «مكتب فلسطين» والذى يحضره قادة العمل فى قطاع غزة ومناطق الضفة الغربية، والذى انعقد فى مدينة القدس بتاريخ ٨/ ١/ ١٩٨٨ م حيث استعرض الإخوان مسيرة الانتفاضة ومشاركة الإخوان فيها فى مختلف المناطق وقرروا العمل على أن تصل الانتفاضة إلى كل المدن والقرى فى الضفة الغربية[4].

ولعلنا نستطيع أن نستخلص أن تأسيس حركة حماس ودخولها الانتفاضة بقوة كان إعلاناً بأن مرحلة جديدة قد بدأت فى مسيرة الإخوان المسلمين فى الأرض المحتلة، وكان الفضل فى ذلك يعود إلى الشيخ أحمد ياسين شخصياً، ثم غالبية القيادات التاريخية للإخوان التى ساهمت مساهمة فعالة فى أنشطة الانتفاضة وقاست التعذيب والسجون على الرغم من كبر السن والأمراض، كما يعود الفضل إلى الجيل الجديد من الإخوان المسلمين الذى يتحرق لهذا اليوم، والذى انتمى لحركة الإخوان المسلمين تحت الاحتلال إيماناً من أن الإسلام وسبيل الجهاد هى الكفيلة لتحقيق النصر، كانوا ينتظرون الأمر بالمواجهة تصديقاً لهتافهم الدائم «الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا»، كما كانوا يريدون أن يظهروا لخصومهم من التيارات الأخرى كيف يقاتل المسلم وكيف يواجه المسلم وبخاصة أنهم طالما اتهموا شباب الحركة بعدم مقاومة الاحتلال، وحول هذه النقطة تقول صحيفة «دافار»

(١) قادة نابلس، مقابلة شخصية (مرج الزهور) ٤/ ٦/ ١٩٩٣ م.

(٢) إبراهيم أبو سالم – أحد قادة منطقة رام الله – مقابلة شخصية فى مرج الزهور ٥/ ٦/ ١٩٩٣ م.

(٣) لوائح الاتهام الموجهة للشيخ أحمد ياسين وملف التحقيق مع الشيخ جميل حمامى (أرشيف الحركة).

(٤) مخطوط كتبه بعض قادة مبعدى الخليل فى مرج الزهور

الإسرائيلية فى عددها الصادر فى ٥/ ٥/ ١٩٨٩ م: «إن هذا التغير الحاصل فى موقف الإخوان المسلمين لم يكن معبراً عن الحاجة للجهاد الإسلامى فقط بل عبر أيضاً عن التغير الاجتماعى الذى حصل فى صفوف الإخوان المسلمين فى سنوات الثمانينات، إذ أصبح الذين يرفعون راية الحركة فى القطاع هم من الطبقات المثقفة... فحركة «حماس» لم تكن ظاهرة نتجت عن الانتفاضة، وإنما تعبير عن التغير الذى حدث فى صفوف الإخوان المسلمين»(١).

أما بالنسبة للأجيال الجديدة وآلاف الشباب الذين انخرطوا فى صفوف الحركة الإسلامية من خلال الانتفاضة وفعاليتها، فقد جذبهم فى الأساس الإحساس الوطنى والرغبة فى مواجهة اليهود، وشجعهم على ذلك أكثر، أن هذا النضال وهذه المواجهة تتم تحت الراية الإسلامية بما يكمن تحتها من الصدق والتضحية ومعانى الأخوة فى الله والتكافل وعدم المحسوبية والتمييز، بالإضافة إلى ما يستقر فى قلوبهم من أنهم يكسبون الأجر والثواب أو الشهادة فيفوزون فى الآخرة.

ولعل الدكتور على الجرباوى أصاب كثيراً حينما تحدث عن المكاسب الاستراتيجية التى حققتها جماعة الإخوان المسلمين بتأسيس حماس والانخراط بالانتفاضة حيث أعطى تشكيل حماس دفعة تنظيمية قوية مما أردف الإخوان المسلمين بعناصر يصعب تقدير حجمها، كما ساهم فى الانتشار المنظم للجماعة فى مختلف أرجاء الأرض المحتلة من مدن وقرى ومخيمات، بالاضافة إلى أنه كان إسهاماً رئيسياً فى عملية بلورة قيادة مركزية للإخوان على صعيد الأرض المحتلة، ولعل أهم هذه المكاسب جميعاً على أهميتها أن تشكيل حماس فتح المجال واسعاً أمام حركة الإخوان المسلمين لفرض شرعيتها السياسية داخل الحلبة السياسية الفلسطينية(٢).

دور الحركة فى الانتفاضة وتنامى قوتها:

قامت حركة حماس بدورها الكبير فى فعاليات الانتفاضة وفى العمل على استمرارها وانتشارها وقد كان ذلك واضحاً لكل مراقب، ومع الوقت لم يعد أحد يستطيع أن يتجاهل دورها أو ينكره، ظهر ذلك فى تواجدها فى جميع أنحاء الأرض المحتلة وفى بياناتها

(١) خالد عز الدين، ص ٤٤.

(٢) على الجرباوى (الانتفاضة والقيادات السياسية فى الضفة الغربية وقطاع غزة، بحث فى النخبة السياسية)، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٩ م، ص ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

لمستمرة ودعوتها للإضرابات الناجحة وبروز دور المس الأساسى فى حركة الانتفاضة، وكذلك فى دورها الاجتماعى البارر بالإضافة إلى العملي ـ العسكرية التى نفذها شبابها، مما أعطى الانتفاضة روحاً جديدة من التحدى، كما أن الحجم الكبير للاعتقالات فى صفوف الحركة يعطى دلالة واضحة على دورها الفاعل ومشاركتها الرئيسية

ومما يعطى الدلالة أيضاً على قوة حماس وأنها أصبحت قوة سياسية لا يمكن تجاهلها، تصريحات المسئولين الإسرائيليين وتقارير الصحف الإسرائيلية والأجنبية بالإضافة إلى ذلك تصريحات المسئولين الفلسطينيين حول حركة حماس والتى اتسمت بالتضارب الواضح من عصبية وغضب إلى محاولات التقرب والاحتواء، ومن التشويه والاتهام ومحاولة تقليل دورها، إلى الاعتراف بجهدها الوطنى ومحاولة ضمها إلى المؤسسات الرسمية الفلسطينية.

ولما كانت حركة «حماس» محرومة من وسائل الإعلام فى الداخل والخارج، فقد مثل المسجد بالنسبة لها وسيلة الإعلام الناجحة على المستوى المحلى، ولم يقتصر دوره على ذلك، بل تعداه ليصبح المسجد محوراً أساسياً فى حركة الانتفاضة يقوم بدوره بالتعبئة الحماسية، بل إن أكبر المظاهرات وأعنف الصدامات كانت تبدأ من المسجد، حيث كانت أيام الجمع خصوصاً تضيف للانتفاضة زخماً وحرارة جديدة، كما قام المسجد أيضاً بدوره الاجتماعى من التكافل وتوزيع المواد التموينية عن طريق لجان الإغاثة الإسلامية التى شكلتها حركة «حماس»، وقد لعب المسجد وبجدارة دور التعليم البديل بعد إغلاق المدارس والجامعات، كما أن ظاهرة توبة العملاء والجواسيس كانت تشير إلى قوة المسجد ونفوذ حركة «حماس» حيث كان العملاء يختارون المساجد لإعلان توبتهم، وهكذا لم تسلم المساجد من القمع والاقتحام والإغلاق واعتقال الأئمة[1].

كما كان انتظام بيان الحركة الدورى رغم كل الاعتقالات يدلل على قوة الحركة والتى ملأت شعاراتها الجدران فى كل مكان، كما كانت أول حركة سياسية تصدر نشرات خاصة عن الانتفاضة، حيث ظهرت نشرة «حماس» السرية فى مارس سنة ١٩٨٨ م[2].

---

(١) إبراهيم محمد، (الأذان الحزين: المسجد فى ظل الانتفاضة والاعتداءات الصهيونية)، لندن: مركز الدراسات المعاصرة ١٩٩٠ م، (للتفاصيل انظر ص ص ١٠ ـ ١٤).

(٢) صالح عبد الجواد، ص ١٢٩.

ومما يدلل على قوة حركة حماس وانتشارها وثقة الجماهير بزعمائها ورموزها أنها كانت الطرف الأهم فى تكريس العدالة وحل المنازعات بين الناس وخاصة بعد استقالات رجال الشرطة العرب، فقد ذكرت جريدة الأنباء الكويتية نقلاً عن مراسل «فرانس برس» تحت عنوان (حركة حماس قاض وشرطة فى غزة) أن «جميع النزاعات بين الأشخاص والخلافات العقارية والمالية بين سكان قطاع غزة تمر الآن بين أيدى قادة حماس».. ونقل المراسل عن الدكتور حيدر عبد الشافى ـ أهم شخصية يسارية فى القطاع ـ «إن حماس كانت فى الأيام الأخيرة فاعلة جداً فى توليها زمام العدالة»[1].

ولعلى لا أجانب الحقيقة إذا جعلت شهر آب (أغسطس) ١٩٨٨ م، أى الشهر التاسع للانتفاضة نقطة فاصلة فى تاريخ حركة «حماس» وعلاقاتها بالأطراف الأخرى وخاصة (م. ت. ف)، والاحتلال، فقد أضافت حركة «حماس» لقيظ الصيف فى أغسطس حرارة جديدة ومن لون جديد، فقد أجبرت جميع الأطراف على عدم التمادى فى تجاهلها وإنكار دورها، وصعدت من وجودها وفعالياتها المتنوعة فى الداخل والخارج.

ففى أغسطس أعلنت حركة «حماس» عن إضراب منفرد فى جميع الأرض المحتلة بمناسبة ذكرى محاولة إحراق المسجد الأقصى[2]، وعلى الرغم من محاولات التيارات الوطنية، وبخاصة حركة فتح، المستميتة لإفشال الإضراب فى الضفة الغربية، إلا أنه نجح بصورة كاملة، مما ساهم فى كشف زيف الادعاءات التى تقول إن حركة «حماس» موجودة فقط فى قطاع غزة، وأن الضفة الغربية بالكامل تقع تحت سيطرة (ق. و. م).

وفى أغسطس هذا أيضاً دعت الحركة إلى مواجهات وصدامات مع قوات الاحتلال فى ذكرى الهجرة النبوية، كانت الأعنف فى تاريخ الانتفاضة، وخصوصا فى الضفة الغربية، كما نفذت مجموعة من شباب حماس هجوماً على الجيش الإسرائيلى فى مدينة نابلس[3] قذف الرعب فى قلوب السلطات المحتلة وجعلها تراجع حساباتها من جديد.

وفى أغسطس أيضاً صدر فى الأرض المحتلة «ميثاق حركة المقاومة الإسلامية» ليحدث دوياً هائلاً، تتناقله وسائل الإعلام الأجنبية، وتكثر حوله التحليلات، فقد كان صدور

---

(١) «حماس قاضى وشرطة»، (الأنباء) الكويتية، ٢٧/ ١٠/ ١٩٨٨ م

(٢) خالد عز الدين، ص ١٩٥ (٣) المرجع السابق

الميثاق صدمة للعدو الصهيوني، كما كان صدمة أخرى لـ (م. ت. ف)، فقد كرس «الميثاق» مقولة إسلامية فلسطين من البحر إلى النهر، وأنها أرض وقف إسلامي لا يجوز لأحد التنازل عن ذرة من ترابها، كما أكد رفضه للدولة العلمانية والفكر العلماني، وطالب (م. ت. ف)، الالتزام بالمنهج الإسلامي للتحرير.

كان «الميثاق» بعد تسعة أشهر من الا[illegible]اضة [illegible]ـاس» إيذاناً بأن هذه الحركة ولدت لتبقى وتكبر، وأنها مصممة على الاستمر[illegible] مما جعل سلطات الاحتلال تدرك أن محاولاتها لتحييد الإسلا[illegible] عن الصراع، وحد[illegible] شديد في التعامل مع الظاهرة الإسلامية، حتى لا تمتد وتتسع قد باءت كلها بالفشل [illegible]ما جعلها تبدأ خطواتها القاسية وغير المحسوبة في مواجهة حركة «حماس». أما (م. ت. ف) فقد استشعرت الخطر الحقيقي الذي ينافسها على قيادة الشعب الفلسطيني

وفي أغسطس هذا أيضاً، ظهر صوت «حماس» لأول مرة مدوياً خارج الأرض المحتلة، على لسان الشيخ خليل القوقا، أحد قادة حماس الذي أبعدته السلطات الصهيونية، كما نشطت اللجان الخيرية الإسلامية في الخارج في جمع التبرعات للأرض المحتلة وظهرت في الشهر نفسه لجان جديدة، مما جعل (م. ت. ف) تشعر أن حركة «حماس» بدأت تقتحم عليها مناطقها المغلقة.

عمليات «حماس» العسكرية:

كانت العمليات العسكرية وعمليات الطعن ذات أثر كبير في دفع الانتفاضة وإشعالها كما كانت عوامل قوة أخرى لحماس أسهمت في زيادة شعبيتها وانتشارها، يقول الدكتور زياد أبو عمرو «وبالإضافة إلى الفعاليات المعتادة للانتفاضة، كانت حركة «حماس» الجهة الأكثر انخراطاً في أعمال مسلحة ضد أهداف إسرائيلية»[1]

ففي مدينة نابلس وفي صباح يوم ١٤/ ٨/ ١٩٨٨ م، ذكرى الهجرة النبوية ـ هاجم أربعة شباب من حركة حماس مركز الشرطة في المدينة، حيث يتجمع حوالي خمسين جندياً إسرائيلياً، وبدأوا يقذفونهم بالزجاجات الحارقة التي أصابت جنديين وأحرقت ثلاث خيام وانسحبوا بسلام وسط ذهول وذعر الجنود[2] وفي بيت لحم قام شاب آخر بطعن جندي

---

(١) زياد أبو عمرو، حماس، خلفية تاريخية سياسية، (مجلة الدراسات الفلسطينية)، العدد ١٣، ص ٩٦

(٢) خالد عز الدين، ص ١١٠.

إسرائيلى عدة طعنات سببت به الموت[1] وفى عملية الثأر لشهداء مسجد الرضوان فى غزة توجه عضو حماس، طلال قويدر لمهاجمة دورية إسرائيلية قتل ثلاثة من الجنود قبل أن يستشهد[2]، وفى ١٤/ ١١/ ١٩٨٩ م هاجم مسلحون من حماس بالأسلحة الأتوماتيكية دورية صهيونية فى منطقة الشيخ عجلين فى غزة أسفرت عن مقتل جنديين وانسحب المهاجمون بسلام[3].

كما قام الشباب المسلم بعمليات أخرى أحدثت أثرها الهائل فى النفوس وكان أبرزها عملية «ياسر الخواجا»، عضو حركة الجهاد الإسلامى الذى هاجم فى ٨/ ٧/ ١٩٨٨ م عدداً من الضباط والجنود على بوابة سجن غزة متسلحاً بالخنجر، أما الشاب عبد الهادى غنيم الذى لم ينتم لأى تنظيم[4] فقد قام بعملية نادرة فى ٥/ ٧/ ١٩٨٩ م حيث ركب فى حافلة إسرائيلية وفى منطقة جبلية سيطر على عجلة القيادة وقذف بالحافلة إلى الوادى مما أدى إلى مقتل ١٦ إسرائيلياً وأصاب ٢٤ آخرين بجروح.

أما أبرز هذه العمليات فى تلك الفترة، بل لعلها من أبرز العمليات فى تاريخ المقاومة الفلسطينية لليهود فقد كانت عملية خطف الجنود الإسرائيليين بكامل أسلحتهم فى داخل فلسطين المحتلة، والاستيلاء على اسلحتهم ووثائقهم وملابسهم وقتلهم ودفنهم دون أن يعلم أحد. وقد دلت هذه العمليات على خطورة الحركة والجرأة المتناهية فى التنفيذ إلى جانب حسن التخطيط، مما أربك أجهزة الأمن الإسرائيلية وأشعرها بالهزيمة وزادت ثقة الجماهير بنفسها وبحركة «حماس» فقد كان مسئول المجموعة «محمد يوسف الشراتحة» والذى يقضى الآن عدة أحكام بالسجن المؤبد فى سجون إسرائيل هو الذى أعد المسدسين وأبلغ منفذ العملية موافقة الحركة على خطته، كما وجه عنصرين آخرين لسرقة سيارة إسرائيلية جديدة ووضعها فى المكان المتفق عليه، أما الرجلان اللذان قاما بتنفيذ العملية فهما محمود المبحوح الذى يجيد قيادة السيارات بالإضافة إلى كونه ميكانيكياً ماهراً،

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أحمد بن يوسف، حركة المقاومة الإسلامية (حماس: حدث عابر أم بديل دائم)، ص ٣٦.

(٣) خالد عز الدين، ص ١٤٣.

(٤) قامت عدة تنظيمات بالزعم أن عبد الهادى غنيم عضو فيها، وتقول مصادر حماس أن عبد الهادى التزم بحركة حماس داخل المعتقل

ليحس التصرف في الظروف الصعبة. ومحمد نصار صاحب الفكرة ومنفذها، ويرتدي محمد نصار ذو الملامح الغربية الشقراء ملابس حاخام يهودي ويسير به المبحوح في السيارة الإسرائيلية الجديدة ـ المسروقة ـ على طريق يتواجد فيه الجنود العائدون من ثكناتهم في الإجازة ينتظرون المواصلات، وفي يوم ١٦/ ٢/ ١٩٨٩ م تقف السيارة ليركب خلف السائق الرقيب «أفي ساسبورتاس»، وبعد أن تبتعد السيارة يطلق محمد نصار رصاص أحد مسدسيه على رأس ساسبورتاس ويأخذونه في داخل الغابات ويدفنوه ويعودان إلى غزة، ولم تكتشف السلطات الإسرائيلية فقدان الجندي إلا بعد عدة أيام وترتبك الأجهزة الأمنية ولا تستطيع أن تصل لشيء وبخاصة أن المنفذين كانوا قد قذفوا بحذاء الجندي على الطريق المؤدي لمدينة الخليل.

وبعد هذه العملية بأقل من ثلاثة أشهر وفي تاريخ ٣/ ٥/ ١٩٨٩ م يكررون نفس العملية مع الجندي «إيلان سعدون» التي لاتزال جثته مجهولة المكان حتى الآن[١]، أما جثة الأول فيبدو أن حفرته لم تكن عميقة، فقد أظهرتها سيول الأمطار.

وبعد انكشاف العملية واعتقال محمد الشراتحة مسئول المجموعة ظل نصار والمبحوح مطاردين عدة أشهر داخل غزة حتى استطاعا مغادرة الحدود إلى مصر من وسط الأسلاك الشائكة في عملية هي الأخرى بطولية[٢].

كان محمد نصار نموذجاً للشباب الفلسطيني الذي سرت في دمه روح المقاومة والتحدي فانتمى إلى حركة فتح وعلى أثر قيامه بتفجير قنبلة يدوية على دورية إسرائيلية يتم اعتقاله ويحكم عليه بالسجن المؤبد وهو لم يكمل السابعة عشرة من عمره، وفي السجن يؤمن أن الإسلام هو طريق المقاومة الصحيح فينضم للجماعة الإسلامية التي أسسها جبر عمار، ثم يلتقي مع الشيخ أحمد ياسين في السجن ليصبح واحداً من أقرب حوارييه وينضم لصفوف الإخوان المسلمين ويدخره الشيخ لأيام قادمة.

الاعتقالات في صفوف حركة «حماس»:

ومما يدلل على قوة حماس ومشاركتها الفعالة في الانتفاضة، أن الاعتقالات طالت

(١) عثر أخيراً على الجثة في صيف ١٩٩٦ م.

(٢) تفاصيل عمليات الاختطاف تعود إلى لائحة الاتهام الموجهة إلى محمد يوسف الشراتحة، ومقابلة شخصية مع منفذ العمليتين في (فبراير ١٩٩١ م)

عناصرها وأنصارها وقياداتها منذ البداية وعلى طول السنوات الثلاث الأولى (مدة البحث) من الانتفاضة، فقد اعتقل العشرات من راجمي الحجارة وكتاب الشعارات الذين يشغلهم جهاز الأحداث من الأيام الأولى للانتفاضة، كما تم اعتقال بعض القادة وأبرزهم الشيخ خليل القوقا الذى اعتقل فى يوم ٢٩/ ١٢/ ١٩٨٧ م وحكم عليه بالإبعاد، لكن لمتانة التنظيم وصمود المعتقلين، كانت الاعتقالات تقف عند حدود المعتقلين أنفسهم، ولما اشتدت الانتفاضة وبرز الدور القيادى للمسجد فيها كما أعلن عن ارتباط حركة «حماس» بالإخوان المسلمين قامت السلطات باعتقال العشرات من أئمة المساجد والخطباء والوجوه الإسلامية البارزة اعتقالات احترازية، ومن أبرز هؤلاء المعتقلين الشيخ بسام جرار والشيخ فضل صالح والشيخ حسن يوسف والشيخ إبراهيم أبو سالم بالإضافة إلى الشيخ محمد فؤاد أبو زيد (أحد خطباء المسجد الأقصى) من الضفة الغربية والشيخ أحمد نمر حمدان والدكتور محمود الزهار وغيرهما من قطاع غزة.

ومع هذه الاعتقالات المستمرة إلا أن مصادر الحركة تؤرخ للضربات الجماعية الكبيرة. فالضربة الأولى حدثت فى مايو ١٩٨٨ م، عندما أعلنت مصادر عسكرية إسرائيلية عن اعتقال جميع قادة حركة حماس بغزة (الستة المؤسسين ماعدا الشيخ أحمد ياسين)، كما تم اعتقال الشيخ جميل المحامى الذى كان يمثل حلقة الوصل بين القطاع والضفة وكذلك اعتقل أعضاء الجهاز الإعلامى فى غزة وعدد من مسئولى المناطق[1] ويقول الدكتور الرنتيسى أن القيادة ضربت ولم تعترف على غيرها ولم تكن الضربة مؤثرة كما يصور البعض، فقد ظهرت قيادة جديدة واستمر العمل واتسع[2].

وكان من أسباب عدم تأثير الضربة الأولى على جسم الحركة وفعالياتها، أن الضربة ظلت فى حدودها ولم يتم التعرف على بقية العناصر وذلك بسبب قوة هيكلية حماس ومتانة التنظيم وسريته، كما كان صمود الشباب والقادة أمام التحقيق سبباً مهماً فى ذلك، يضاف إلى ذلك ارتباك أجهزة الأمن الإسرائيلية فى الشهور الأولى للانتفاضة وقيامها بالاعتقال العشوائى للمئات من الشعب، بالإضافة إلى حذرها المعروف ورغبتها فى منع الانفجار الإسلامى أو تأخيره على الأقل، فقد كانت لاتزال تأمل فى إبعاد الإسلام عن الصراع وتطويق هذه الظواهر فى مهدها.

---

(١) خالد أبو عز، ص ص ١٥٢ ـ ١٥٣ (٢) د. عبد العزيز الرنتيسى، مصدر سابق

وبعد صدور «الميثاق» فى أغسطس ١٩٨٨ م لم تستطع السلطات الإسرائيلية أن تستمر فى أوهامها فى محاولة إبعاد الرسلام عن الصراع، «فقد جاء فى النيويورك تايمز فى عددها الصادر بتاريخ ٢١/ ١٠/ ١٩٨٨ م أن كل القياديين الإسلاميين فى قطاع غزة اعتقلوا مباشرة بعد صدور «الميثاق» وجاء فى نفس الصحيفة أيضاً أن القوات الإسرائيلية قامت باعتقال وسجن العشرات من الأساتذة والوعاظ الذين يعتقد بأنهم يكونون الصف الوسط لقيادة الحركة، كما تم اعتقال العشرات من طلاب وأساتذة الجامعة الإسلامية فى غزة»[1] واستمرت الاعتقالات فى جميع المناطق فعلى سبيل المثال «تم فى يوم ١٤/ ١١/ ١٩٨٨ م تم اعتقال خمسين شخصاً فى منطقة نابلس ينتمون إلى حركة حماس»[2].

وجاءت الضربة الثانية التى أريد لها أن تكون القاضية، فى مايو ١٩٨٩ م، فى حملة استمرت عدة أيام بلغت فيها أعداد المعتقلين ١٥٠٠ معتقل[3]، من جميع مناطق الأرض المحتلة، ففى يوم ١٩/ ٥/ ١٩٨٩ م تم اعتقال الشيخ أحمد ياسين والدكتور محمود الزهار وجميع الرموز الإسلامية الموجودة خارج السجون، وكان أن اعتقل الشيخ بسام جرار فى رام الله بتاريخ ١٣/ ٥/ ١٩٨٩ م بتهمة قيادة حركة «حماس» فى الضفة الغربية، وقد وصلت أعداد المعتقلين حتى يوم ٢١/ ٥/ ١٩٨٥ م إلى ٩٥٠ معتقلاً حسب مصادر الأنباء فى الأرض المحتلة، و ٣٥٠ معتقلاً حسب وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) و ٢٥٠ حسب المصادر العسكرية الإسرائيلية[4] وقد أكثرت الصحف الإسرائيلية من الحديث عن الضربة القاصمة المميتة التى وجهت لحركة حماس وتوقعت عودة الهدوء إلى الأرض المحتلة.

ويعزو الدكتور عبد العزيز الرنتيسى اتساع رقعة الاعتقالات فى ضربة عام ١٩٨٩ م إلى عاملين اثنين، «أولهما اهتمام العدو بمواجهة حركة حماس بهذه القوة واستخدام أبشع أساليب التعذيب مع الشباب، حتى الشيخ أحمد ياسين لم يسلم من التعذيب القاسى، وقد رأيتهم وهم ينتفون لحيته ويضربونه فى وجهه، أما العامل الثانى فهو التنظيم الهرمى الذى كان متعباً بحيث إن اعتراف أى مسئول يجر ما بعده، كما أن الأجهزة كانت مفتوحة نوعاً ما وبعض الأخوة يعمل فى جهازين وغير ذلك»[5]. ورغم قوة الضربة واتساعها، إلا أن

---

(١) خالد عز الدين، ص ١٥٢.

(٢) جريدة (النهار) المقدسية، عدد ٦٣٠، ١٥/ ١١/ ١٩٨٨ م.

(٣) تقارير حركية.

(٤) خالد عز الدين، ص ١٥٥.

(٥) عبد العزيز الرنتيسى، مرجع سابق.

حركة حماس تستعيد قوتها بسرعة، وينزل بيانها الدورى فى موعده بعد أيام قليلة من الاعتقالات وتستمر فعالياتها وأنشطتها وتزداد عملياتها العسكرية.

وبعد انتهاء الفترة المحددة لهذا البحث وفى الأيام الأولى للسنة الرابعة يقوم «أشرف البعلوجى» و «مروان الزايغ» من شباب حماس بطعن ثلاثة إسرائيليين فى مدينة «يافا» حيث كانت السبب المباشر فى الضربة الثالثة التى طالت المئات من عناصر حماس ومؤيديها.

وخلاصة القول أن حماس أعطت الانتفاضة قوة واتساعاً وشمولاً، كما أعطتها الانتفاضة أيضاً قوة وتطوراً واتساعاً، ولم يعد أحد يستطيع أن ينكر دورها وحجمها ونفوذها السياسى، وها نحن نورد ما يقوله ثلاثة مدرسين للعلوم السياسية فى جامعة بيرزيت تميزت كتابتهم بالطابع الأكاديمى مع اقترابهم الأيديولوجى من التيارات الوطنية.

يقول الدكتور زايد أبو عمرو: «إن الحركة الإسلامية أصبحت طرفاً أساسياً لا يمكن تجاهله، وأصبحت هذه الحركة تنازع الاتجاه الوطنى فى السيطرة على الشعب الفلسطينى وقيادته فى الأرض المحتلة»[1]، ويقول فى دراسة أخرى: «إن حقيقة الأمر هى أن حماس شاركت فى الانتفاضة وفعالياتها على قدم المساواة مع فصائل (م. ت. ف) ونظراً لكون «حماس» أكبر من سائر الفصائل (ماعدا فتح) حجماً فقد اتسمت مشاركتها بالانت والاتساع وتعدد أشكال فعالياتها، فحماس شأنها فى ذلك شأن حركة فتح، تتمتع بوج فعلى فى جميع أنحاء الأرض المحتلة.. وبسبب هذا الوجود لم تؤد حملات الاعتقالات المتكررة لأنصار حماس إلى تعطيل مشاركتها فى الانتفاضة»[2]، ويعود ليؤكد أنه «ليس هناك من شك أن دور حماس فى الانتفاضة كان من أهم عوامل استمرارها .. كما فاقت قدرة حماس على استيعاب الضربات الإسرائيلية قدرة غيرها من القوى المشاركة فى الانتفاضة»[3]، ويضيف: «أن حماس كانت الجهة الأكثر انخراطاً فى أعمال مسلحة ضد أهداف إسرائيلية»[4].

ويقول الدكتور على الجرباوى: «لقد أثبتت جماعة الإخوان المسلمين عبر «حماس»

---

(١) زياد أبو عمرو، (الحركة الإسلامية فى الضفة الغربية وقطاع غزة)، عكا: دار الأسوار، ١٩٨٩ م، ص ٩٤.

(٢) زياد أبو عمرو، (حماس خلفية تاريخية وسياسية)، مرجع سابق، ٩٥.

(٣) المرجع السابق. (٤) المرجع السابق، ص ٩٦.

الحنكة السياسية والقدرة على إجراء التحولات التكتيكية اللازمة فى ضوء المتغيرات والمستجدات على الساحة الفلسطينية»[1].

أما د. صالح عبد الجواد فيقول: «لدينا اعتقاد أن حركة حماس تأتى فى المرتبة الثانية من حيث القوة السياسية والتأثير بعد حركة فتح، وهى القوة السياسية الوحيدة عدا (ق. و. م) التى استطاعت ومازال تنفيذ إضرابات شاملة فى جميع أنحاء الضفة والقطاع»[2]، وقد كتب جدعون سامت فى صحيفة (هآرتس) تعليقاً على اعتقالات مايو ١٩٨٩ م يقول: «إن الحركة الإسلامية ليست رافداً صغيراً وبعيداً عن الشارع الفلسطينى... وحركة حماس هى عنصر من العناصر الفلسطينية الأساسية، ولن يقضى عليها مهما اشتدت الضربات حتى لو ألقى بكل نشيطيها فى السجون فهى حركة واسعة النطاق، جذورها ممتدة إلى الأعماق...»[3].

دور الإخوان فى الخارج:

غطت أخبار الانتفاضة مساحات شاسعة من الإعلام الدولى وانتشرت المواجهات البطولية التى يقوم بها شعب أعزل إلا من الحجارة والإرادة فى مواجهة جيش مدجج بأحداث الأسلحة، والتفت الجماهير العربية والإسلامية حولها مؤيده مشجعة وفى مقدمتهم الفلسطينيون فى المنافى العربية والأجنبية.

ففى مصر المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين فى ٢١/ ١٢/ ١٩٨٧ م «أن الجهاد هو الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين، وأن المشكلة الفلسطينية تهم جميع المسلمين وليس الفلسطينيين فحسب»... كما انطلقت مظاهرة حاشدة من الجامع الأزهر فى يوم ١/ ٨/ ١٩٩٨ م بعد صلاة الجمعة تردد الهتافات الإسلامية، وقامت قوات الشرطة بتفريقها»[4].

أما فى لبنان فقد قامت المسيرات والاحتفالات والبيانات التى تدعم الانتفاضة وتؤكد إسلاميتها واستمرت فى تواصل منذ ١٦/ ١٢/ ١٩٨٧ م بمبادرات من العلماء والخطباء السنة والشيعة، ومن حزب الله «الجماعة الإسلامية» وغيرها[5].

(١) على الجرباوى، حماس: مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية، (مجلة الدراسات الفلسطينية)، عدد ١٣، مرجع سابق، ص ٨٣.

(٢) صالح عبد الجواد، ص ١٦٠.

(٣) خالد عز الدين، ص ١٦٠.

(٤) (فجر الإسلام فى فلسطين)، ص ١٠٨.

(٥) المرجع السابق، ص ص ٩٥ ـ ١٢٠.

وفي إيران سارت مظاهرات حاشدة بعد صلاة الجمعة يوم ٢٥/ ١٢/ ١٩٨٧ م، حيث ألقى الخطبة السيد هاشمي رفسنجاني وشارك في المظاهرة جميع مسئولي الدولة[١].

وبدأ خطباء المساجد يشيدون بالانتفاضة ويؤكدون إسلاميتها وقد برز منهم كل من الدكتور أحمد نوفل والشيخ عبد المنعم أبو زلط من رموز الإخوان المسلمين في الأردن. أما الإخوان المسلمون جميعاً وخصوصا الفلسطينيين منهم فقط كانوا مثل الجماهير العربية مشدودين للانتفاضة، متفاعلين معها بمشاعرهم، دون موقف تنظيمي، إلا ما صدر من تصريحات عن قادة الإخوان في مصر والأردن أو بيانات تحدث عادة في معظم الأحداث التي تهم المسلمين جميعاً، فلم يكن أحد منهم يعرف أن إخوانهم في قطاع غزة ثم في الضفة الغربية هم من الأبطال الأوائل لهذه الانتفاضة، وأن كثيراً من الشهداء الذين سقطوا في بداية الانتفاضة هم من الإخوان المسلمين، حتى «الجهاز العام لفلسطين» والذي يفترض أنه مختص بذلك وأنه على اتصال بالإخوان في الأرض المحتلة، كان مثله مثل (م. ت. ف) ينظر إلى الأحداث على اعتبار أنها هبة شعبية قد تستمر أياماً أو أسابيعا، بل إن المنظمة بما تتحمله من مسئولية لا تستطيع أن تغيب عن أحداث مهمة كهذه، فلابد أن تدرس وتراقب وتحلل وتتصل بالداخل وتبحث عن الوسائل المناسبة لاستغلال أي حدث بما يفيد خطتها وبرنامجها، أما الجهاز العام لفلسطين في حركة الإخوان المسلمين، فإنه لازال في خطواته الأولى يخطط ويعد على أمل أن يقود الشعب الفلسطيني أو على الأقل أن يشارك بقوة تحت الراية الإسلامية بعد تنفيذ خطة من عشر سنوات من الإعداد والتجهيز، ولم يتم حتى ذلك الوقت إعداد تلك الخطة، ولن يتم إعدادها أبداً، لأن الإخوان في قطاع غزة قد اختصروا هذه السنوات العشر إلى شهور عشر، فلم يكن يعلم أحد بتأسيس «حركة المقاومة الإسلامية» وانخراطها في الانتفاضة منذ بدايتها.

وبدأت في النصف الثاني من شهر يناير ١٩٨٨ م تصل بعض الأخبار من الداخل تقول: إن الإخوان هم الذين أشعلوا الانتفاضة، إلى أن جاء أحد الإخوة القياديين من الأرض المحتلة، وشرح للإخوان تفاصيل الأحداث ومدى مشاركة الإخوان فيها. تبنى الإخوان في الخارج الانتفاضة، واندفعوا بحماس ونشاط في الإطارين الداخلي والخارجي يعملون للتعبئة ودعم الانتفاضة، ولعله من المفارقات العجيبة أن قيادات الجهاز العام في

---

(٦) المرجع السابق.

الخارج اعترضوا على التحليل السياسى الذى صدر فى النشرة التنظيمية السرية والذى كتبه المؤلف لنشره ١/ ١/ ١٩٨٨ م بحجة أنه يبالغ فى الحديث عن دور الإسلام فى الانتفاضة وضرورة تبنيها، بينما بدأوا ومنذ نشرة فبراير يبالغون فعلاً فى دور حماس وتجاهل دور المنظمات الوطنية والجهاد الإسلامى.

وبدأ العمل فى الإطار التنظيمى الداخلى عن طريق النشرات الخاصة والأخبار والمحاضرات واللقاءات، وكذلك فى الإطار العام عن طريق خطب المساجد وإقامة المهرجانات والندوات والأمسيات الشعرية والأناشيد الإسلامية التى تتغنى بالانتفاضة وبحركة «حماس»، وكان من أبرز الخطباء الشيخ أحمد القطان فى الكويت والذى أطلق على منبره اسم «منبر الدفاع عن المسجد الأقصى»، وجعل كل خطبة تدور حول الانتفاضة وشهدائها وتضحياتها ودور حركة «حماس» فيها، ونشط «قسم فلسطين» فى تزويده، بالبيانات وقصص البطولة وكرامات الشهداء والتكافل الاجتماعى والقصائد الشعرية وغيره مما يشد المستمعين، وكان يحضر خطبته حوالى خمسة آلاف مصل، ويصل عدد الذين يستمعون إلى أشرطته عن الانتفاضة عشرات الألوف بل أكثر فى الدول العربية وأمريكا وأوروبا، حتى وصلت أشرطته إلى الأرض المحتلة نفسها.

وبدأ خطباء الإخوان فى الأردن ودول الخليج وفى المهاجر الأجنبية يطالبون المسلمين بدعم الانتفاضة والدفاع عن الراية الإسلامية التى ترفعها، كما نشطت حملات جمع التبرعات الشعبية لدعم الانتفاضة الإسلامية فى جميع دول الخليج وبين الجاليات الإسلامية فى أوروبا وأمريكا

ودبت الحياة والحماسة فى قسم فلسطين وأصبح الجهد الإعلامى والسياسى والتثقيفى له معنى وطعم جديد، وأصبح للتنظيم قضية حية يعايشها يومياً ويعمل لها ويتحرك من أجلها، بل طالبت الحركة جميع الأعضاء بالتبرع من أموالهم لدعم حركة «حماس». وأذكر أن بعض الإخوة الأثرياء دفعوا مبالغ كبيرة، كما أن عدداً ليس قليلاً من الإخوة الموظفين دفع الواحد منهم حوالى ثلاثة آلاف دولار، بالإضافة إلى مئات الإخوان الذين دفع الواحد منهم مئات الدولارات.

وكانت نفوس الإخوان متوثبة وكأنها تنتظر هذا اليوم من زمن طويل، وتبدأ الجمعيات

الإخوانية فى دول الخليج والأردن والغرب والهند والباكستان تنظم المؤتمرات والندوات والأمسيات الشعرية والأناشيد الإسلامية خدمة للانتفاضة، وتحولت المؤتمرات السنوية للتجمعات الإسلامية التى يبرز فيها دور الإخوان المسلمين إلى مؤتمرات تأييد ودعم للانتفاضة الإسلامية، ويبدأ «قسم فلسطين» ينسق مع هؤلاء وأولئك ويرسل الخطباء والمحاضرين والشعراء إلى كل مكان.

ويتعاون القسم مع بعض المجلات الإسلامية لتزويدها بالبيانات والأخبار والمقالات مثل مجلة «لواء الإسلام» المصرية، «والإصلاح» الإماراتية، «والبلاغ» الكويتية، و «المجتمع» الكويتية التى يعين فيها القسم كاتباً ثابتاً يغطى الانتفاضة وأحداثها ودور حركة «حماس» فيها... وتبدأ مجلة «فلسطين المسلمة» التى تصدرها فى بريطانيا منذ سنوات «الرابطة الإسلامية للطلبة الفلسطينيين» فى محاولاتها للارتقاء بأدائها شكلاً ومضموناً لتواكب الأحداث... كما قام بعض الإخوة بتشجيع من «القسم» بإصدار بعض الكتب فى الكويت والتى جاء أكثرها متسرعاً وعاطفياً، إلا كتابين صدرا لغسان حمدان[(١)]. ثم صدرت بعد ذلك فى الولايات المتحدة كتب أفضل سدت فراغاً فى المكتبة الحماسية.

وكان أغلب الخطاب الإخوانى الفلسطينى فى الخارج وفى كل الساحات الخارجية يعطى انطباعاً أن حركة «حماس» وحدها هى التى تقود الانتفاضة، ولعل ذلك مرده تجاهل وسائل الإعلام العربية وبخاصة الفلسطينية لحركة «حماس» تجاهلاً كاملاً بالإضافة إلى ما تسببه الحزبية والتعصب عادة من إغفال دور الآخرين.

ويصل إلى الكويت فى أواخر يوليو ١٩٨٨ م، الشيخ خليل القوقا، أحد أبرز قيادات حماس فى الداخل، بعد إبعاده خارج فلسطين، ليضيف زخماً وبعداً جديداً لعمل حركة «حماس»، فى الخارج، وليقوم بدور كبير لم يستطع أن يقوم به أحد فى الخارج حتى ذلك الوقت، فى التعريف بالحركة، والدفاع عنها واستقطاب الجماهير حولها، فقد ظلت قيادات الإخوان الفلسطينى فى الخارج ومعها قيادات «الجهاز العام لفلسطين» تتحاشى الظهور، وتتخفى خلف الخطباء والشعراء إلى ما بعد أزمة الكويت «أغسطس ١٩٩٠ م» حيث بدأ يظهر القليل منها بقدر بطئ جداً.

---

(١) غسان حمدان: (الانتفاضة)، مرجع سابق، وكتاب (التطبيع) لسلمان الصالحى، والأسماء كلها مستعارة والمؤلف هو غسان دوعر.

وانطلق صوت القوقا لأول مرة من الكويت كأول ناطق «غير رسمي» باسم حركة حماس في الخارج، وأقيمت له الندوات، وألقى الخطب الحماسية في المساجد، وعمل مؤتمراً قامت بتغطيته كل الصحف الكويتية، وقد تسابقت الصحف والمجلات على عمل لقاءات صحفية معه... كما ذهب إلى دولة الإمارات العربية وقام بنفس الدور بقوة وصلابة.

في تلك الفترة لم تظهر لحركة حماس قيادات في الخارج مطلقاً على المستوى العلني، وحتى في المستوى السري واللقاءات المغلقة مع الأطراف الأخرى، فكانوا يلتقون بحركة فتح مثلاً عن طريق وسطاء ينكرون صلتهم التنظيمية بالحركة، كما تم لقاء مع قيادات حركة الجهاد الإسلامي عقد في دولة الإمارات، في أوائل عام ١٩٩٠ م وكان وفد حركة حماس يحمل أسماء مستعارة.

المبحث الثالث

حركة «حماس» و «القيادة الوطنية الموحدة»

تأسيس « القيادة الوطنية الموحدة » ودورها.

مضى شهر كامل على الانتفاضة، ولم يظهر مطلقاً أى بيان أو إشارة، للقيادة الوطنية الموحدة، ولا لأى تنظيم أو فصيل من فصائل (م. ت. ف)، كما أننا بعد ذلك لم نستطيع العثور على أى شىء فى كل ما استطعنا أن نطلع عليه من أدبيات (م. ت. ف) وغيرها ولعل أقرب تفسير لذلك هو ما وجدناه فى المجلة الصادرة عن (م. ت. ف) وبعد ثمانية شهور من الانتفاضة الذى تقول فيه: «إن التشكيل التنظيمى الموحد (القيادة الوطنية الموحدة) تم الانتقال به ومن خلاله، من النضالات العفوية المتفرقة، التى سادت فى المرحلة الأولى من الانتفاضة، إلى مرحلة العمل النضالى المنظم، وربط القيادة الجديدة، سريعاً، بالحركة الأم فى الخارج»[1]. ولئن كان هذا اعترافاً بالتأخير لمدة شهر عن الانتفاضة، فإنه يحمل إنكاراً وتجاهلاً لحركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين التى كالنت قد أصدرت بيانين قبل ذلك، ولحركة المقاومة الإسلامية «حماس» التى كانت قد أصدرت ثلاثة بيانات فى الانتفاضة.

على كل حال فقط ظهر اسم «القيادة الوطنية الموحدة» (ق. و. م) لأول مرة على البيان الصادر بتاريخ ١٠/ ١/ ١٩٨٨ م، وحمل رقم (٢) باعتبار أن البيان الأول هو الذى صدر قبل ذلك بيومين بتوقيع «القوى الوطنية لتصعيد الانتفاضة»[2]، وقد تكونت القيادة الوطنية

---

(١) ربعى المدهون، «ستة شهور فى الاتجاه الصحيح»، مجلة (شئون فلسطينية)، العدد ١٨٤ تموز (يوليو) ١٩٨٨ م، ص ٤

(٢) راجع، صالح عوض، ص ٤٠ وعلى الجرباوى، (الانتفاضة والقيادات السياسية)، مرجع سابق، ص ١٣١.

الموحدة من كل من حركة فتح، والجبهة الشعبية، والجبهة الديمقراطية، والحزب الشيوعى الذى قيل «إنه من نيسان (أبريل) ١٩٨٨ م ابتعد عن القيادة الموحدة»(١)

ولعله كان من الطبيعى ألا تترك (م. ت. ف) وفصائلها المختلفة عملاً بهذا الحجم دون أن تشارك فيه، وتعمل على قيادته وهى التى قادت العمل الفلسطينى بكل جوانبه لعشرين سنة أو أكثر، وما كان للمنظمة أن تغيب عن هذه الأحداث الكبيرة وهى «الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى» فى الداخل والخارج، وقد خاضت حروباً كثيرة وقدمت ضحايا واستخدمت كل الوسائل الممكنة فى الخارج والداخل، وكانت دائماً حريصة على إفشال كل مخططات العدو الصهيونى فى إنشاء قيادات بديلة داخل الأرض المحتلة، سواء من الوجهاء والقيادات التقليدية أو من العملاء والمرتبطين بالعدو أو من الشخصيات البرجوازية المثقفة.

أضف إلى ذلك عامل مهم آخر، هو تنامى القوة الإسلامية وازدياد نفوذها والذى سبق الانتفاضة بسنوات وتكرس أكثر باندلاع الانتفاضة، ومما زاد فى تحفيز (م. ت. ف) على اللحاق بالأحداث والعمل على السيطرة عليها ما تناقلته وكالات الأنباء فى بداية الانتفاضة عن الدور الإسلامى فى اشعالها وقيادتها والتركيز على غياب شعارات (م. ت. ف) وصور قادتها عن المظاهرات.

ولعل جميع الأطراف تستشعر الخطر من تنامى قوة الإسلام السياسى والجهادى لأنها ترى فيه بديلاً لها جميعاً، وهذا ما سوف يجعل جميع أطراف القضية على ما بينهم من صراعات واختلاف فى المصالح يقتربون من بعضهم أكثر وأكثر بمرور الوقت وتنامى قوة الإسلام السياسى الذى ترى فيه الأطراف كلها بديلاً لها.

ولنفس الدوافع نرى أن جميع الاتجاهات الفلسطينية العلمانية يمكن أن تتوحد فى مواجهة التيار الإسلامى لأنها تعتقد أنه سيأخذ أدوارها جميعاً، وهذا ما يفسر عملية تكوين «القيادة الموحدة» من حركة فتح والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية والحزب الشيوعى، بالرغم من الخلافات التاريخية والفكرية والتنظيمية بين جميع هذه الحركات.

ولئن كانت سمة العلاقة الدائمة بينهم هى التنافس ولم تفلح كل الجهود لتوحيد مواقفهم ماعدا الجبهة الديمقراطية التى كانت كثيراً ما تقترب من حركة «فتح»، فإن قوة

(١) فرانسوا ليفران، (الإسلاميون الفلسطينيون)، تونس: (م. ت. ف) مركز التخطيط ١٩٨٩ م، ص ٢٦.

التيار الإسلامى قبل الانتفاضة هى السبب الأهم الذى كان يجمعهم جميعاً فى انتخابات الكتل الطلابية وغيرها، وكانوا فى الأمكنة القليلة التى يكون فيها التيار الإسلامى لا يملك القدرة على المنافسة، ويعودون إلى تنافسهم وصراعهم فيما بينهم، ولعل هذا المنهج يمكن تطبيقه على معظم الحركات الوطنية والقومية واليسارية فى الدول العربية أيضاً.

كانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هى التى تمثل المنافس التاريخى لحركة «فتح» فى الخارج وفى الداخل أيضاً، ولكن الأمور ومن البداية كانت تحسم لصالح «فتح» لما تملكه من رصيد جماهيرى وفعل نضالى وعناصر وأتباع أكثر بكثير من غيرها بالإضافة إلى علاقاتها الأقوى مع معظم الحكومات العربية، وإمكانياتها الكبيرة وتحكمها فى ميزانية (م. ت. ف) والحصص المالية للمنظمات الأخرى، وقبل الانتفاضة بكثير وصلت الجبهة الشعبية إلى اليأس من إمكانية منافسة حركة «فتح»، ورضيت لنفسها بالمركز الثانى، وبالمعارضة المهذبة حيث تعلن براءتها من بعض المواقف السياسية للمنظمة. وكان اليسار الفلسطينى عموماً أكثر حساسية تجاه التيار الإسلامى للخلافات الجذرية بين الطرفين، كما كان يخشى أى تقارب بين حركة «فتح» والتيار الإسلامى لأن ذلك سيفقدهم الكثير.

وهكذا جاءت «القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة» باتفاق تام على تجاهل الحركة الإسلامية، والتغطية على دورها والعمل على إضعاف نفوذها... ولكنها عاشت فى داخلها نوعاً من الصراع والتنافس يدل عليه صدور طبعات مختلفة للبيان الواحد حيث يعمل كل فصيل على إضافة العبارات والأفكار التى لا يوافق عليها الآخرون، كما يحذف العبارات التى لا تتمشى مع منهجه، وقد ظهر هذا فى البيانات (١٠)، (١٧)، (٢٩)[١]، (٣٥)[٢]، «فقد كان الحزب الشيوعى يصر على الشرعية الدولية والتعاون مع القوى التقدمية الإسرائيلية وعلي الهجمات العنيفه ضد الأردن والرجعية العربية»[٣].

ومما سبب توترات حادة داخل القيادة الموحدة تلك النداءات التى صدرت فى مارس (آذار) إلى النواب الفلسطينيين فى البرلمان الأردنى حيث كان هذا موجوداً فى النسخ التى وزعت فى القدس من بيانى (١١، ١٠) بينما حذفت ذلك رقابة «فتح» كما فعلت رقابة الجبهة الديمقراطية فى الخارج[٤] ولم يمض وقت طويل ولأسباب متعددة حتى استطاعت حركة

(١) على الجرباوى، ص ١٣٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) ليفران، ص ٢٦.
(٤) المرجع السابق، ص ٢٧.

«فتح»، أن تفرض سيطرتها الكاملة على القيادة الوطنية الموحدة، مع أن ذلك لم يمنع الاختلافات بل الصدامات فيما بعد بين عناصر التنظيمات المشتركة فى القيادة الموحدة.

كما نشأ صراع من نوع آخر، حيث أرادت قيادات الداخل أن تكرس قوتها ودورها فى اتخاذ القرار، إلا أن هذا حسم وبسرعة، فقد ذكر لطفى الخولى فيما سماه «إشكالية» تحديد مسئوليات كل طرف، «أن لقيادات الداخل حرية تقرير القيام بالأعمال الجماهيرية وذلك فى نطاق محلى (قرية، مدينة صغيرة، جامعة...) ولمدة لا تتجاوز ثلاثة أيام، وأن عليها ألا تتورط فى إجراء اتصالات سياسية من أى نوع مع سلطات العدو أو حلفائه «أمريكا بالذات» دون إذن واضح مسبق»(١).

وكان أبرز ما أكدته بيانات (ق. و. م) وكررته دائماً حصرية التمثيل فى (م. ت. ف)، كما بدأت بياناتها منذ البيان الثالث باسم (م. ت. ف) إلى جانب القيادة الموحدة، وأصبحت تبدأ بياناتها بعبارات: «لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة، لا صوت يعلو فوق صوت شعب فلسطين ـ شعب منظمة التحرير الفلسطينية».

وهكذا بدأت (ق. و. م) منذ النصف الثانى من يناير تعمل بكل قوة ونشاط للسيطرة على فعاليات الانتفاضة وقيادتها وتوجيهها، ساعدها على ذلك إمكانياتها الكبيرة وخبرتها السياسية العريقة، وعناصر حركة «فتح» والشبيبه المنتشرون فى معظم الأماكن بالاضافة إلى عناصر التنظيمات الأخرى المشاركة فى القيادة الموحدة، ومع أن هذا كله لم يستطع تحييد أو إلغاء دور الحركة الإسلامية الواسع فى الانتفاضة أو إضعافه، إلا أن السند الخارجى الكبير الذى قدمته (م. ت. ف) من إعلام قوى وإذاعات خاصة من بغداد وغيرها، وتأثير على إذاعات أخرى مثل «إذاعة مونت كارلو» وغيرها، وانسياق الإعلام العربى وراء ذلك، جعل الساحات الخارجية تكون انطباعاً أنه لا يوجد سوى «القيادة الوطنية الموحدة»، وخصوصاً فى ظل عدم وجود إعلام إسلامى، والواقع أن مساهمة (ق. و. م) وبطولات عناصرها وتنظيمها لكثير من فعاليات الانتفاضة كان واحداً من أهم الأسباب التى أدت إلى قوة الانتفاضة واتساعها واستمرارها.

---

(١) لطفى الخولى، مرجع سابق، ص ٣٦.

محاولات التنسيق بين (ق. و. م) وحركة حماس:

كان من أهم أهداف «القيادة الموحدة» عند إنشائها كذراع (م. ت. ف) فى الأرض المحتلة، الحرص الشديد على تأكيد قيادة (م. ت. ف) للشعب الفلسطينى وتمثيلها لكافة تياراته واتجاهاته وعلى التأكيد أن كل العاملين لخدمة القضية الوطنية: وطنين أو يساريين أو إسلاميين إنما ينطلقون من أرضية واحدة ومن بيت فلسطينى واحد هو (م. ت. ف).

واتجهت (ق. و. م) فى البداية إلى حركة الجهاد الإسلامى وذلك لأسباب منها أن العلاقة بين عناصر الطرفين لم تصل إلى الصدام طيلة العشر سنوات التى سبقت الانتفاضة ومنذ تأسيس حركة الجهاد، لكونها اكتسبت سمة دولية وجماهيرية فى أعمالها الجهادية... ولم تفلح تلك المحاولة، ومع ذلك أشيع أن حركة الجهاد تعمل فى إطار (ق. و. م)، لكن الحركة نفت ذلك بشدة[1].

وبعد أن اتضح دور الإخوان المسلمين الفاعل فى الانتفاضة حاولت (ق. و. م) أن تضم حركة «حماس» إليها، يقول د. عبد العزيز الرنتيسى، إن القيادة الموحدة حاولت فى لقاء مع الشيخ أحمد ياسين إقناعه بانضمام حركة «حماس» إليها أو على الأقل التنسيق فى مواقف مشتركة وإصدار بيان واحد للانتفاضة، وقد حدد الشيخ أحمد ياسين شروطاً لم تقبلها القيادة الموحدة، منها مثلاً أن البيان المشترك يتم توقيعه من (ق. و. م) وحركة «حماس» معاً بينما كانوا هم يريدون أن يكون التوقيع باسم «القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة»، كان هدفهم إذابة حركة «حماس» واحتوائها[2]. وكانت قيادات حركة «حماس» ترى أن حركة «فتح» على وجه الخصوص، تفهم الوحدة الوطنية وكل مرادفاتها من التنسيق والتعاون والمواقف المشتركة، إنما هى فى الحقيقة هيمنة حركة «فتح» وسيادة منهجها، وكانت تدعم نظرتها هذه بتجربة (م. ت. ف) وفصائلها الطويلة مع حركة «فتح».

١ ـ الاعتبار الفكرى: حيث تختلف «حماس» عن التنظيمات الفلسطينية الأخرى فى منطلقاتها الفكرية للتعامل مع القضية الفلسطينية الذى جعل هناك افتراقاً ـ منذ البداية ـ فى التصور... حيث تعتقد حماس أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية...

---

(١) (مسيرة الجهاد الإسلامى فى فلسطين)، ص ٢٥.

(٢) عبد العزيز الرنتيسى مقابلة، مرجع سابق.

وأن الحرب مع اليهود إنما هى حرب عقائدية بكل جذورها وأصولها، وذات أبعاد حضارية بكل تفرعاتها».(١)

ونسب للشيخ أحمد ياسين فى نفس الموضوع قوله: «يجب أن تكون هناك أرضية أساسية مشتركة تقوم على الالتزام بالقيم والمبادئ الإسلامية وعدم انتهاكها فى فترة المقاومة، كما يجب الاتفاق سلفاً على أن يكون نظام الدولة بعد التحرر هو الإسلام.. فإذا قبلنا بالإقرار بالدولة العلمانية نكون قد خرجنا عن الإسلام»(٢).

٢ ـ الاعتبار السياسى: وهو ينطلق تلقائياً من الاعتبار الأول، وهذا يجعل هامش المناورة السياسية لحماس منضبطاً فى إطار فهمهما الإسلامى وليس منقلباً من كل الضوابط والثوابت(٣)، وعليه فإن الحركة ترفض التنازل عن أى جزء من فلسطين، وبالتالى ترفض جميع قرارات الأمم المتحدة، وترفض المفاوضات المحكومة سلفاً بإمارات العدو نظراً لموازين القوى المختلفة بصورة فاضحة، ولذلك فلا تستطيع الحركة أن تصب جهدها كله من أجل الوصول إلى حلول تتعارض كلية مع مبادئها وموقفها السياسى.

٣ ـ الاعتبار الأمنى: وذلك لعدم التجانس التنظيمى فى تركيب (ق. و. م)، وسرعة انكشاف عناصرها وقياداتها، فقد «كان واضحاً أن حركة (حماس) أكثر انضباطاً فى هيكليتها من (القيادة الموحدة)، الأمر الذى يفسر عدم توجيه ضربات قاتلة لحركة «حماس» من أجهزة الأمن الإسرائيلية»(٣)، فقد كانت حماس حريصة على سرية أعمالها وقياداتها وعناصرها، يضاف إلى ذلك ما تذكره مصادر الحركة عن ظهور حالات اختراق متعددة فى صفوف التنظيمات الأخرى.

ومع ذلك فقد أظهرت حركة «حماس» حرصها على وحدة الشعب الفلسطينى وتماسك جبهته الداخلية حيث التزمت من جانبها باحترام كل الفعاليات والإضرابات التى دعت لها (ق. و. م)، كما سارعت إلى تطويق كل حادث أو ممارسة خاطئة وإلى حل كل الإشكالات بالتى هى أحسن(٤).

وظلت حركة «حماس» تدعو إلى التنسيق وتوجيه كل القوى ضد الاحتلال طيلة السنوات الثلاث الأولى من الانتفاضة ـ وما بعدها ـ وقد ورد هذا فى معظم بيانات

(١) زياد أبو عمرو، ص ٩٥.
(٢) خالد عز الدين، ١٨٩.
(٣) صالح عوض، ص ٤٢.
(٤) خالد عز الدين، ص ١٩٣.

الحركة، وعلى الأخص البيانات، ٣٥، ٣٨، ٤٦، ٤٧، ٥٦، حيث طالبت فيها (ق. و. م)، ترجمة شعاراتها الدعائية إلى الوحدة إلى واقع ملموس، وألا تكون لمجرد الاستهلاك الإعلامي وكسب المواقف، كما أعلنت حماس فى بياناتها هذه أنها قدمت العديد من المذكرات واللوائح الداعية إلى التعاون والتنسيق مع (ق. و. م) ولكنها لم تتلق أى رد حتى الآن مما يشير إلى عدم جدية القيادة الموحدة فى دعوتها للتعاون، أما بيان حركة حماس رقم (٦٦) فقد طالب الجماهير بالتأكيد على تنفيذ فعاليات القيادة الموحدة الواردة فى بيانها رقم (٦٤)(١).

وأخيراً نجد أنفسنا أمام مفهومين مختلفين متباعدين للوحدة الوطنية، فالقيادة الوطنية الموحدة ومن خلفها (م. ت. ف) وعلى الأخص حركة «فتح» التى تقود الطرفين ترى فى الوحدة الوطنية ولقاء كافة القوى السياسية أن يكون تحت مظلة فكرها منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى.

وفى الجهة الأخرى نرى أن مفهوم الوحدة عند حركة «حماس» يقوم على أساس فكرها وبرنامجها السياسى، مع إعرابها عن استعدادها أن تعمل تحت قيادة (م. ت. ف)، كما جاء فى المادة السابعة والعشرين من ميثاق «حماس»: «ويوم تتبنى منظمة التحرير الفلسطينية الإسلام كمنهج حياة فنحن جنودها ووقود نارها التى تحرق الأعداء»(٢).

المناوشات ومحاولات الوقيعه:

وعندما فشلت محاولات التنسيق منذ البداية أو كما تسميها مصادر حركة «حماس «محاولات الاحتواء»، فقد لجأت عناصر القيادة الموحدة إلى أعمال متعددة لمحاصرة دور حركة حماس من طمس لشعاراتها على الجدران، وإلى اتهامها بالعمالة وخدمة الاحتلال، إلى محاولات إفشال فعالياتها، إلى «حالة التمايز التنظيمية التى تمارسها حركة «فتح» فى المناطق المحتلة، حيث تحرم أبناء (حماس) وجماهيرها من حصتهم فى الدعم المادى المخصص للانتفاضة، كما قامت بقطع رواتب العاملين فى الجامعة الإسلامية لأكثر من أربعة شهور دون غيرهم من أبناء الجامعات الأخرى»(٣).

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج ٣، ص ٨٦.

(٢) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، السنة الأولى، ص ١٦٠.

(٣) جهاد صالح (إعداد)، (حركة المقاومة الإسلامية، حماس: بين آلام الواقع وآمال المستقبل)، شيكاغو: المركز العالمى للبحوث والدراسات، ١٩٩١ م، ص ٣٠.

وقد قام الإعلام الإسرائيلي بمحاولات تضخيم الخلافات مستغلاً حالة عدم الثقة المتبادلة بين الطرفين والتركيز على أن حركة حماس تتمدد على حساب نفوذ (م. ت. ف)، وقد وجهت حركة حماس الدعوة إلى كافة الفصائل التنظيمية إلى عدم الالتفات إلى ما تبثه وسائل الإعلام الإسرائيلية والأجنبية، والذى غالباً ما يقصد به الكذب والدس على الحركة(١)

كما قامت أجهزة الأمن الإسرائيلية بواسطة عملائها بمحاولة إذكاء نار الفتنة وشحن الأجواء بالتوتر، حيث يتلثم العملاء منتحلين اسم حماس مرة و «فتح» مرة أخرى أو الحزب الشيوعى، يطمسون الشعارات على الجدران أو يهاجمون عنصراً من هذا الطرف أو عنصراً من الطرف الآخر، يضاف إلى ذلك ما كانت توزعه السلطات المحتلة من بيانات مزورة تكتبها وتنسبها لطرف يهاجم الطرف الآخر، وطبقاً لما جاء فى مجلة (اليوم السابع) فإن أول هذه البيانات المزورة كان بتاريخ ١٩/ ١/ ١٩٨٨ م، وكان بتوقيع «المرابطون على أرض الإسراء» يهاجم الحزب الشيوعى الفلسطينى ويصفه بالحزب الكافر الملحد الذى أنشأته اليهودية العالمية، وفى يوم ٤/ ٢/ ١٩٨٨ م قذفت إلى الشارع ببيان مزور آخر بتوقيع الحزب الشيوعى يهاجم رجال الدين(٢)، وكانت جميع الأطراف تتنبه لذلك وتوزع بيانات توضح حقيقة الأمور، وقد أعلنت حماس أن بيانها الشهرى هو المرجع الأساسى لمواقف الحركة.

وهكذا كما يقول أحد الكتاب: «ظل الخلاف بين القيادة الموحدة وحركة «حماس» المحسوبة على جماعة الإخوان المسلمين يدور على نار هادئة طيلة أربعة أشهر تقريباً، لم تخل من احتكاكات بين مؤيدى الطرفين إلى أن انفجر فى ٢١ آب (أغسطس) ١٩٨٨ م(٣).

الصدام

كان يوم الحادى والعشرين من آب (أغسطس الساخن) عام ١٩٨٨ م نقطة فاصلة فى تاريخ العلاقة بين حركة «حماس» و (ق. و. م)، كما كان يوماً حاسماً فى إظهار قوة حماس ونفوذها فى جميع مناطق الأرض المحتلة وذلك للنجاح الكبير الذى حققه الإضراب الشامل

(١) خالد عز الدين، ص ٢٠٦.

(٢) مجلة (اليوم السابع)، (باريس) عدد ٢٧٢، ٢٤/ ٧/ ١٩٨٩ م.

(٣) خالد عايد (الانتفاضة الثورية فى فلسطين ـ الأبعاد الداخلية)، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٨٨ م، ص ص ٧١ ـ ٧٢.

فى ذلك اليوم بمناسبة الذكرى السنوية لمحاولة إحراق المسجد الأقصى ومنبر صلاح الدين، حيث أغلقت جميع المحلات وتوقفت حركة المرور فى جميع مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية بالإضافة إلى قطاع غزة وهو ما اتفق على تسميته «بالإضراب المنفرد» الذى دعت إليه حماس فى جميع المصادر التى وصل الباحث إليها، فلسطينية أو عربية أو أجنبية، وكل الكتب والمقالات والبحوث وحتى الأكاديمية منها.

والواقع أن حركة «حماس» قد فرضت إضراباتها المنفردة منذ بداية الانتفاضة فى قطاع غزة حيث كان الناس يستجيبون لدعوة الإضراب الصادرة عن حركة «حماس» كما يستجيبون لتلك الصادرة عن (ق. و. م) أو حركة الجهاد الإسلامى، بل كانت جميع الأطراف تسهم فى إنجاح الإضراب الذى يدعو إليه أى طرف منفرد.

ولما لم يعد من الممكن إنكار دور حركة «حماس» فى الانتفاضة، فقد ركز الإعلام الفلسطينى ومن خلفه الإعلام الأجنبى على أن حركة «حماس» موجودة فى قطاع غزة فقط وأن أثرها فى الضفة الغربية محدود، ولم يكونوا فى ذلك مناقضين لظواهر الأمور، فقد ساعدهم على تكوين هذا الانطباع ومن ثم ترويجه «أن قيادات حماس فى الضفة الغربية ولاعتبارات متعددة كانوا يحذفون من البيان الذى يصلهم من غزة كلمة «إضراب» ويضعون بدلاً منها كلمة «تصعيد» فيقال نجح الإضراب فى غزة فقط، وكنا نعلن عن الإضرابات التى تدعو إليها القيادة الموحدة، وكان الشباب غير راضين عن ذلك[1]. وتحت إلحاح الشباب بالتميز لإظهار قوة حماس مع رغبة قيادة الحركة فى التأكيد على نفوذها فى الضفة الغربية أيضاً، جاء أول إضراب منفرد تعلنه «حماس» فى الضفة الغربية وذلك يوم الجمعة ٨/ ٧/ ١٩٨٨ م وفى منطقة نابلس فقط، وقد نجح الإضراب بصورة كبيرة[2].

وفى ١٨/ ٨/ ١٩٨٨ م تم توزيع ميثاق حركة المقاومة الإسلامية وبخاصة فى القدس والضفة الغربية، ذلك الميثاق الذى أقام الدنيا ولم يقعدها، وزاد على ذلك أن وزعت الحركة فى نفس اليوم بيانها رقم (٢٨) الذى يدعو إلى الإضراب الشامل يوم الأحد ٢١/ ٨/ ١٩٨٨ م، وظلت نسخ البيان التى وزعت فى الضفة الغربية تحمل هذه الدعوة، واستعد أنصار حركة «حماس» وقياداتها وعناصرها لإنجاح الإضراب، وكان الإضراب المنفرد الأول للحركة فى مناطق الضفة الغربية.

(١) قادة منطقة نابلس، مرجع سابق.	(٢) المرجع السابق.

أرادت (ق. و. م) وفصائلها أن تؤكد مقولتها أن حماس موجودة فى غزة فقط، فبذلت جهوداً كبيرة لإفشال الإضراب، «وحاول شباب «فتح» كسر الإضراب، وإجبار أصحاب المحلات على فتح محلاتهم وكسر أقفال المحلات المغلقة مما اضطر أصحابها للوقوف أمام محلاتهم لحمايتها من السرقة»[1]، وفى مدينة رام الله قامت مجموعة من شباب (ق. و. م) بضرب أحد عناصر حماس بثلاث زجاجات حارقة أدخل المستشفى على إثرها، وقام آخرون برجم شباب حماس بالحجارة كما قاموا بتحريض التجار وأصحاب المحلات التجارية بعدم الالتزام بالإضراب، وكتبوا على الجدران أنه لا يوجد إضراب وأشاعوا بين الناس أنه لا يوجد شيء اسمه حماس، وليس هناك إلا القيادة الموحدة، وفى العديد من المدن والقرى كانوا يهددون التجار ويفتحون المحلات بالقوة»[2].

فَمَنْ مِنَ الطرفين الذى يتحمل مسئولية الصدام والتصعيد فى الخلافات؟ وهل من حق طرف أن يحتكر لنفسه منطقة ما، وخصوصا إذا كانت بحجم الضفة الغربية؟ ولماذا لم تتعامل القيادة الموحدة مع الإضراب بنفس الطريقة التى تتعامل بها فى قطاع غزة؟ بل ولماذا لم تشارك فيه وتدعو إليه وتعمل على إنجاحه وبخاصة أنه بمناسبة تخص الجميع كما تخص المسلمين جميعاً وهى «إحراق المسجد الأقصى ١٩٦٩ م».

إن هناك حقيقة يعرفها أهل الأرض المحتلة جميعاً وهى أن نجاح الإضراب الشامل ليس دليلاً كافياً على قوة الجهة الداعية إليه بقدر ما هو دليل على درجة الوعى السياسى لدى الشعب وأصحاب المحلات، وعلى درجة الحماس والرغبة فى التعبير عن رفض الاحتلال، وقد دعت تنظيمات صغيرة إلى إضرابات ونجحت هذه الإضرابات على الرغم من عدم وجود عناصر لهذا التنظيم أو ذاك فى كل المناطق لينفذوا الإضراب، وكان يكفى أن تظهر دعوة للإضراب على الجدران، أو يمر صبى صغير على الشارع التجارى فى أية مدينة ليعلن أن اليوم إضراب.

لكن المهمة تكون صعبة على من يريد كسر الإضراب وإفشاله، وقد قامت بهذا قوات الاحتلال مراراً فى البداية، لكنها يئست من ذلك، وهكذا فإن قيل أن حركة حماس قد فرضت إضرابها بالقوة فى الضفة الغربية، فهذا لا يعنى مطلقاً أنها أجبرت أصحاب المحلات على تنفيذ الإضراب، وإنما يعنى أن عناصر الحركة اضطرت للمواجهة والاشتباك

---

(١) المرجع السابق. (٢) خالد عز الدين، ص ١٩٥.

مع العناصر التى تحاول إفشال الإضراب ولعل هذا وليس نجاح الإضراب هو الدليل على قوة الحركة وانتشارها فى كل مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية والتى استطاعت بعناصرها ومؤيديها أن تنجح الإضراب رغم كل محاولات إفشاله.

وفى محاولة يبدو أنها غير مدروسة جيداً، ودون النظر إلى مصلحة الجماهير، والمحافظة على قدرتها وطاقتها، دعا البيان رقم (٢٤) الصادر عن (ق. و. م) فى يوم ٢٢/ ٨/ ١٩٨٨ م، إلى «إضرابات شاملة لأربعة أيام خلال أسبوع واحد، وكأنما هذه القيادة تريد إثبات سيطرتها على الشارع الفلسطينى»(١).

وصدر بيان رقم (٢٥) للقيادة الموحدة فى ٦/ ٩/ ١٩٨٨ م، وقد خصص فقرة للهجوم على حماس معتبراً أن «محاولة فرض إضراب ٢١/ ٨، خطوة تتناقض مع البرنامج الوطنى... وأن أى مساس بوحدة الصف معناه تقديم خدمة جليلة للعدو وضرب الانتفاضة»(٢). وبدأت القيادة الموحدة تدعو إلى إضرابات وهمية باسم «حماس» لإظهار فشلها وعدم تجاوب الشعب معها(٣).

وكانت المواجهة الثانية بين الطرفين يوم ٢٩/ ١١/ ١٩٨٨ م حيث دعت حركة «حماس» إلى الإضراب الشامل بمناسبة ذكرى قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، حيث اعتبرته حماس بمثابة إقرار شرعى بحق اليهود فى اغتصاب جزء من أرض فلسطين، أما (م. ت. ف) فقد اعترفت بقرار التقسيم، واعترفت بدولة إسرائيل، لذلك قامت (ق. و. م) بمحاولة إفشال إضراب «حماس» لأن نجاح الإضراب يعنى رفض سياسة (م. ت. ف) وقراراتها التى لم يمض عليها أسبوعان بعد، وقد قامت الصحف الإسرائيلية بمحاولة إذكاء الفتنة قبل موعد الإضراب وبعده(٤).

وعلى الرغم من كل المحاولات، نجح الإضراب نجاحاً كبيراً، وذكرت مصادر حركة الجهاد: «أن حماس تمكنت من فرض الإضراب بعد اشتباك بالعصى والخناجر استمر أكثر من ساعتين فى مدينة نابلس»(٥)، وقالت صحيفة دافار الإسرائيلية: «لقد تجاوب

(١) خالد عايد، ص ٣٢.

(٢) جريدة (الوطن) الكويتية، عدد ٤٨٦٦ ـ ٧/ ٩/ ١٩٨٨ م.

(٣) خالد عز الدين، ص ١٨٨.

(٤) انظر، خالد عز الدين، ص ص ١٩٧ ـ ٢٠٠.

(٥) صالح عوض، ص ٥٢.

سكان المناطق مع المنظمات الإسلامية، وقاموا بإضراب شامل.. تقريباً.. وهذا الأمر بمثابة نجاح لـ «حماس» وفشل لقيادة المنظمة التابع لـ «فتح»(١).

ولما لم يعد بالإمكان محاصرة قوة حماس وتجاهلها، كما أن القيادة الموحدة وجدت نفسها أنها هي التي تخسر على النطاق الجماهيري من محاولات إفشال إضرابات «حماس» في الضفة الغربية، فقد أصبح الأمر في الضفة مثلما كان عليه في قطاع غزة.

وبعد أن انتهت معضلة الإضرابات المنفردة، قامت بعض الحوادث المؤسفة هنا أو هناك إلى أن تفجرت مشكلة السجون والمعتقلات بإعلان بيان صادر عن معتقلي «حماس» في أحد عشر سجناً من سجون الاحتلال موجه للرأي العام وإلى الأخ ياسر عرفات وإلى رئيس وأعضاء المجلس الوطني الفلسطيني وإلى الشعب الفلسطيني وأنصار «حماس» في العالم وإلى المسلمين في كل مكان، يتحدثون فيه عن الاعتداءات المتكررة عليهم من معتقلي حركة «فتح» وانتهاك حرمة الإسلام من بعض قياداتهم وعناصرهم وحرمان أفراد حركة «حماس» من كثير من الحقوق(٢)، وقد ردت حركة «فتح» في بيان لها على هذه الاتهامات، ووصفتها أنها جملة افتراءات متعمدة، وطعنت في الدوافع وراء ذلك(٣).

أما في شهر سبتمبر ١٩٩٠ م فتظهر بعض الصدامات مع الحزب الشيوعي في مخيم جباليا وكذلك صدامات أخرى مع حركة «فتح» في مخيم البريج بقطاع غزة، وصدامات أخرى في قرية «جبع» بالضفة الغربية، وتقوم المساعي الحميدة بين ممثلي الطرفين في الأردن حيث يتوصلون إلى عدة نقاط اتفاق يرسلونها للأرض المحتلة حيث تم تعديل وإضافة بعض النقاط إليها، وصدر بتاريخ ١٩/ ٩/ ١٩٩٠ م اتفاق موقع من حركة حماس وحركة «فتح» أطلق عليه اسم «وثيقة الشرف».

لم يتعرض الاتفاق للمسائل السياسية وإنما ركز على وضع الأسس للعلاقة الحسنة بين الطرفين والتشديد على حق كل فصيل في الاجتهاد الفكري والسياسي واعتماد الحوار البناء لفض المنازعات وفتح صفحة جديدة واحترام عقيدة الأمة وشعائرها ومساجدها

---

(١) خالد عز الدين، ص ١٩٩.

(٢) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج ٣، ص ١٢٣ ـ ١٢٥.

(٣) بيان موقع باسم حركة فتح في ١٢/ ٤/ ١٩٩٠ م، وبيان آخر باسم المعتقلين الفلسطينيين (ق. و. م) بتاريخ ١٦/ ٥/ ١٩٩٠ م.

وممتلكات المواطنين، وحق كل فصيل في أداء فعالياته كاملة دون تعرض أي فصيل آخر له، وحل مشكلة السجون، وصرف مرتبات موظفي الجامعة الإسلامية[1]، وسوف تكشف الشهور والسنوات التالية مدى الالتزام بهذه الوثيقة.

وأخيراً فإننا نورد هذه الخلافات والصدامات هنا أو هناك لنوضح صورة العلاقة بين الطرفين لكن هذا لا يعني تجاهل الصورة العامة التي طبعت علاقات كل الأطراف، والتي كانت في غالبها التعاون والتسابق على مواجهة العدو من الاشتراك في المظاهرات والصدامات ومساعدة المتضررين وزيارة الجرحى من كل الأطراف وتشييع الشهداء، فقد كان الفضل الأكبر دائماً للتنظيم الأكبر والأعظم الذي كان يتقدم الجميع، ألا وهو الشعب الفلسطيني الذي تقدم بعطائه غير المحدود واحتضن جميع الفصائل وساندها، وكان يقول للمسيء أسأت ويطالبه بالرجوع عن الخطأ.

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية) ج ٣ (نص وثيقة الشرف)، ص ص ١٤٢ ـ ١٤٤.

المبحث الرابع

جدلية الداخل والخارج في العمل الفلسطيني

ليس المقصود بهذه القضية أن نفصل بين الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة وإخوانهم خارجها فقد كان هذا هدفاً دائماً لأعداء الشعب الفلسطيني، لقد أثبت الفلسطينيون وخلال الأربعين سنة التي سبقت الانتفاضة، وعلى الرغم من اختلاف ظروفهم وتنوع معاناتهم في كل الأماكن التي تواجدوا فيها، أنهم شعب واحد متكاتف متعاطف متكامل، تربطه آمال واحدة مشتركة، تتلخص في تحرير فلسطين والعودة إلى الوطن، ولا توجد أسرة في الأرض المحتلة غير مقسومة بين الداخل والخارج، وكان الشعب كله على استعداد دائم للتضحية وتسطير البطولات، من مقاومة الاحتلال في الداخل إلى مهاجمة قواعده من الخارج، ولئن اختلفت أشكال المعاناة فإنها جميعاً كانت تدفع باتجاه العمل والأمل بتحرير فلسطين.

حزب الله
« صداع فى رأس إسرائيل »
نموذج المقاومة
فــــى
جنوب لبنان

أولاً: حزب الله.. النشأة والتكوين

حزب الله هو حركة جهادية إسلامية تعود نشأته لتطور إيديولوجى واجتماعى وسياسى واقتصادى له سياقه الخاص لبنانيا وعربيا وإسلاميا. ويحكم هذا التطور مر حزب الله بجملة من المحطات الرئيسية يمكن تحديد منعطف حاسم لها فى عام ١٩٨٢ والذى شهد الاجتياح الصهيونى للبنان وصولا إلى مدينة بيروت التى كانت ثانى عاصمة عربية تحتل فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى بعد القدس. وهذا المنعطف هو الذى أسرع فى بلورة وحضور حزب الله كحركة جهادية منخرطة فى عملية صراع معقدة وطويلة ومتشابكة مع العدو الصهيونى، فالاحتلال الصهيونى لفلسطين ابتداء ثم للكثير من الأراضى العربية فى مصر وسوريا والأردن ومن ثم الاحتلال الصهيونى للبنان شكل الإطار الموضوعى لبلورة الهوية الجهادية المسلحة لحزب الله ضد الكيان الصهيونى بالقدر الذى شكلت العوامل العقائدية للإسلام تحديداً والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية للشيعة فى لبنان عموماً، وبالتالى العمق السياسى والإيدلوجى لحزب الله كحركة سياسية ـ اجتماعية ـ إيديولوجية داخلية وإذا كان للعوامل الداخلية إرهاصاتها الأساسية فى نشأة حزب الله بالمعنى السابق إلا أن هناك عامل لا يقل جذرية وحسما فى بلورة هذه الهوية وتأكيد سماتها النوعية الفاعلة حتى الآن وهذا العامل يتمثل بالثورة الإسلامية فى إيران التى قادها بنجاح آية الله الخمينى هذه الثورة التى أرست مفاهيم جديدة على صعيد الفكر السياسى المتداول إسلاميا أبرزها مفهوم ولاية الفقيه كما عممت الكثير من المصطلحات السياسية فى الخطاب السياسى الإسلامى فى مواجهة الغرب عموماً من قبيل مصطلح الاستكبار والشيطان الأكبر والمنافقون والمستضعفون.

وبهذا المنعطف وبالنظر إلى العلاقات الوثيقة تاريخياً بين الشيعة فى لبنان والشيعة فى إيران وهى علاقات تتركز على نوع من الارتباط الفقهى الدينى والاجتماعى المتبادل حيث وكما هو معروف فإن إيران تحتضن ثانى أهم حوزة دينية للشيعة فى العالم فى مدينة قم بعد حوزة النجف الأشرف والتى باتت اليوم ولأسباب متعددة تشكل الجامعة الدينية الأولى للشيعة فى العالم.

من هنا كان طبيعياً أن يترسخ الارتباط الإيديولوجى والفقهى بإيران بعد قيام الثورة وتشييد الدولة الإسلامية، هذا الارتباط الذى سرعان ما وجد ترجمته المباشرة بالدعم السريع والمباشر الذى قدمته الجمهورية الإسلامية وعبر حرسها الثورى إلى حزب الله الناشئ على صعيد مقاومة الاحتلال الإسرائيلى.

فقد كان الارتباط الإيديولوجى والدينى بين حزب الله وإيران بعد الثورة ولموقف إيران المبدئى من الكيان الصهيونى أثره الكبير فى رفد حزب الله بكل أوجه الدعم الضرورى المادى والمعنوى والقانونى الذى عجل لاحقا من تحوله إلى أبرز حركات المقاومة للعدو الصهيونى بل بات فى مرحلة من المراحل لاسيما بعد العام ١٩٨٥ الحركة الوحيدة على هذا الصعيد.

إن تحول حزب الله إلى حركة مقاومة للاحتلال الإسرائيلى لم يكن أمراً عارضاً بالنسبة إليه، فطبيعة الحزب الإيديولوجية التى لا ترى فى الكيان الصهيونى أى وجه شرعى ترفع طبيعة التناقض معه إلى درجة التناقض الوجودى كما تجعل طبيعة الصراع معه صراعا شرعيا له بعده الدينى المقدس. فبذور المقاومة الجوهرية تكمن فى طبيعة الحزب الإيديولوجية والعقيدة وفى طبيعة مبادئه السياسية ولذا فهو فى جوهره حركة جهادية وإن وجدت فرصتها الكبرى للتعبير عن نفسها بالاحتلال الصهيونى للأراضى اللبنانية لاسيما فى الجنوب والبقاع الغربى. ومن هنا نستطيع أن نفهم طبيعة الشعارات المركزية (حزب الله) والمتمثلة على نحو مركزى بشعار تحرير القدس الشريف واتخاذ خطابه السياسى البعد الأممى (نسبة إلى الأمة الإسلامية) وحمله أيضاً كهدف استراتيجى راية إقامة جمهورية إسلامية.

وقد تمكنت المقاومة الإسلامية من توجيه ضربات قاصمة للعدو الصهيونى فرضت

عليه الانسحاب تلو الانسحاب كان أبرزها الانسحاب الأول الكبير عام ١٩٨٥ والانسحابات اللاحقة التى فرضت عليه الخروج من منطقة جزين المسيحية المحتلة وصولا إلى فرض خيار الانسحاب الكامل عليه كخيار نهائى تاركاً هذا العدو يتخبط فى سبيل تأمين سبل إخراجه إلى حيز الوجود.

ودشن حزب الله عبر مقاومته أسلوباً نوعياً فى جهاده ضد العدو الصهيونى تمثل بالعمليات الإستشهادية التى ألحقت خسائر نوعية فى العدو على كافة المستويات العسكرية والأمنية والنفسية كما شكلت رافعة معنوية هائلة على صعيد الأمة.

ومن الضرورى الإشارة هنا إلى أن المقاومة استطاعت أن تحظى بمصداقية كبيرة على الصعيدين الشعبى والرسمى المحلى والإقليمى والدولى حتى أن الولايات المتحدة نفسها أعلنت فى أحد مواقفها الرسمية أنها ترى فى المقاومة حركة مبررة على صعيد مجابهة الاحتلال الإسرائيلى.

كما شكلت المقاومة محور إجماع وطنى داخلى رسمى وشعبى قلما حظى به محور من المحاور اللبنانية الداخلية وهذه النقطة جديرة بالوقوف عندها وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار طبيعة المجتمع اللبنانى المنقسم على نفسه دينياً وطوائفياً ومذهبياً وإيديولوجياً وإجتماعياً وثقافياً واقتصادى.

واليوم حزب الله هو أحد أبرز الأحزاب السياسية اللبنانية حيث له حضوره فى المجلس النيابى (٨ نواب) ويشكل بالتالى أحد أهم نقاط التوازن فى الحياة السياسية والاجتماعية الداخلية فضلاً عن أحد أبرز أوجه حضور وفاعلية هذه الحياة. كما أن الحزب يحظى اليوم باحترام كبير على الصعيد السياسى حيث برهن عن قوة حضور وفاعلية ذات مستوى عال من العقلانية والمناقبية والمبدئية والاحترام للآخرين مما جعله يدشن نهجا سياسياً مميزاً عما كان سائداً ومألوفاً. هذا فى جانب، وفى جانب آخر فإن حزب الله يرى نفسه معنى أيضاً بتقديم الإسلام الذى يخاطب العقل والمنطق معنى بتقديم الإسلام الواثق بأسسه ومبادئه وفهمه الحضارى المتقدم للإنسان والحياة والكون.

أيضاً، فإن الحزب مضى بتقديم الإسلام الواثق بقدرته على تحقيق أسس الحق والعدل كما أنه مهتم بالتعريف بالإسلام القادر على الدخول إلى قلوب كل الأمم على تعدد

مشاريعهم وانتماءاتهم السياسية والثقافية وخبراتهم الضخمة بعيداً عن الذاتية والعجب كما أنه متلهف لتقديم الإسلام كضامن لحقوق الإنسان فى خياراته وتلقى قناعاته واعتناق اعتقاداته ومبادئه والتعبير عنها على المستوى الاجتماعى. فى الوقت نفسه فإن الحزب ميال لتشكيل قوة ضغط سياسية وإلى تأسيس نهج خاص فى التعليم والتربية وإلى تقديم مختلف الخدمات لاسيما فى المجالين الطبى والتربوى والإنسانى كما لحزب الله مشروعه الثقافى الخاص الذى يعتمد الإقناع والاستقطاب من خلال الوسائل الإنسانية الحضارية كما هو منصوص عليها فى شرعة حقوق الإنسان بعيداً عن استعمال القوة والعنف والإكراه.

كما ويجب أن يكون واضحاً أن نوع الإسلام الذى يريده حزب الله هو مشروع حضارى يرفض الظلم والإذلال والاستعباد والإخضاع والاستعمار والابتزاز كما أنه يمد يده للتواصل بين الأمم على قاعدة الاحترام المتبادل الإسلام الذى يعنى به هو الإسلام الذى لا يقبل السيطرة أو تقويض الآخرين للتلاعب بالحقوق ومصالح الأمة الإسلام الذى يعنى به هو الإسلام الذى يعتمد التواصل بين الحضارات ويرفض مقولة الصدام الحتمى بينها لأن الإسلام يؤمن بالتواصل الثقافى بين الأمم ويرفض الحواجز من خلال الوسائل الدبلوماسية إلا أنه عندما ينوى الآخرون شن الحروب ضده فإن حزب الله يرى أن من حقه الطبيعى الدفاع عن نفسه.

الإسلام الذى ينهجه حزب الله هو رسالة تهدف لتأسيس الأمن والعدل والسلام والحق لكل الناس لأى دين أو عرق انتموا حزب الله ليس لديه أية عقدة تجاه الآخرين ولكنه يشعر بالمسؤولية تجاههم لجعلهم يفهمون جوهر الإسلام بعيداً عن التعصب والقهر.

كما أن حزب الله لا يبغى تطبيق الإسلام بالقوة أو العنف ولكن من خلال أداء سياسى سلمى الذى يعطى الفرصة للأغلبية فى أى مجتمع أن تقبل ذلك أو ترفضه فإذا أصبح الإسلام خيار الأكثرية فإنه يطبقه وأما إذا كان العكس فإنه يستمر بالتعايش مع الآخرين وبناء سبيل الحوار والتعارف معهم فى سبيل الوصول إلى الاعتقادات السليمة فهو يؤكد أن الإسلام الذى يتبناه ينبذ العنف كوسيلة للوصول إلى السلطة وهذا ما يجب أن تكون عليه المعادلة بالنسبة لغير الإسلاميين أيضاً.

وإذا كنا قد ألقينا لمحة على ظروف نشأة الحزب، فإنه من الواجب استعراض الهيكل

القيادى له والذى يتمثل فى

- سماحة السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله
- سماحة الشيخ نعيم قاسم أمين عام حزب الله.
- السيد إبراهيم أمين السيد رئيس المجلس السياسى لحزب الله
- السيد هاشم صفى الدين رئيس المجلس التنفيذى لحزب الله.
- النائب الحاج محمد رعد رئيس كتلة الوفاء للمقاومة.

وحيث أن حزب الله يعد كيانا فاعلا فيما يتعلق بقضية تحرير التراب الوطنى اللبنانى فإنه من الواجب أن نقوم بتعريف الساحة والميدان الذى قام حزب الله بممارسة فعالياته عليه، تلك الفعاليات التى تؤكد أنها لا تخرج عن نطاق المقاومة المشروعة لاحتلال إسرائيلى والتى توصف زورا وبهتانا من جانب القوى الغربية المؤيدة لإسرائيل وعلى رأسها الولايات المتحدة بأنها إرهاب.

ثانياً: الاقتراب من الشريط المحتل

يبلغ طول الحدود الدولية اللبنانية الفلسطينية ٧٩ كم ويبلغ متوسط عرض الشريط المحتل ١٠ كم ويعمق متفاوت، إذ يصل فى حده الأدنى إلى ٥ كم وفى حد عمقه الأقصى يصل إلى ٣٠ كم عند نقطة الريحان - عرمتا - مثلث كفرحونه. مساحة الشريط تبلغ ٩٠٠ كم أى ما يصل إلى ٩٪ من مساحة الجمهورية اللبنانية.

وتتمثل بوابات العبور من الجنوب اللبنانى إلى فلسطين المحتلة فى التالى:

١ - بوابة الناقورة.

٢ - بوابة حانيتا بالقرب من علما الشعب.

٣ - بوابة بيرانيت بالقرب من رميش

٤ - بوابة دوفيف (بين رميش ومارون).

٥ - بوابة افيفيم مقابل مارون الراس.

٦ - بوابة مقابل بليدا.

٧ - بوابة مقابل ميس الجبل.

٨ - بوابة مقابل حولا.

٩ - بوابة المطلة مقابل كفر كلا.

١٠ - بوابة المطلة (مرج الخيام).

١١ - بوابة المارى.

وتتمثل أهمية الشريط المحتل من الناحية الجغرافية فى أنها تتميز بالتنوع من منطقة لأخرى، وقد عمل العدو الإسرائيلي علي الاستفادة منها على الصعيدين الأمنى والعسكرى منطلقا من هذه المناطق فى تنفيذ مخططاته العدوانية على كافة الأراضى اللبنانية فطبيعة الشريط المحتل فى قسمه الممتد من البحر حتى حدود بلدة مرجعيون بسيطة التكوين إجمالاً تلال متماوجة تتواصل بأودية منفرجة تحمل فى جملتها إسماً شائعاً (خلة)، ولكن سطح الشريط المحتل يصبح أكثر تعقيدا مع الإقتراب من منطقة العرقوب حيث الأرض أكثر وعورة دون أن يصل هذا الأمر فى العرقوب إلى ما عليه فى منطقة جزين حيث التقاطعات والمنحدرات الحادة والأودية الفجة التى تضيق قاعدتها ضيق المسيل المائى فيها أحياناً.

الطبيعة هنا تبدوا أقرب إلى محاكاة مثيلتها فى جبل لبنان، قمماً وأودية وصخوراً وأحراشاً منها إلى تلال جبل عامل وهضابه ولكن قسوة الطبيعة هذه فى بعض العرقوب وبعض منطقة جزين لا تلغى التواصل السريع بين قرى المنطقة ولا يستوجب كثيراً تحريف طريق لمسافة طويلة للوصل بين الحواضر مزارعاً أو قرى ولا يحتم غالباً شأن الأمر فى جبل لبنان دورة طريق كبيرة لوصل مسافة نظر قصيرة.

ونظراً لأهمية هذه المنطقة فقد تمركزت قوات الاحتلال فى أعالى المرتفعات فى القرى المحتلة والتى تشرف على جزء كبير من شمال فلسطين المحتلة. وتتمثل هذه المرتفعات المشرفة بالسفوح الغربية لجبل الشيخ والتى تشرف من بعيد على كل منطقة جبل عامل والجليل الأعلى فى فلسطين المحتلة وعلى الجزء الجنوبى من سلسلة جبال لبنان الغربية وعلى قسم من الجولان السورى وسهل البقاع اللبنانى. وكذلك تمركز الاحتلال الصهيونى فى عدد من تلال منطقة جزين والتى تطل على ساحل صيدا (سجد ١١٢٠ م) ومرتفع قلعة الشقيف (٧١٥ م) المشرف على القسم الأكبر من مدينة النبطية وفى التلال القريبة من حولا ومسيس الجبل والطيبة والتى تتحكم بمداخل قضاء مرجعيون وتلة بيت ياحون (٨٠٠ م) وتلة برعشيت (٧٠٠ م) وتلة حداثا (٧٦٠ م) التى تتحكم بمداخل القطاع الغربى وصولا إلى ساحل الناقورة. وتستند المرتفعات الآنفة فى إحكام السيطرة على منافذ الشريط تلال: زمريا – الأحمدية – الشريقى – الطهره السويداء – الزفاته – الريحان – مثلث كفرحونة – الدبشة – على الطاهر – كفرتبنيت – المحيسبات – مشعرون – القبع – العباد – ميبيب – جبل الجماعة – جبل حميد – شمع – بلاط – راميا – الجاموسى – الحرذن البياضة.

أما سكان المنطقة المحتلة فيعكسون التركيبة الطائفية فى لبنان مع اختلاف فى النسب. فالطوائف الست الكبرى تتمثل بنسب تجعل لكل منها مقاماً على تفاوت فى الوزن والاعتبار والعدد ويتوزع هؤلاء السكان على بلدات وقرى ومزارع تتوزع على أقضية محافظة الجنوب والنبطية كالتالى:

١ ـ قضاء صور (١١ قرية من ٩٦ قرية إجمالى القضاء):

البستان ـ الجبين شمع ـ شيحين ـ التلولطية ـ طير حرفا ـ مروحين ـ الظهيرة ـ يارين ـ علما الشعب ـ الناقورة. إضافة إلى المزارع التالية:

ـ اسكندرونة ـ أم التوت ـ البطيشية ـ ججين ـ حامول ـ أم عضية ـ لبونة ـ الخريبة ـ منطقة النفخة ـ (شمال شرق مروحين) ـ وادى عين التينة.

٢ ـ قضاء بنت جبيل (١٨ قرية من ٣٦ إجمالى القضاء):

بنت جبيل ـ بيت ليف ـ بيت ياحون ـ حانين ـ دبل ـ رامية ـ رشاف ـ صربين ـ رميش ـ الطيرى ـ عيتا الشعب ـ عين ابل ـ القوزح ـ عيناثا ـ كونين ـ مارون الراس ـ يارون ـ عيثرون . إضافة إلى المزارع التالية: جباب العرب ـ سمونا ـ الصالحانى ـ قطمون.

٣ ـ قضاء مرجعيون (٢٦ قرية من ٣٠ قرية إجمالى القضاء):

مرجعيون ـ ابل السقى ـ برج الملوك ـ بلاط ـ بليدا ـ بنى حيان ـ البويضة ـ حولا ـ الخيام ـ الوزانى ـ دبين ـ دير سريان ـ دير ميماس ـ رب ثلاثين ـ سردة والعمرة ـ طلوسة ـ الطيبة ـ ميس الجبل ـ مركباً.

إضافة إلى عدد من المزارع: الزفية ـ الميسات ـ هوار ـ الحمامص.

٤ ـ قضاء حاصبيا: (١٦ قرية من ٢١ قرية إجمالى القضاء). حاصبيا ـ أبو قمحة ـ برغز ـ حلتا ـ راشيا الفخار ـ شبعا ـ شويا ـ عين جرنا ـ عين قنيا ـ الفردوس ـ كفر حمام ـ كفر شويا ـ كوكبا ـ المارى ـ المجيدية ـ الهبارية ـ. اضافة إلى عدد من المزارع: دحيرجات ـ سليمية ـ مزرعة صليبى ـ النخيلة ـ خربة الدوير ـ الخربية. ويضاف أيضاً إلى قضاء حاصبيا مزارع شبعا وهى السفح الجنوبى الغربى لجبل الشيخ بطول ٢٠ كم يبدأ من قمة الزلقا. (ثانى أعلى قمة فى جبل الشيخ) حتى مقر شبعا بعرض يتراوح بين ٧

و ١٠ كم. ابتدأ من بلدة كفر شوبا حتى حدود لبنان الدولية مع الجمهورية العربية السورية حيث قرية بانياس السورية وقد سميت مزارع من تعاطيها الزراعة وتربية الماشية واعتمادها على ذلك وحسب عددها ١٤ مزرعة: مغر شبعا ـ خلة غزالة ـ رويسة القرن ـ ضهر البيدر ـ جورة العقارب ـ فشكول ـ زبدين ـ رمثا ـ قفوة ـ الربعة ـ بيت البراق ـ برختا التحتا ـ برختا الفوقا ـ مراح الملول ـ بسطرة. وكذلك يوجد أملاك وقضية شاسعة تعود للأوقاف الإسلامية ولأوقاف الكنيسة الأورثوذكسية.

٥ ـ قضاء جزين: (٦ من ٤٧ قرية إجمالي القضاء). الجرمق ـ الريحان ـ عرمتى ـ العيشية ـ سجد ـ مليخ ـ القطراني. بالاضافة إلى عدد من مزارعها منها: عقماتا ـ الرمانة ـ الدمشقية ـ خلة خازن ـ رهبان ـ زغرين ـ عاضور ـ عرقوب ـ قبيع قدوح ـ محمودية ـ مراح بوشديد ـ وازعية ـ وردية.

أما المعابر المؤدية من الشريط المحتله وإليه فتتمثل فى التالى:

معبر جسر الحمراء ـ البياضة الساحلى ـ ويختص هذا المعبر بأهالى القطاع الغربى أساساً وأستثناء بأهل القطاع الأوسط فى حال اقفال معبرهم بيت ياحون. معبر بيت ياحون الذى يؤدى إلى قرى القطاع الأوسط فى قضاء بنت جبيل وبعض القرى فى قضاء مرجعيون. ومعبر كفر تبنيت الذى يؤدى إلى قرى قضاء مرجعيون وبعض قرى قضاء جزين. معبر زمريا ومرج الزهور. معبر كفر حونة وارنون ويحمر والشومرية وشقرا وحولا.

فى الوقت نفسه أقام الاحتلال وعملائه من جيش لبنان الجنوبى المزعوم عددا من السجون فى الشريط المحتل تمثلت فى التالى: معتقل الخيام: يقوم على تلة يستظهر فى مطله الغربى بلدة مرجعيون وسهلها. ومن مطله الشمال الشرقى يستظهر بلدة الخيام وإلى الشرق بلدتى المارى والوزانى وبعض منبسطات العرقوب السفلى أما من ناحية الجنوب حيث بوابة السجن الرئيسية فيتواجه مع تلة مستعمرة المطلة المقابلة. وقد اكتسب معتقل الخيام شهرته خارج الشريط المحتل علماً على سياسة القمع الإسرائيلية مع الانسحاب الإسرائيلى فى يونيو ١٩٨٥ وهى شهرة صارت من الاتساع بحيث ظنه البعض سجنا أقيم لساعته مع الانسحاب الانف والواقع أن اعداد المعتقلين القليلة فى سجن الخيام فى سنوات ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ وجلهم من أبناء الشريط كانت غير كافية لأن تعطى هذا المركز

سماً له وقع إلى جانب دوى اسم معسكر أنصار ذى الألوف من المعتقلين والذين يتوزعون بأصولهم على مختلف المناطق اللبنانية والعديد من الدول العربية المجاورة منها والبعيدة.

كان إنسحاب ١٩٨٥ بداية ليكون معتقل الخيام هو الوحيد الذى يتقدم على غيره من مراكز الأمن الإسرائيلية ـ اللحدية فى الشريط المحتل والتى تحولت إما إلى مراكز إستجواب وتوقيف أو إلى سجون إنتقالية يحل بها الموقوفون فى طريقهم إلى أسرهم الطويل فى الخيام.

وأما عن أقسام سجن الخيام فقد تزنر الزنازين وغرف التحقيق باحته الداخلية فى أربعة من أضلعه الخمسة وأما الضلع الخامس وفيه المدخل الرئيسى إلى السجن فهو موقوف لمهام إدارة السجن ولرجال الحراسة والأمن.

يتألف السحن من ثلاثة أقسام رئيسية:

ـ **القسم الأول**: مخصص لغرف إقامة الحرس ومجال عملهم وتجمعهم واتصالاتهم وهو يشغل جهة كاملة من جهات السجن كما يشمل الأبراج الخمسة المطلة من أعلى داخل السور وعلى خارجه.

القسم الثانى: ويندرج فيه مركزان الأول مركز للتوقيف والثانى مركز للتحقيق، وهما مركزان يدور عليهما المعتقلون كافة ولا تنزع عنهما التسمية، والتوقيف والتحقيق، صفة السجن فهما عبارة عن زنازين صغيرة بأبواب معدنية تكاد أن تكون مقفلة فى وجه الضوء الذى يتسلل خفيفاً من فتحات تهويه صغيرة فى طرف من السقف.

ـ **القسم الثالث**: ويتألف من سجون المعتقل وعددها خمسة المعتقلون يعرفونها بالموقع أو بالمهمة أو بتاريخ البناء (السجن التحتانى والسجن الوسطانى والسجن الفوقانى والسجن الجديد وسجن النساء).

ولا ترمز هذه التسميات إلى اختلاف فى شروط الاعتقال فالتقسيم فى جميع هذه الأقسام ينتهى إلى زنازين انفراديه تتدرج فى أحجامها ما بين الكثير ضيقا ٥٠ * ٥٠ * ١٧٠ سم طولاً وعرضاً وارتفاعاً وهى ما يكنى المعتقلون واحداتها بـ (القن) مثلاً على الأقل فى الحجم وفى الوسخ ونتن الرائحة إلى زنازين أكبر حجماً بابعاد ما بين ٢ متر طولاً * نصف متر عرضاً وبين ٢ متر * ٢ متر طولاً وعرضاً وتحمل صفة الزنازين الجماعية و...

تراوحت فى تسميتها على لسان المعتقلين لضيقها وكثرة المعتقلين فيها.

(بالقبر) مع زنزانة الحجم الأولى و (بحبسه المقبرة) مع زنزانة الحجم التالى.

باشر سجن الخيام مهمته بعدد وافر من المعتقلين قارب المئتين مع افتتاحه مطلع سنة ١٩٨٥ نقلت قوات الاحتلال الإسرائيلية بعض هؤلاء المعتقلين من معسكر أنصار مع انسحابهم الأخير وإلى حدود الشريط المحتل أما بعضهم الآخر فكان مازال ولشهور طويلة من قبل قيد (الاستجواب والتحقيق) فى ثكنة الخيام حيث لم يكن للثكنة صفة السجن وقد ظل هذا الرقم ٢٠٠ معتقل رقم الحد الأدنى الدائم تقريباً حتى سنة ١٩٩٨ إذ كان عدد المعتقلين منتصف هذا العام ١٩٠ معتقلا بقى منهم ١٣٠ معتقلا بعد عملية تبادل الأسرى الأخيرة التى جرت فى ٢٥ يونيو ١٩٩٨.

أما الحد الأقصى فقد وصل إليه عدد المعتقلين فى سنة ١٩٩٠ حيث بلغ ٣٥٠ معتقلا ولكن الأساسى فى مجال المعتقلين هو إمساك العدو الإسرائيلى فى عيار عدد المعتقلين من خلال الزج الدائم بنزلاء جدد مع سياسة الترهيب الدائمة التى يمارسها هذا العدو بحق أهالى قرى وبلدات الشريط الحدودى المحتل.

ولقد تحررت دفعات متتالية من معتقل الخيام مما يدل على أن أعداداً كبيرة من أبناء القرى المحتل اعتقلت خلال السنين الماضية:

سنة ١٩٨٥ أطلق سراح ٢٩٧ معتقلاً.

سنة ١٩٨٦ أطلق سراح ٩٥ معتقلاً.

سنة ١٩٨٧ أطلق سراح ٤٦ معتقلاً (فى ٢٧ مايو ١٩٨٧).

سنة ١٩٨٨ أطلق سراح ٢٩ معتقلاً (على دفعتين فى ١٥ فبراير ١٩٨٨ و ١ يوليو ١٩٨٨).

سنة ١٩٩٠ أطلق سراح ٤٢ معتقلاً (على دفعتين ١٧ مايو ١٩٩٠ و ٣٠ أكتوبر ١٩٩٠).

سنة ١٩٩١ أطلق سراح ٩١ معتقلاً (أطلقوا على أربع دفعات).

سنة ١٩٩٣ أطلق سراح ١٧ معتقلاً.

سنة ١٩٩٤ أطلق سراح ٨ معتقلين (على ثلاث دفعات).

سنة ١٩٩٥ أطلق سراح ١٦٣ معتقلاً (على ١٤ دفعة).

سنة ١٩٩٦ أطلق سراح ٩٠ معتقلاً (على ٥ دفعات).

سنة ١٩٩٧ أطلق سراح ٢٦ معتقلاً (على ٤ دفعات).

سنة ١٩٩٨ أطلق سراح ٦٠ معتقلاً.

حتى تم تحرير الغالبية العظمى من المعتقلين فى شهر مايو عام ١٩٩١ وذلك بعد أن فرت قوات الاحتلال الإسرائيلى والقوات العميله تاركة وراءها آلاف من أبناء الشعبين اللبنانى والفلسطينى فى زنازين المعتقل - مراكز التوقيف والاعتقال والاستجواب فى الشريط الحدودى المحتل: وهى عديدة فى الشريط المحتل وهى أمكنة سواء، ولا يوجد تفاوت كبير بينها فى مهام الإعتقال والتحقيف أى فى مهام المذلة والمهانة والتعذيب ومع أن معتقل الخيام يبدو (أسوأها) فى هذا المجال إلا أنها لا تقدم أن تتجاوزه أحياناً فى حدود الجريمة وبشاعتها إذ لم يكلف التحقيق فى حق الشهيد يوسف سعد (على سبيل المثال) وتعذيبه وإصدار الحكم باعدامه وتنفيذ هذا الحكم ونقل الجثة إلى جبانة البلدة أكثر من ساعتين كان ذلك فى مايو ١٩٩١ فى مركز أمن الـ ١٧ فى بنت جبيل. وفى بلدة عيترون لـ يكلف الحكم من قبل العملاء والصهاينة باعدام أخوة ثلاثة أثناء عودتهم من أعمالهم شغل الفاعل ومع غفلتهم وعدم مسؤوليتهم عن كل ما حدث فى نهار غيابهم خارج بلدتهم عيترون سوى ساعة معدودة بدقائقها.

ونستطيع القول أن مراكز التحقيق والاعتقال والإدانة والتعذيب تقوم فى كل مقرات جيش العميل لحد ومراكزه لا بل أن بعض أفراد هذا (الجيش العميل) وتحديداً المرتبطين منهم بأجهزة الأمن الصهيونية يشكلون بأشخاصهم وإرادتهم مراكز متحركة فى التحقيق والاستجواب والمحاكمة العشوائية والتى تفتقد لأية ميزة من مزايا المدنية ولأبسط بند من بنود حقوق الإنسان.

ثالثاً: أسباب نجاح المقاومة

١ - الاستقلال والسرية:

خلافاً لتقليد «المقاومات» السابقة لم تشارك المقاومة الإسلامية منذ نشأتها إلى اليوم مع أى طرف آخر فى عمليات ضد الاحتلال. ولا يعود ذلك إلى الرغبة فى الانسجام العقائدى بين أفرادها بل ترد بسبب خشيتها من اختراق العدو صفوفها عندما تتنوع الانتماءات والاتجاهات السياسية والعقائدية بحيث يصعب مراقبتها أو السيطرة عليها كما كان يحصل مع التجارب السابقة للمقاومة (وخصوصاً الفلسطينية) والتى تعرضت لكثير من الضربات للمقاومة والاغتيالات بسبب هذه الاختراقات الأمنية فى صفوفها.

٢ - توسيع قاعدة المقاومة:

وقد تعرضت المقاومة الإسلامية - بسبب هذه الرغبة فى القيام بعملياتها دون أى تنسيق أو مشاركة مع الفصائل العسكرية الأخرى - إلى الاتهام حيناً بأنها تحتكر المقاومة لأغراض سياسية وإلى إهمالها حيناً آخر جوانب الصمود والتنمية الاجتماعية التى تكمل الجانب العسكرى فى المقاومة. وقد استطاعت المقاومة الإسلامية أن تتجاوز هذه الاتهامات وأن تفتح باب المشاركة للقوى الأخرى غير الإسلامية التى ترغب فى مقاتلة الاحتلال دون أن تتخلى عن أطرها الخاصة التنظيمية والأمنية والعسكرية. فأعلنت وبلسان الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله فى الثالث من نوفمبر ١٩٩٧ م عن تشكيل «السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلى» كإطار جامع لكل راغب فى المشاركة بأعمال المقاومة المسلحة ضد قوات الاحتلال فى جنوب لبنان وأكد السيد نصر الله: «أن هذا التشكيل

سوف يبقى منفصلاً عن جهاز المقاومة الإسلامية التى ستكون جاهزة لتقديم كل دعم تحتاجه السرايا اللبنانية من أجل القيام بأعمال عسكرية وأمنية فى المناطق اللبنانية المحتلة».

ولم يكن هذا الإعلان عن تشكيل «سرايا لبنانية لمقاومة الاحتلال» من دون تحديد أى بعد عقائدى (إسلامى) لها مجرد رغبة فى رد تهمة احتكار المقاومة كما لم يكن هذا الإعلان كذلك مجرد رغبة فى المحافظة على الإطار التنظيمى الأمنى والعسكرى لخلايا المقاومة الإسلامية بل كان إدراك المقاومة لأهمية توسيع دائرة المشاركة فى قتال العدو فى المجتمع اللبنانى المتنوع طائفياً ومذهبياً وسياسياً هو الدافع الأهم لتشكيل مثل هذه السرايا التى نفذت بعد ذلك عمليات عدة ضد الاحتلال ذلك أن الخصوصية الإسلامية للمقاومة شكلت عائقاً أمام تحقيق رغبة بعض اللبنانيين من طوائف غير إسلامية ومن اتجاهات سياسية مختلفة فى الانضواء تحت لواء المقاومة الإسلامية لمقاتلة الاحتلال. وحتى لا يبقى هذا القتال حكراً على جماعة دون أخرى من اللبنانيين كانت هذه المبادرة التى تمحورت بالنسبة إلى قيادة المقاومة الإسلامية حول جملة أهداف وأولويات أهمها:

- تكريس قضية الصراع مع العدو وتحرير الأرض.
- محاربة التطبيع.
- إجهاض محاولات العدو لتكريس احتلاله وكيانه الغاصب كواقع شرعى وقانونى فى قلب المنطقة.
- خلق نقطة إجماع كبرى وطنياً وقومياً وإسلامياً تشمل مختلف أنواع القوى والقيادات والشرائح الاجتماعية والمذاهب الدينية والمعتقدات السياسية والثقافية والفكرية.

٣ـ استخدام أساليب قتاليه متطورة:

استخدمت المقاومة الإسلامية الأساليب المعروفة فى حروب العصابات أى المجموعات الصغيرة التى تشن هجومات مفاجئة على دوريات العدو وتحصيناته أو تعمل على زرع الألغام والكمائن على طرق مواصلاته. لكن المقاومة نجحت إلى جانب هذه الأساليب فى تقديم تجربة متميزة ومختلفة عن التجارب الأخرى فى لبنان على المستويات الأمنية والإعلامية والسياسية أبرز ملامحها:

أ ـ تعدد التكتيكات والعمليات:

فلم تعتمد المقاومة الإسلامية تكتيكاً واحداً فى المواجهة هو انتظار جنود الاحتلال على الطرقات أو فى الأحراش أو قصف مواقعه من القرى البعيدة. بل لجأت إلى المبادرة إلى شن عمليات واسعة وأحياناً متعددة فى الوقت نفسه على أكثر من موقع من مواقع الاحتلال وتمكنت فى حالات كثيرة من السيطرة على هذه المواقع لساعات طويلة وتدميرها وأسر من فيها فى بعض الأحيان.

ب ـ تطوير قدرات استخبارية عالية:

نجحت المقاومة الإسلامية فى تطوير قدرات استخبارية عالية مكنتها من رصد تحركات جنود الاحتلال وعملائه وإيقاع خسائر مباشرة وكبيرة بهم عبر الكمائن أو التفجيرات فى داخل الشريط المحتل وخارجه وصولاً إلى الحدود الإسرائيلية نفسها مما أدى فى الأوساط الإسرائيلية العسكرية والأمنية إلى طرح الشكوك والتساؤلات وتشكيل لجان للتحقيق حول مدى اختراق «حزب الله» لهذه الأوساط أو للعملاء خصوصاً بعد الفشل الذريع لمحاولة الإنزال الإسرائيلية الأخيرة فى بلدة «أنصارية» المحاذية للشاطئ فى جنوب لبنان والتى قضت المقاومة فيها على جميع جنود النخبة الذين شاركوا فى هذه العملية وبلغ عددهم حوالى خمسة عشر جندياً إسرائيلياً وقد احتفظت المقاومة بأشلاء العديد من هؤلاء الجنود الذين تم تبادلهم لاحقاً مع رفات أربعين شهيداً للمقاومة بينها ثلاثون شهيداً للمقاومة الإسلامية وهى المرة الأولى فى تاريخ إسرائيل التى تواجه فيها مثل هذا النوع من الفشل فى عمليات مماثلة.

٤ ـ الحرب النفسية والإعلام الحربى:

اعتمدت المقاومة الأساليب النفسية والمعنوية الحديثة فى عملية التأثير سواء على الرأى العام المدنى والعسكرى فى صفوف العدو. فقد تمكنت المقاومة فى إطار جهاز سرى أطلق عليه «الإعلام الحربى» يخضع أفراده لدورات خاصة عسكرية وعقائدية وفنية من تصوير مباشر لمعظم عملياتها ضد جنود الاحتلال وعملائه ونقلت صوراً حية لعمليات اقتحام المواقع وتثبيت راياتها فوق الدشم والتحصينات. وعمدت المقاومة فى الإطار نفسه إلى نصب كمائن إعلامية للعدو فوزعت على سبيل المثال ٢٧/ ٢/ ١٩٩٨ فى شريط مصور

عن سير عملية اقتحام موقع «بئر كلاب» إلا أن قائد وحدة الارتباط فى جيش الاحتلال إيرز غورشتاين ادعى أن المقاومين لم يدخلوا الموقع فعادت المقاومة ووزعت شريطاً جديداً يتضمن تفاصيل اقتحام الموقع ودخول المقاومين إليه ورفع الرايات فوق دشمه. وقد تكررت الخدعة الإعلامية نفسها مع اقتحام موقع «الدبشة» فى ٢/ ٩٩ وموقع «حداثا» فى ٩٩ كما نظمت المقاومة وعلى مستوى آخر وفى مناسبات مختلفة زيارات إعلاميين ورؤساء بلديات ومحافظين إلى مواقعها. واستخدمت المقاومة شبكة الإنترنت لتبث بواسطتها أخبار عملياتها ورسائلها المختلفة إلى أنحاء العالم كافة وخصص تليفزيون المنار أحد وسائل إعلام المقاومة إلى جانب إذاعة النور) على الشبكة نفسها صفحة خاصة تهتم بأخبار المقاومة الإسلامية وتتضمن نصوصاً حول المقاومة وعملياتها باللغتين العربية والإنجليزية. ومثل هذا الاستخدام للتقنيات الحديثة ولتصوير العمليات يحصل لأول مرة فى تاريخ المقاومة ضد الاحتلال فى لبنان.

ـ مواجهة مع العدو وتهدئة فى الداخل:

تجنبت المقاومة الصدامات والمعارك الجانبية مع المنظمات والحركات السياسية والعسكرية التى كانت تعج بها الساحة اللبنانية قبل الاجتياح الإسرائيلى فى ١٩٨٢ م وبعده. كما تجنب حزب الله (الإطار السياسى للمقاومة) مثل هذه المواجهة مع السلطة اللبنانية معتمداً استراتيجية العنف على جبهة المواجهة مع العدو والتهدئة على الجبهة الداخلية. وقد تجنب بسبب هذه الاستراتيجية التورط فى صدام مع الجيش اللبنانى فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ م إثر توقيع اتفاق أوسلو بعدما أطلق الجيش النار على تظاهرة شعبية سلميه لحزب الله خرجت تندد بالاتفاق وسقط فى خلالها ثمانية قتلى وعشرات الجرحى من المتظاهرين. بل تحولت العلاقة مع الجيش فى السنوات اللاحقة إلى علاقة تعاون وتنسيق تحصل أيضاً لأول مرة فى تاريخ المقاومة فى لبنان مما أدى إلى كشف العديد من العملاء ومن الشبكات الأمنية المرتبطة بالعدو ومحاكمة من قبض عليهم أمام القضاء اللبنانى.

المشروعية الدولية للمقاومة المسلحة

ولعل الحديث عن مقاومة حزب الله ونجاحها فى دحر الاحتلال الإسرائيلى دفعنا إلى طرح سؤال حول ما يردده الغرب من مزاعم بأن ما يقوم به العرب من مقاومة ليس سوى

ممارسة للإرهاب ولاشك فى أن هذا السؤال قديم طرحته شعوب عدة بأقلام مفكريها ومناضليها وهى تمارس كفاحها المرير ضد الاحتلال الأجنبى لأراضيها.

طرحته الشعوب التى اجتاحتها الجيوش النابوليونية فى مطالع القرن التاسع عشر. والشعوب التى استعمرتها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا فى القرن ذاته وفى مطلع القرن العشرين. وطرحته الشعوب التى ابتليت بحروب ألمانيا النازية فى الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن. وطرحته جميع الشعوب فى القارات الخمس التى قاست من ويلات الاستعمار ومظالم النظم السياسية المستبدة فى حقبة الحرب الباردة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية.

ومع ذلك يبدو العرب وكأنهم وحدهم معنيون بهذا السؤال على أعتاب القرن الحادى والعشرين ربما لأنهم أبرز الشعوب التى تنخرط بشكل أو بآخر فى مقاومة مسلحة للعدوان والاحتلال الأجنبيين وللأنظمة السياسية المستبدة على امتداد القارة العربية وأحياناً عبر البحار وفى عقر دار مراكز التسلط والهيمنة العالميين.

فى مواجهة المقاومة العربية المسلحة تحاول دول حلف الأطلسى وإسرائيل أن تلقى فى روع العالم إن ما يفعله المقاومون العرب هو نوع من أنواع الإرهاب. بل هى سعت مؤخراً من خلال مؤتمر شرم الشيخ إلى دمغ المقاومة العربية بالارهاب وحشد تأييد دولى واسع لمكافحتها.

فى هذا المجال تسعى الولايات المتحدة وإسرائيل إلى إقامة حلف دولى يربط العديد من الدول لاسيما فى العالم العربى لشن الحرب على حركات المقاومة المسلحة لاسيما فى لبنان وفلسطين المحتلة بالوسائل الآتية:

- تنسيق جهود أجهزة المخابرات وتبادل المعلومات وتوفير الخبرات.
- تعطيل مصادر تمويل حركات المقاومة المسلحة لشل أنشطتها.
- الإيقاع بين حركات المقاومة المسلحة وأوساطها الشعبية وبيئتها القتالية.
- تأجيج الحروب الأهلية والصراعات المحلية لتعطيل فعالية حركات المقاومة المسلحة.
- التعاون فى تخطيط عمليات عسكرية وإرهابية وتنفيذها فى الدول الحاضنة لحركات المقاومة المسلحة ومحاولة تصفية رموز قيادية فيها لاحباطها.

مشروعية المقاومة

غير أن الجهود الأطلسية «والإسرائيلية» المحمومة تبقى رغم تكثيفها عاجزة عن النيل من المشروعية الوطنية والدولية للمقاومة المسلحة. فهي مشروعية نابعة من القانون الدولى والاتفاقات الدولية وقرارات الأمم المتحدة وتحظى بدعم قوى من الشعوب المبتلاة باحتلال أجنبى أو بسلطة جائرة.

لعل الدفاع عن النفس هو كالمبدأ الأول فى شرعنة المقاومة المسلحة. فالشعوب مدعوة دائماً للدفاع عن وجودها الوطنى ومقاومتها للعدوان والاحتلال الأجنبيين مظهر بارز من مظاهر الدفاع عن النفس طلباً للحرية والاستقلال.

والحق فى تقرير المصير هو المبدأ الثانى فى شرعنة المقاومة المسلحة ذلك لأنه حق غير قابل للتصرف ولا يجوز لأى دولة مستبدة أن تتوسل بأى وسيلة لتعطيله أو قمع الجهود الموظفة لنصرته.

والقانون الدولى هو المصدر الرئيسى فى دعم مفهوم المقاومة المسلحة وهو يميز بين الارهاب بما هو «استخدام غير شرعى للقوة أو العنف بقصد الحصول على أهداف سياسية» والمقاومة المسلحة بما هى «أداة لممارسة الحق فى تقرير المصير أو فى التحرر من قوة احتلال لا تراعى القانون الانسانى الدولى».

فى هذا الإطار يجب التنويه باتفاقات وقرارات دولية عدة أسهمت فى تجذير المشروعية الدولية للمقاومة المسلحة أبرزها:

ـ إتفاقيات لاهاى للعام ١٨٩٩ والعام ١٩٠٧ المتعلقة بقانون الاحتلال الحربى.

ـ اتفاقيات جنيف للعام ١٩٤٩ لاسيما الاتفاقية الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين فى

زمن الحرب والاحتلال الحربى وحماية الحقوق والحريات وتحريم اللجوء إلى القوة والتهديد ولعل أبرز مبادئها أربعة:

١ ـ الاحتلال وضع مؤقت ليس له صفة الدوام وليس له أى تأثير فى استمرار وجود الدولة.

٢ ـ الاحتلال لا يؤدى إلى نقل السيادة من دولة إلى أخرى لأن السيادة تبقى كامنة فى السكان الذين يحق لهم خلال فترة الاحتلال رفض الغزو واللجوء إلى المقاومة بما فيها حروب العصابات وحركات المقاومة).

٣ ـ الاحتلال لا يخول دولة الاحتلال إلا صلاحية ممارسة سلطة فعلية واقعية تهدف إلى حفظ السلام والأمن فى الاقليم المحتل وتسيير شؤون سكانه.

٤ ـ قانون الاحتلال الحربى هو الذى يحدد الإطار التشريعى والاجرائى لسلطة الاحتلال. وكل تغيير تدخله عليه هذه السلطة يجب أن يقتصر على مواجهة متطلبات الحياة اليومية للسكان.

ميثاق الأمم المتحدة الذى حرم الحرب وحرم استخدام القوة بل حرم مجرد التهديد باستخدامها ولم يسمح بالحرب إلا فى حالة الدفاع المشروع عن النفس. وقد اعتبرت المادة ٥١ منه أن للدول فردياً وجماعياً حقاً طبيعياً فى الدفاع عن نفسها إذا ما تعرضت لعدوان مسلح. وقد اعتبر معظم الفقهاء أن تفوق الكبار فى السلاح يضطر الشعوب والدول الصغيرة إلى ممارسة حقها بالدفاع المشروع عن طريق المقاومة بمختلف أشكالها وفى طليعة ذلك المقاومة الشعبية وحرب العصابات.

الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨ والاتفاقية الخاصة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاتفاقية الخاصة بالحقوق المدنية السياسية للإنسان. وقد اعتبر الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى ديباجته أنه من الضرورى أن يتولى نظام قانونى حماية حقوق الإنسان لئلا يضطر المرء فى نهاية الأمر إلى التمرد على القهر والطغيان.

القرارات الدولية التى صدرت عن مجلس الأمن الدولى والجمعية العمومية للأمم المتحدة منذ عام ١٩٦٧ وحتى ١٩٩١ التى انطوت على توصيف قانونى للأراضى المحتلة ووجوب تطبيق الاتفاقات الدولية لاسيما منها اتفاقية جنيف الرابعة ودعوتها إسرائيل إلى التزام أحكامها والاقلاع عن انتهاكها. وهى تشكل مرجعية قانونية مؤيدة للجانب العربى

فى مواجهة ممارسات إسرائيل التى ينطبق عليها «ارهاب الدولة».

ولعل أهم هذه القرارات القرار رقم ٢٨٥٢ الصادر عن الجمعية العمومية بتاريخ ٢٠ــ ١٢ــ ١٩٧١ الذى دعا إلى «ضرورة وضع مبادئ تهدف إلى تعزيز حماية الأفراد الذين يناضلون ضد السيطرة الاستعمارية والأجنبية وضد الاحتلال الأجنبى والأنظمة العنصرية» وضرورة «تطوير القواعد المتعلقة بوضع المناضلين ورجال العصابات وحمايتهم ومعاملتهم معاملة إنسانية فى إبان المنازعات المسلحة الدولية وغير الدولية».

غير أن كل هذه المبادئ والأحكام والاتفاقيات والقرارات الدولية تبقى إلى حد بعيد أسيرة موازين القوى الدولية. فالدول الكبرى تحاول دائماً أن تطبق قانونها قانون الغالب وما على المغلوب أو الضعيف الا أن يرضخ إذا اعيته الحيلة غير أن صراع الدول الكبرى فيما بينها من جهة وتكافؤها فى القوة من جهة أخرى يسمحان للشعوب أحياناً كما فى حقبة الحرب الباردة التى نوت بانهيار الاتحاد السوفياتى فى مطالع التسعينيات بأن تلتقط أنفاسها فتباشر مقاومة واسعة تتكلل أحياناً بانتصارات مؤزرة كما فى حالات الجزائر وفيتنام وايران. واليوم إذ تعود الدول الكبرى خاصة الولايات المتحدة الأمريكية إلى بسط هيمنتها الفظة على العالم لا يبقى أمام الأحرار فى الشعوب المستضعفة الا التمرد والعصيان والمقاومة.

إلا أن الحديث عن حزب الله كجماعة مقاومة رئيسية فى جنوب لبنان لا يمكن أن يكمل الصورة بدون الرجوع سنوات إلى الوراء لإلقاء نظرة تاريخية على أطماع إسرائيل فى جنوب لبنان.

نقاط ضوء
حوارات
حسن نصر الله
« حزب الله »

أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله لـ «الحوادث»: ولادة حزب الله تمت بقرار ذاتى وبظروف محلية مباشرة.. والثورة الإيرانية تقف إلى جانبه وسوريا تحميه

لم نعرف ثائراً بمثل هذا الهدوء، ولا عقائدياً بمثل هذا الإيمان، ولا مناضلاً بمثل هذه الشجاعة، ولا قائداً بمثل هذه الحكمة، ولا مفكراً بمثل هذا الصفاء والوضوح، ولا سياسياً بمثل هذه المصداقية، ولا عالم دين يعالج الأمور بمثل هذه الرؤية.

وقلما اقترن الفكر بالفعل كما اقترن عنده، فهو رأس مؤسسة قلبت المعادلات فى تاريخ المنطقة، ونقلت الرعب من خندق إلى الخندق المقابل، وأعطت للشهادة فى سبيل الأوطان معنى جديداً، وباتت تشكل الرقم الصعب فى موضوع الصراع مع إسرائيل. إنه رجل يسجل التاريخ، أو على الأقل يسجل للتاريخ صفحات من أروع صفحاته.. إنه السيد حسن نصر الله أمين عام حزب الله. وهنا وقائع الحوار الذى أجرته «الحوادث» معه:

● «الحوادث»: تعزيز قوة حزب الله كماً ونوعاً، كما جاء فى مطبوعات أوروبية متخصصة، هل يمكن أن تقبل به إسرائيل، وهل هو محاولة استدراج لحرب شاملة فى الجنوب؟

●● السيد نصر الله: أساساً حزب الله هو غير مقبول من إسرائيل منذ سنة ١٩٨٢، إذ

أنها لا تتحمل ولا «تطيق» وجود مقاومة فى مواجهتها، ولكن وجود حزب الله وتطور قوته وتعزيزها، كماً ونوعاً، هو أمر مرهون بإرادة نفس أتباع هذا الخط وبإرادة اللبنانيين أنفسهم ولا يحتاج إلى موافقة إسرائيلية، أو أذن من الإسرائيليين، أو من أحد. أما أن هذا الأمر هل يدفع باتجاه حرب شاملة، فأنا لا أعتقد ذلك، لأن هذه القوة، هى القوة المقاومة، وأثبتت التجارب حتى الآن أن الاندفاع باتجاه الحرب فى لبنان هو أمر غير مضمون النتائج، ومرشح للفشل، وبمعزل عن قوة حزب الله وتناميها أو عدم تناميها. أعتقد أن الإسرائيليين، حتى الآن، تلقوا دروساً كبيرة من جراء حروبهم المتعددة فى لبنان، وأعتقد أن عليهم أن يستفيدوا من هذه الدروس على كل حال.

● «الحوادث»: لوحظ أن تعزيز قوة النار فى حزب الله أتى بعد المؤتمر الأخير للحزب وتشكيل المجلس الجهادى فيه واستقطاب دعم إيرانى إضافى. هل يعد الحزب نفسه لحرب طويلة حتى بعد الانسحاب؟

●● السيد نصر الله: أولاً هذا التقدير غير صحيح، لأن قوة النار متوافرة منذ سنوات، والمجلس الجهادى هو أيضاً قائم فى الحزب منذ سنة ١٩٩٠ ــ ١٩٩١، غير أن الانفتاح الإعلامى ربما قصر فى تظهير الصورة وتوضيحها. هذا بالنسبة إلى الشق الأول من السؤال، أما بالنسبة إلى الشق الثانى وهو مستقبل الوضع فى الجنوب، فنحن عادة نقول إنه على الإسرائيليين أن يخرجوا منه، ولكننا لسنا معنيين بتقديم ضمانات أو أن نتحدث عن المستقبل بوضوح، أن إخفاء هذا الأمر والاحتفاظ به سراً هو قوة للبنان والمقاومة ورقة للتعاطى مع هذه القضية، خصوصاً أن الإسرائيليين لا يكشفون كل ما يريدون فعله فى المستقبل.

● «الحوادث»: هل عمليات حزب الله سوف تتواصل حتى ولو بادر الإسرائيليون إلى الانسحاب الأحادى وغير المشروط؟

●● السيد نصر الله: هذا أمر نحتفظ به ك (سر) ونخفيه، ونقول: لينسحب الإسرائيليون ولكل حادث حديث.. وإخفاء هذا الأمر إنما نفعله ليس فقط على سبيل المناورة المجانية كما يظن البعض لأننا نعتبر أن فى ذلك قوة للبنان حتى أشعار آخر.

● «الحوادث»: قيل إن حرب حزب الله ضد إسرائيل ليست تقنية بمقدار ما هي مخابراتية وتجسسية. إلى أي حد تمكن الحزب من كشف شبكات لوبراني في لبنان؟

●● السيد نصر الله: حرب المقاومة في مواجهة الاحتلال متعددة الإبعاد والجوانب، فهي عسكرية وأمنية ونفسية وسياسية وثقافية، بمعنى أننا نستخدم كل الوسائل المتاحة والمتوافرة بين أيدينا، وهذا من حقنا ومن واجبنا، إذ يفترض الإفادة من كل الطاقات والامكانات المتوافرة لدحر الاحتلال والحاق الهزيمة بالعدو وفرض الانسحاب عليه.. في المجال الأمني أيضاً تحققت إنجازات مهمة، فخلال السنوات الماضية تم اكتشاف الكثير من الشبكات وحصل تعاون وثيق مع الأجهزة الأمنية الرسمية، وخصوصاً القضاء العسكري الذي كان له الحضور الفعال ومازال، وكان لتحويل هؤلاء الجواسيس والعملاء على القضاء العسكري وصدور أحكام بحقهم تتراوح بين السجن وعقوبة الإعدام التي نفذت بحق العميل أحمد حلاق.. كان لذلك الآثار المهمة جداً في ضرب الشبكات القائمة، بحيث إننا نستطيع القول الآن إن جزءاً كبيراً من الشبكات تم تفكيكه.

● «الحوادث»: ألم يعد هناك من شبكات؟

●● السيد نصر الله: لا ندعي أنه لم يعد هناك شبكات تجسس. الإسرائيليون يحاولون تشكيل شبكات جديدة عن طريق أوروبا، ولكن بفضل الحضور الواعي للمقاومة والتعاون الوثيق القائم بين أجهزة المقاومة والأجهزة الأمنية الرسمية، أعتقد أننا سوف نتمكن إن شاء الله من اكتشاف المزيد من الشبكات، وبالتالي جعل العدو عاجزاً عن الرؤية، يتحرك من دون عيون ومن دون معلومات

● «الحوادث»: قيل إن حزب الله هو حصيلة تفاهم سوري إيراني وأنه ينشط تحت المظلة السورية الإيرانية. فهل هذا صحيح؟ وإذا كان صحيحاً واهتزت هذه المعادلة، ما هي انعكاساتها على الحزب ونشاطه؟

●● السيد نصر الله: «حزب الله» في الدرجة الأولى هو رد فعل طبيعي في لبنان على الاجتياح الإسرائيلي الوحشي الذي حصل في عام ١٩٨٢، ومقابل ذلك، أي في مقابل هذا الاجتياح والاحتلال الذي نتج عنه، كان الاعتقاد أن لبنان دخل في العصر الإسرائيلي. وفي ظل الحاجة الملحة إلى حركة نهوض لمواجهة الاحتلال، كانت الولادة

الطبيعية لحزب الله بقرار ذاتي وبإرادة ذاتية وبظروف محلية مباشرة، وقد ظهرت هذه الحالة في الجنوب وبيروت ومختلف المناطق الأخرى، وعندما نشأت المقاومة الإسلامية وقفت الجمهورية الإسلامية في إيران إلى جانبها على أنها تلتزم حق الشعبين اللبناني والفلسطيني... ومعلوم أيضاً ومنذ بداية انطلاقة الثورة الإسلامية في إيران أنها تلتزم الوقوف إلى جانب الحقوق العربية في مواجهة المشروع الصهيوني في المنطقة، وأيضاً وجدت سوريا في هذه المقاومة التي انطلقت أنها جديرة بالثقة وبالاهتمام وبالحماية فقامت بحمايتها... إذا كان من تفاهم أو تلاق إيراني سوري على حزب الله وعلى المقاومة الإسلامية، فهو نتيجة أن حزب الله قد ولد، وأن المقاومة نشأت وأثبتت جدواها ومصداقيتها فتمت حمايتها وتم تبنيها ودعمها، ولم تكن وليدة لهذا التفاهم الذي جاء بعد الولادة وليس هو السبب لهذه الولادة... حالياً، حزب الله هو قوة شعبية وجهادية وسياسية موجودة في لبنان لها جمهورها وعمقها وامتدادها وحضورها. ولا أعتقد أن هذه الحالة أو هذه المسيرة هي مرهونة بالتفاهم أو الاختلاف، مع العلم بأن مستوى العلاقة الوثيقة والمتينة جداً بين الجمهورية الإسلامية وسوريا هي فوق هذه الشكوك والاحتمالات.

● «الحوادث»: كيف نجحتم في منع انقسام حزب الله بعد حادثة الشيخ الطفيلي وبعد سواها من المحاولات؟ وهل من خطر بعد على وحدة الحزب؟

● السيد نصر الله: كي أكون دقيقاً لا أستطيع القول إنني أنا الذي استطاع أن يمنع حصول هذا الانقسام، وإنما أقول إن الهيئات القيادية في الحزب وكوادره وقاعدته هي التي فعلت ذلك، وقد كنت واحداً من هذه المجموعة الكبيرة التي حالت دون تطور الأمو إلى هذا الحد..

● «الحوادث»: التواضع حلو...

● السيد نصر الله: أبداً.. هذه هي الحقيقة.. وفي حزب الله هناك حساسية بالغة في اتجاه محاولة أي انقسام أو انشقاق، فمن يريد أن ينشق يذهب لوحده وقد تذهب معه قلة، ولكنها لا تلبث أن تعود إلى مسيرتها، وعندما تعود إلى نفسها وتجري تأملاً ينكشف لها أن ما فعلته كان خطأ.. أنا أعتقد أن متانة حزب الله الداخلية وقوته كبيرة جداً، وأن غزارة التضحيات والدماء والجهود التي بذلت من هذا الحزب لا تسمح لأي

شخصية كانت - حتى وإن كان أميناً عاماً سابقاً، - بأن تمزق أو تشتت هذا الحزب، وانطلاقاً من ذلك نحن واثقون من مستقبل هذه المسيرة.

● «الحوادث»: كيف يقلل حزب الله من التفوق الجوى العسكرى الإسرائيلي؟

● السيد نصر الله: ببساطة عندما لا تملك أسلحه جو دول فى مواجهة سلاح الجو المعادى، قد تستطيع أن تمتلك خيارات شعب فى مواجهة هذا السلاح.. عادة فى حرب العصابات من لا يملك القدرة الدفاعية على مواجهة العدو يمكنه أن يخفف من أهمية سلاح الجو من خلال إخفاء الأهداف والابتعاد عن المظاهر، وهذه من نقاط قوة المقاومة الإسلامية.. أن المقاومة اليوم فى لبنان هى بعيدة عن كل أشكال الاستعراض.. ليس لها قواعد عسكرية وثكنات، ولا يهمها أساساً هذا المظهر العسكرى، فنحن نحمل السلاح عندما نقاتل العدو فى الأرض المحتلة، أما فى داخل البلد الذى ينعم بالأمن والاستقرار فنحن أبناء هذا البلد نعيش كما يعيش كل الناس. إذن، عزل العدو عن تشخيص الأهداف - يضاف إلى ذلك وعى حزب الله وحذره الدائم من أن يقدم أهدافاً جاهزة لسلاح الجو الإسرائيلي - مما يجعل هذا السلاح غير قادر على فعل الكثير.

● «الحوادث»: كيف تقيم أداء الجندى الإسرائيلى فى جنوب لبنان.. هل يتصرف حقاً كالأرنب المذعور؟ ما هى نقاط قوته ونقاط ضعفه؟

● السيد نصر الله: فى الأساس قناعتنا - لا بل معرفتنا أن الإنسان الإسرائيلى هو إنسان غير شجاع، والضباط والجنود الإسرائيليون لا يتحلون بالشجاعة التى تحدث عنها البعض أو سوق لها فى وسائل الإعلام خلال عقود من الزمن. فى الحقيقة خلال ٥٠ عاماً لم تكن إسرائيل هى القوية ولم يكن جيشها هو القوى بقدر ما كان العرب هم الضعفاء. فى التجربة منذ عام ٨٢، ونحن لنا تجارب قتال مع هذا الجيش ماذا يعنى جيش مؤلف من ضباط وجنود يذهبون إلى القتال ولا يريدون أن يموتوا؟ بإمكانك ببساطة أن تفهم قوة هذا الجيش ومعنوياته. أساساً، العسكرى أو المقاتل تنبع قوته وتفوقه ليس من نوع السلاح الذى يحمله بقدر ما تنبع من إرادته وجرأته وتصميمه وشجاعته وإقدامه على الموت، فمن يذهب إلى القتال وهو ممتلئ بأمنية العودة على قيد الحياة لا يمكنه أن ينجز أو يحقق الكثير، وهذه هى النقطة المركزية... هذا الذى

شاهدناه وخبرناه وقرأناه، والذي يشير إلى أن هؤلاء الناس هم حريصون على أن يبقوا على قيد الحياة.. في مقابل ذلك، نذهب نحن إلى القتال، وتجدنا من الحريصين على النصر وتعشق قلوبنا الشهادة أيضاً. نحن لا نهاب الموت بقدر ما نأنس به اذا جاءنا، وهنا نقطة القوة في المقاومة. الجندي الإسرائيلي عندما يتحرك في الشريط الحدودي المحتل يكون مجهزاً بأحدث التجهيزات ويرتدي درعاً من رأسه إلى أخمص قدميه، وهو مدجج بأفضل السلاح وعلى اتصال دائم بكل مجموعة، فضلاً عن أن سلاح الجو على اتصال مباشر مع المجموعة العسكرية التي تتحرك على الأرض من أجل تأمين التغطية للانسحاب أو انقاذ الجرحى.. يعني الجندي الإسرائيلي هو مجهز بأفضل التجهيزات والتقنية والاعتاد، وبالمعنى العسكري بأفضل الأحوال في جيش متطور وحديث، ولديه إمكانية الرؤية الليلية والطائرات الاستطلاعية التي تقدم له الصور... إذاً، الجيش الإسرائيلي، وخصوصاً في السنوات الأخيرة يقاتل فيما يعني إمكانياته وإمكانيات جيش متطور في أفضل أحوال ممكنة. ونوعية الجيش والقوات الإسرائيلية الموجودة في جنوب لبنان هي من نوعية النخبة، وأحياناً نخبة النخبة، وهذا يشكل نقاط قوة وتقنية متقدمة لدى الجيش الإسرائيلي، غير أنه لم يستطع على رغم كل ذلك انجاز الكثير بسبب نقطه الضعف الاساسية لديه، وهي الحرص على الحياة، وأستطيع القول أن الجندي الإسرائيلي لديه جبن لا مثيل له في العالم ولدينا شجاعة المجاهدين وإقدامهم المنقطع النظير، وعلى الرغم من إمكانياتنا المتواضعة فلدينا دائماً التفوق في الروحية والإيمان والإرادة والشجاعة.

وفي نهاية المطاف لم تستطع كل التدابير والتقنيات والتفوق إلحاق الهزيمة بالمقاومة أو حماية الضباط والجنود الإسرائيليين ولا حماية قائد فرقة لبنان في جيش الاحتلال غير شتاين.

● «الحوادث»: من خلال ما تقدم.. ما هو الحل؟

● السيد نصر الله: العدو أمام وضعين لا ثالث لهما: أما البقاء وتحمل المزيد من الخسائر البشرية والمزيد من الإذلال، وهو أمر مؤذ جداً لمؤسسة عسكرية، وإما الانسحاب من طرف واحد من دون قيد أو شرط. وأنا أقول للإسرائيليين: لا تتوقعوا من أحد في لبنان ـ لا من الدولة ولا من خارجها ـ أن يأتي ويقدم لكم مكتسبات أو ضمانات أو جوائز مقابل الانسحاب من الأرض اللبنانية، ولا أعتقد بأن أحداً في لبنان

يرضى أن يتحول الجيش اللبناني إلى حارس لحدود الكيان الإسرائيلي، المقبول فقط أن يكون الجيش اللبناني هو الحارس للبنان وليس لإسرائيل، وخيار الإسرائيليين الوحيد المعقول والممكن في رأيي - وهو الذي سيصلون إليه عاجلاً أو آجلاً، شرط أن يتخلوا عن كبريائهم وصلفهم - هو الخروج من أرض لبنان.

● «الحوادث»: إسرائيل زرعت في جنوب لبنان أحدث منظومة رادارية ضد تسلل الأفراد من إنتاج شركة «ELBIT» الإسرائيلية.. كيف عطلتم هذه المنظومة؟

● ● السيد نصر الله.. المهم أننا مازلنا حتى الآن نستطيع أن نمشي في الشريط الحدودي وننصب الكمائن ونزرع العبوات ونصل إلى الحدود.. أما كيف فهذا أمر نتركه إلى حين كتابة المذكرات.

● «الحوادث»: دخل الأمريكيون على خط مساعدة الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان من خلال تزويده بمنظومة مضادة لصواريخ الكاتيوشا NAUTILUS (نوتيليوس).. ما هي فعالية هذه المنظومة الميدانية؟

● ● السيد نصر الله: إن هذه المنظومة مازالت قيد التجربة ولم تنجز بشكل كامل حتى الآن. وفي كل الأحوال، أنتم تذكرون أنه بعد ارتكاب العدو الإسرائيلي مجزرة جنتا التي قضت فيها أم وستة من أبنائها شهداء قامت المقاومة الإسلامية بقصف العديد من المستعمرات في شمال فلسطين بعشرات الصواريخ، ولم نجد أثراً لهذه المنظومة إن كانت فعلاً قد دخلت في دائرة الخدمة.

● «الحوادث»: هل تخفيكم الطائرات دون طيار التي تصور مواقعكم بشكل متطور، أم أنكم تعملون على التشويش عليها وتعطيل مهامها التجسسية؟

● ● السيد نصر الله: هذا أمر قد تعودناه منذ أن قامت المقاومة في عام ١٩٨٢، ونحن اليوم في عام ١٩٩٩ والإسرائيليون يستخدمون هذه التقنيات وإني أقول لك إننا نستطيع أن نبتعد عن أخطاره قدر الإمكان.

● «الحوادث»: هل فعاليتكم العسكرية التي قضت على رئيس وحدة الارتباط الإسرائيلية الجنرال «غير شتاين» هي نتيجة تصميم مدروس وتدريب سابق محكم، أم مصادفة كما قلل من قيمتها الجنرال «غابي اشكنازي» قائد المنطقة الشمالية في إسرائيل؟

● السيد نصر الله: ليست المرة الأولى التى تصل فيها أيدى المقاومين إلى هؤلاء الجنرالات، ففى مرات سابقة قائد فرقة لبنان الذى يسمونه قائد وحدة الارتباط هو فى الحقيقة قائد القوات الإسرائيلية الموجودة فى جنوب لبنان، وهو قائد ميلشيا وقائد أنطوان لحد. فى السابق الجنرال اميكاى الذى أعيد تنصيبه حالياً كاد يُقتل مرتين بعبوات وبرصاص المجاهدين فى المقاومة الإسلامية، رئيس أركان العدو شاحاك كاد أن يقتل وقتل بعض المواطنين وأصيبت سيارته.. إذن، «غير شتاين» ليس هو الجنرال الأول الذى يتعرض لمحاولة من هذا النوع، غير أنه الجنرال الأول الذى قتل وهذا صحيح، وأود أن ألفت إلى أن المنطقة التى حصلت فيها العملية هى فى عمق الشريط الحدودى المحتل، وهى منطقة خاضعة لتدابير وإجراءات أمنية مهمة من قبل إسرائيل وبالتالى لا يستطيع أحد أن يقلل من أهمية هذه العملية. أما فيما يعنى هذا الجنرال والسؤال هل ننتظره أم لا؟ فهذه المسائل تدخل فى إطار التفاصيل، وهذا يتعلق حتى الآن بأسرار العملية التى يمكن أن نكشف عنها فى وقت قريب، ولكن الآن دعنا نحتفظ بالتفاصيل، وكالعادة عندما تجرى أية عملية نحن نترك للإسرائيليين فسحة من الزمن يحققون ويدققون ويتعبون أنفسهم، وبعدها نحن نقول لهم الحقيقة. لا نريد أن نوفر عليهم الجهد والتعب كما فعلنا فى عملية أنصارية.

● «الحوادث»: لماذا فى رأيكم لم يقدم نتنياهو على عملية عسكرية واسعة فى جنوب لبنان رداً على سقوط القتلى؟

● السيد نصر الله: أولاً هو لا يملك المبرر لأن العمليات التى قامت بها المقاومة الإسلامية كانت على أرض لبنانية محتلة واستهدفت أهدافاً عسكرية ضمن نطاق تفاهم نيسان، وإن كان فى رأيى على كل حال أن نتنياهو لا يحتاج إلى مبررات، ولكن فى كل الأحوال لم يكن هناك مبرر. ثانياً، أن أية عملية عسكرية تشن يجب أن تحدد لها أهداف، وفى رأينا أن نتنياهو وقيادة العدو ومؤسسته العسكرية باتوا يدركون جيداً أن أية عملية عسكرية واسعة فى لبنان لا تستطيع أن تحقق أياً من الأهداف المحددة عندهم، وخصوصاً إذا قرأوا التجارب السابقة سواء فى «عناقيد الغضب» أو فى عمليات تصفيات الحساب أنا أقول أن أية عملية عسكرية واسعة فى لبنان ستكون نتيجتها الفشل الذريع. واليوم، لبنان والمقاومة فيه، أفضل حالاً مما كانا عليه فى تموز

(يوليو) ٩٣، والمقاومة هي أفضل حالاً اليوم مما كانت عليه في نيسان (أبريل) ٩٦ وفشلت محاولة «عناقيد الغضب».

فإذا كان الإسرائيليون يدرسون المسائل بدقة سيكتشفون ببساطة أن أية عملية ستكون بلا جدوى وستكون لها آثار سلبية حتى على الواقع الانتخابي لنتنياهو.

● «الحوادث»: ما علاقة هذا الامتناع بالمعركة الانتخابية الإسرائيلية؟

● ● السيد نصر الله: بالتأكيد إذا كان نتنياهو يريد القيام بعملية عسكرية فستكون لها أهداف انتخابية بالدرجة الأولى. يعني أنه يريد أن يقدم نفسه كمصداق لشعار حملته الانتخابية المطروح، والشعار هو «زعيم قوي لشعب قوي». فعندما يريد أن يقوم بعملية عسكرية يجب أن يثبت في نهاية المطاف أنه زعيم قوي وقائد قوي، لكن كيف يثبت ذلك؟ عندما يضع أهدافاً لعملية عسكرية ويتمكن من تحقيق هذه الأهداف. وأنا أقول بكل بساطة إن أي هدف يمكن أن يحدد لعملية عسكرية إسرائيلية واسعة في لبنان لا يمكن أن يتحقق، وبالتالي العملية العسكرية ستثبت أن نتنياهو رجل فاشل وضعيف، وهذا سيؤثر حتماً في رصيده الانتخابي وسيسقط شعار «زعيم قوي لشعب قوي». ولو كان نتنياهو مطمئناً، وعلى يقين من أن القيام بعملية واسعة سيكون مضمون النتائج وسيرفع من رصيده الانتخابي، فسيقدم على ذلك وليس لدينا ما يمنعه.. من الذي يمنعه؟ كلينتون، الإدارة الأمريكية؟! لا أعتقد.

● «الحوادث»: هل تحول حزب الله إلى ناخب في صناديق الاقتراع الإسرائيلي، وهل يغلب كفة بعض المرشحين؟

● ● السيد نصر الله: من موقع الوعي والإرادة، فإن ما نريده نحن لا يغلب كفة مرشح على آخر لأنه بالنسبة لنا كلهم في الأهواء سواء.. كلهم قتلة ومجرمون وإرهابيون وصهاينة، ونعتبر أن الحديث عن مرشح معتدل ينبغي على العرب أن يساعدوه وأن يراهنوا عليه وأن يعلقوا الآمال عليه هو استغباء للعرب وللشارع العربي. تصور معي مثلاً أن بعض العرب اليوم يراهن ويفكر بمساندة باراك رئيس أركان جيش الاحتلال الذي في عهده قتل الكثير من اللبنانيين والفلسطينيين، وكان الجيش الذي يقوده يحتل أراضينا. تصور معي أن البعض يفكر بدعم حزب الوسط وشاحاك الذي كان رئيساً

لأركان الجيش الإسرائيلى الذى ارتكب مجازر قانا ومجازر حرب نيسان.. من سيئات العصر أن يأتى اليوم الذى تعلق فيه الآمال على من قتل وارتكب المجازر وأن يقدم كمعتدل فى الحسابات السياسية. من هنا نحن بين باراك ونتنياهو نعتبر أن الفارق بينهما أن هذا يكذب أكثر من ذاك، وهذا ينكل أكثر من ذاك، أما فى المضمون العنصرى والعدوانى فهما واحد.. هذا من جهة، أما من جهة ثانية فنحن لا نقاتل كى نكون عاملاً انتخابياً، ومن حيث النتيجة فإن المقاومة فى مواجهة عدوان «عناقيد الغضب» هو الذى أسقط شيمون بيريز وحزب العمل فى الانتخابات الإسرائيلية.. يعنى من حيث النتيجة فإن لبنان حاضر بقوة فى الانتخابات الإسرائيلية.. لكننا لا نعتقد فى كل حال أن نتائجها ستكون أقرب إلى مصالح لبنان والعرب.

● «الحوادث»: هل يفضل حزب الله نجاح حزب العمل أم مجئ حكومة ائتلاف عمالى ليكودى؟

● ● السيد نصر الله: نحن نفضل أن يعود هؤلاء من حيث جاءوا.

● «الحوادث»: هل ما حصل فى أرنون هو بداية لانطلاق القوة الثالثة وبداية المجتمع المدنى الجديد، وهل يمكن تحرير جزين بهذه الطريقة، وتالياً هل هو بداية مقاومة من نوع جديد، وهل تباركونها؟

● ● السيد نصر الله: أن ما حصل فى أرنون بالتأكيد هو خطوة متقدمة جداً، نباركها ونعتز ونفتخر بهؤلاء الطلاب والشبان الذين نزعوا السلك الشائك واقتحموا البلدة وجعلوها تنعم بهذه الحرية... نحن نعتبر أن ما حصل إنما كان بفعل روح المقاومة التى أمست تسرى بقوة داخل اللبنانيين جميعاً، ولم تعد مختصة بالمقاتلين وحسب، إنما استطاع الطلاب أن يفعلوا ذلك من جراء الشجاعة والإقدام اللذين شرعا يسيطران على مشاعر اللبنانيين، وأيضاً الاستهانة بالعدو الذى يشاهدون على شاشات التلفزة كيف أنه يتحطم أمام ضربات المجاهدين والمقاومين فى جنوب لبنان والبقاع الغربى... هذا على صعيد ما حل، أما عن هل يمكن تعميم هذه التجربة نحن نأمل ذلك، ونحب ذلك، لأن هدفنا الأساسى هو تحرير أرضنا: بالمقاومة المسلحة، بالمقاومة الشعبية، بأى شكل من أشكال المقاومة، وأى شكل يمكن أن يتحرك فى الساحة هو شكل مبارك ويجب أن يدعم ويساند وتعلق عليه الآمال والأهمية. لكن هناك فى الحقيقة بعض الأشكال قد تنجح فى المرة الأولى بسبب عنصر المفاجآت للعدو، وفى

ارنون الطلاب فاجأوا العدو الذى كان فى حالة ارتباك ولم يجرؤ على ارتكاب مجزرة لأن هناك شيئاً حاضراً فى العقل الإسرائيلى، وهو بالتأكيد إن قتل هؤلاء الطلاب وارتكاب مجزرة سيؤدى إلى سقوط عشرات الصواريخ على المستعمرات، وسيؤدى إلى تحول كبير فى المجتمع اللبنانى، وإلى ضجة على مستوى العالمين العربى والدولى، المسألة ليست سهلة، والعدو الإسرائيلى فوجئ وبوغت ولذلك نجحت هذه التجربة.

● «الحوادث»: هل يمكن تعميم هذه التجربة؟

● ● السيد نصر الله: الأمر يحتاج إلى دراسة، وطبعاً هو يواجه صعوبات لأن العدو فهم الآن أنه يمكن للبنانيين أن يلجأوا إلى مثل هذا النوع من الوسائل، وبالتالى، هو سيتخذ كل الإجراءات التى تحول دون أن يتمكن اللبنانيون من تنفيذ تجربة ثانية مماثلة لتجربة أرنون.

● «الحوادث»: الدوائر الدبلوماسية ودوائر التحليل فى العالم تعتقد أن النزاع بين لبنان وإسرائيل لا يمكن أن ينتهى إلا بقيام القوة الثالثة فى لبنان: مجتمع مدنى + جيش نظامى = الحل، فما هو رأيك؟

● ● السيد نصر الله: إن هذا الحل الأجنبى هو عامل مشكلة، والمطلوب هو خروج قوى الاحتلال من لبنان.. ومن الذى يستطيع أن يخرج قوات الاحتلال فى لبنان.. الذى يستطيع أن يخرج قوات الاحتلال من لبنان هو المقاومة المسلحة المدعومة من الشعب والدولة اللبنانية، والمستندة إلى وحدة وطنية والقادرة على إلحاق أكبر قدر ممكن من الخسائر البشرية بقوات الاحتلال! فعلى قوات الاحتلال أن تخرج من أرضنا وليس أمامها أى خيار آخر.

● «الحوادث»: عشرات التصريحات لكبار المسؤولين الإسرائيليين تناقضت فيما بينها على خط الانسحاب من لبنان. هل تندرج هذه البلبلة فى دائرة الاعتبارات الانتخابية، لاسيما أن هناك تحليلات تشير إلى أنها لا يمكن أن تكون لاعتبارات انتخابية.. إذن هل هذه الاشارات المتناقضة هى مأزق أم أنها هيكلية النظام الإسرائيلى، أم هى خلاف بين السياسيين؟

● ● السيد نصر الله: فى الحقيقة أن المأزق اليوم أصبح فى كل عقل وقلب وبيت

إسـرائيلي، وهاجس لبنان يسكن في المجتمـع الإسـرائيلي وفي كل فـرد إسـرائيلي وبشكل يومي. لم تعد المسألة مسألة اليهود الذين يحتلون شمال فلسطين بل أصبحت تعني الكيان بأكمله.. الاخفاقات المستمرة للجيش والأجهزة الأمنية الإسرائيلية تنعكس في الداخل.. مقتل الجنرال غير شتاين أحدث هزة عنيفة داخل المؤسسة والمجتمع الإسرائيليين، وهذه الهزة والخسارة والاخفاقات أحدثت بدورها صدمة، ولذلك أنا أتصور خلال ٤٨ ساعة لم يكن الإسرائيليون يعرفون ماذا يقولون، وقد تزامن هذا الحدث مع موسم الانتخابات، فدخلت المزايدات الانتخابية على الخط، وأنا قرأت ليس تناقضات لتصريحات مسؤولين إسرائيليين وأن هذا يتناقض مع الآخر، بل قرأت لمسؤول إسرائيلي واحد تصريحات متناقضة، ففي اليوم الأول لمقتل الجنرال غير شتاين كان يقول شيئاً، وفي اليوم الثاني يقول شيئاً آخر، وكلما خفت وتضاءلت الصدمة كلما تغيرت وتبدلت اللغة أو مضمون الخطاب. لكن مما لاشك فيه أن عاملين أساسيين دخلا على خط البلبلة الكبيرة، وهما حجم الخسارة والموسم الانتخابي.

● «الحوادث»: البعض في إسرائيل يتحدث عن استحالة الانسحاب الأحادي من لبنان، لأن ذلك يثبط معنويات الجيش الإسرائيلي. وبالتالي يتعكس على وضع الدولة العبرية في الضفة الغربية. فما هو رأيك؟

● ● السيد نصر الله: أنا أعتقد أن هذا هو المانع الأساسي لانسحاب قوى الاحتلال، غير أن كبرياءهم هو الذي يمنعهم من تحقيقه، مع العلم أنه ليس أمامهم أي خيار آخر سوى الانسحاب، وهذا ليس تحذيراً وهم يقولون ذلك... إن الذي يمنعهم إذن، ليس الهواجس الأمنية فقط كما يدعي نتنياهو، على أن هذه الهواجس يمكن أن تكون من الاعتبارات، ولكن من ضمن هذه الاعتبارات أن الانسحاب بلا قيود وبلا شروط يعني اعترافاً بالهزيمة أمام المقاومة اللبنانية، وهذا ما لا يتحمله الإسرائيليون، ويعني أيضاً أن منطق المقاومة هو منطق سليم وصحيح، وأنه بالمقاومة يمكن أن تتحرر الأرض وليس بالمفاوضات، وهذا قد يشجع الفلسطيني على النهوض والانتفاض من جديد.. هذه موانع مطروحة أمام خيار الانسحاب، وهذا يعبر أيضاً عن عمق المأزق الإسرائيلي.

● «الحوادث»: هل لديكم حل آخر يساعدهم على حل مشكلتهم وتركنا بسلام؟

● ● السيد نصر الله: هذه مشكلتهم.. لقد احتلوا أرضنا ونحن نقاتلهم، وهم المحتلون الذين يجب أن يفتشوا عن الحل لمشاكلهم.

● «الحوادث»: حزب الله تصدر المواجهة مع إسرائيل منذ سنوات، ولكن حتى الآن لم يستطع استقطاب فئات أخرى من غير الشيعة فى صفوفه، بمعنى أن السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال لم تحقق النجاح الذى كان منتظراً منها. ما رأيك؟

● ● السيد نصر الله: القول بأن السرايا لم تحقق النجاح المنتظر منها هو لا يستند إلى معطيات صحيحة لأن السرايا ليست سياسياً كى تقيم المهرجانات وتستقطب الناس ولا ميليشيا لتقوم بعرض قواتها فى الشارع إنما هى إطار المقاوم السرى، المطلوب الحفاظ على أشخاصه.. مستوى الإقبال على السرايا كان كبيراً، وقد أعلنت فى إحدى المناسبات أن عدد الذين تقدموا بطلبات انتساب إلى السرايا تجاوز الألفين من مختلف الطوائف، وهذا رقم كبير جداً لان السرايا ليست حزباً سياسياً بقدر ما هى طرف قتالى، أن تجد هذا العدد من الحاضرين للعمل فهذه مسألة مهمة، وقد فوجئت شخصياً به.. لكن كى تنتج السرايا وتكون ذات دور فعال فى الميدان وتبدأ بتنفيذ عمليات نوعية، فهذا يستلزم مرحلة نمو طبيعية أن يخضعوا لدورات متميزة وإن يتعايشوا مع الجبهة وأن تصبح لديهم خبرة قتالية، بعد ذلك يبدأون بتنفيذ عمليات نوعية.

● «الحوادث»: على الرغم من ذلك ألا تعتقد أو الوهج سيبقى لحزب الله انطلاقاً من العمليات البطولية التى قام بها؟

● ● السيد نصر الله: «العمل الذى يؤديه مجاهدو حزب الله هو تراكم خبرة عمرها ١٧ عاماً، ولم يتجاوز عمر السرايا اللبنانية السنة الواحدة، ولا نتوقع منها أن تقوم بما يقوم به حزب الله بعد خبرة وتجربة ١٧ عاما.. السرايا هى إطار جدى موجود على طول الجبهة، وليس إطاراً إعلامياً. وبكل بساطة نحن نستطيع، الآن، أن ننفذ بواسطة مجاهدى حزب الله عملية نوعية فى الشريط الحدودى ثم نصدر بياناً يقول: قام مقاومو السرايا اللبنانية بتنفيذ هذه العملية. هل نستطيع أن نفعل ذلك أم لا؟ ومن الذى يستطيع أن يثبت أن الذين قاموا بالعملية هم من مجاهدى حزب الله وليسوا من السرايا؟. لا أحد يستطيع أن يثبت العكس، ولكن نحن لن نفعل ذلك لأن هدفنا من السرايا ليس إعلامياً ولا سياسياً.. نحن نريد بجد ويصدق أن يتطور مقاتلو السرايا إلى المرحلة التى ينفذون فيها هم أول عملية نوعية فى الشريط، ولكن نحتاج إلى بعض الوقت.

● «الحوادث»: قبل حوالى شهرين أعلنت إسرائيل أنها وضعت عبوة فى البقاع وكانت تستهدف اغتيالك، وانفجرت وأدت إلى مقتل خبير بالمتفجرات فى الحزب. هل هذه المعلومات صحيحة؟

● السيد نصر الله: إسرائيل.. هذه القوة الضخمة باتت بحاجة إلى تحقيق أى نصر معنوى. الذى حصل، تحديداً، أن هذه العبوة كانت موجودة فى منطقة جردية ولم تكن طبعاً فى داخل مدينة بعلبك.

● «الحوادث»: كانت طريقك من هناك؟

● السيد نصر الله: أصلاً لا طريق هناك كى أمر عليها. القول أنها زُرعت كى تستهدفنى.. هذا القول عار عن الصحة وغير صحيح إطلاقاً. أنا أصلاً لا أقصد ذلك المكان. العبوة تم اكتشافها والأخ الذى فككها أودت بحياته، وهو ليس من بعلبك بل من منطقة جبيل، ويعمل فى صفوف المقاومة هنا فى بيروت، وقد اتصل بعض الأخوة وطلبوا خبيراً بالمتفجرات وهكذا كان. أما أن يقال إن كوماندوس ذهب إلى جرود بعلبك ووضع العبوة هناك فهذا يحتاج إلى إثبات، وقد يستفيدون من عنصر محلى كى يضع العبوة ولا يتكبدون مشقات المغامرة.

● «الحوادث»: إضافة إلى الحرب العسكرية المفتوحة التى تخوضونها ضد إسرائيل، هناك حرب أمنية من نوع آخر.. السؤال: هل هناك من معلومات يمكن إعطاؤها حول الشبكات التجسسية التى كشفتم عنها مؤخراً؟

● السيد نصر الله: الشبكة الأخيرة التى تم اكتشافها ليس عندى ما أضيفه على المعلومات التى نُشرت عنها. فمن المعروف أن هذه المجموعة جندت لاستخبارات أوروبية فى الظاهر، غير أن التحقيقات كشفت أن المستفيد منها هو إسرائيل وأن الطرف المجند والمستفيد والموظف هو جهاز الاستخبارات الإسرائيلية، واعتقد أن الأمور باتت مكشوفة ولا جديد على هذا الخط.

● «الحوادث»: إسرائيل اعترفت منذ حوالى الشهر بأن عملية أنصارية التى قُتل فيها عدد من الإسرائيليين كان الحزب على علم بها.. هل عمليتا بركة جبور ومرجعيون – مركبة كنتم على معرفة مسبقة بهما.

● السيد نصر الله: عندما سألتنى عن عملية قتل الجنرال غير شتاين قلت إننا سوف

نعلن عنها بعد حين. الإسرائيليون يقتلون الآن أن حزب الله كان على علم مسبق بهذه العملية، ولكن في الأيام الأولى لعملية نحن سكتنا عن الموضوع وقلنا سنتحدث عنه فيما بعد، وقد تعبوا وجهدوا وضاعوا واختلفوا، وبعد حوالى السنة أنا أعلنت أننا كنا على علم، وكنا بانتظارهم في أنصارية.. لكننا في بادئ الأمر تركناهم يجربون حظهم في اكتشاف الغوامض من تلك العملية، والآن أيضاً، هناك لجان تحقيق تشكلت، أنا وأنت لا نريد أن نوفر عليهم جهداً ونقول لهم الحقيقة، غير أننا سنعلنها في وقت لاحق، وهذا جزء من الحرب مع العدو، وتضليله وإتعابه.

● «الحوادث»: دخلتم في الحياة السياسية اللبنانية عبر المشاركة في البرلمان، ولكن حتى الآن لم تصلوا إلى الوزارة، وأنتم شبه غائبين عن الإدارة. ما هي الموانع من الوصول إلى ذلك، وكيف تقيمون الحكم الحالي.

● ● السيد نصر الله: غائبون عن الإدارة ولسنا شبه غائبين (قاطعني قبل إكمال السؤال وضحك).. السؤال ذو ثلاث شعب.. أما بالنسبة للوزارة فلم نشارك بأي منها ولم نطلب المشاركة حتى الآن في أية تشكيلة حكومية منذ ١٩٩٢، حتى في تشكيل الحكومة الأخيرة وقبل الإعلان عن تشكيلها على الرغم من أننا سمينا الرئيس الحص لرئاسة الحكومة، إلا أننا قلنا نحن لا نريد المشاركة فيها.

● «الحوادث»: لماذا وما هي خلفية ذلك؟

● ● السيد نصر الله: حتى الآن، لم نصل إلى قناعة كي يدخل حزب الله ويشارك في الحكومة. لسنا طلاب منصب، ولا نشارك إلا متى تكون مشاركتنا مفيدة للقضايا التي نعمل من أجلها، وعندها نكون مشاركين فعليين في صنع القرار. أما عندما لا نكون كذلك وبالتالي لن يكون حضورنا مؤثراً ومفيداً، فلماذا ندخل إلى حكومة لسنا فاعلين فيها ونتحمل مسؤولية الأخطاء ولسنا قادرين على التصحيح وفعل الخير أو تحقيق إنجازات معينة.

وحتى الآن، لسنا مقتنعين أن حضورنا في الحكومة يمكن أن تترتب عليه فوائد على المستوى الوطني، وفي اتجاه القضايا التي نعمل من أجلها. لذلك نفضل أن نبقى خارج مؤسسة الحكومة.. وبالنسبة إلى الإدارة، المانع ليس منا، فنحن حاضرون لأن تتصدى

كوادر منا فى الإدارة، ونعتقد أنهم سيكونون مفيدين جداً لها، ولكن المشكلة هى فى طريقة تعيين المديرين. فى السابق كانت الترويكا هى التى تختار المديرين على قاعدة المحاصصة المعروفة، وحالياً لايزال هناك التباس ما فى المسألة الإدارية لأن هذا الملف لم يكتمل ولم تكتشف كل جوانبه بعد، فالعائق، إذن، ليس منا وإنما الجهة التى تعين المدين لم تفعل ذلك حتى الآن. ولست هنا فى الحقيقة لأطالب بحصة، وإنما لأقول يجب اعتماد معايير علمية صحيحة وثابتة فى الإدارة وانتخاب المديرين بحيث يتوافر للبنانيين مجال تكافؤ الفرص. فنحن نكون، عند ذلك، من مجمل اللبنانيين الذين تتساوى فرصهم مع بقية المواطنين. فإذا كان هناك من مميزات أو نجاح فى الامتحان أو أو أو.. يدخل بعض إخواننا إلى الإدارة.. أما فى ما يعنى الحكم والحكومة والتقييم فأعتقد أن تقديم التقييم الآن سوف يكون ناقصاً وغير منصف ودقيق لأن الفترة الزمنية لاتزال ضيقة.. فأى عهد أو حكم أو حكومة يجب إعطاؤهما عدة أشهر على الأقل للتقييم، لأنه بنظرنا الفرصة التى أعطيت حتى الآن هى غير كافية لإصدار أحكام.. موقفنا العام نحن من العهد الجديد والحكومة أن نتحدث عنهما معاً وهو موقف إيجابى ومتعاون ونحن نرى فى العهد الجديد والحكومة الجديدة فرصة جيدة للبنان.. ويجب أن توفر أمامها الأحوال وأن يقدم لهما العون لأن نجاح العهد والحكومة هو نجاح للبنان، وفشل الرئيس لحود هو فشل للبنان، وكذلك بالنسبة للرئيس الحص.

● «الحوادث»: رفضتم إعطاء الثقة للحكومة من منطلق إيجابى وفضلتم انتظار نتائج عملها للحكم عليها. بعد ثلاثة أشهر، هل العلامة التى تعطونها إيجابية أم سلبية؟

● السيد نصر الله: هناك ملفات حتى الآن لم تنجز.. الحكومة أقدمت على أعمال جيدة، أما بالنسبة للملفات فقد دخلت إلى الملف الإدارى ولم تُنجز، وتقول أنها مستكملة، من هنا لا نستطيع أن نحكم وننتظر حتى تقول هذه الحكومة أنهينا الملف الإدارى ولم يعد لدينا جديد، وعند ذلك يمكننا أن نقيم وننطلق الأحكام.. فى الملف الاقتصادى مازالت الحكومة فى طور الدرس وتحضير الملف، خصوصاً أننا نعرف أنها ولدت فجأة ولم تكن حكومة ظل وخطتها وأحكامها وبرامجها جاهزة تنتظر اللحظة التى تتسلم فيها السلطة، فهى بحاجة إلى وقت نتيجة الملفات التى تواجهها. من هنا، لا يمكن إعطاء تقييم كامل. أما من حيث عملها العام وإذا أردنا إعطاء علامة على عشرين نعطيها أكثر من عشر علامات.

● «الحوادث» برر، للمرة الأولى، أن هناك تنسيقاً فعلياً بين الجيش والمقاومة. كيف تقرأون هذه الظاهرة؟

● السيد نصر الله: فى الحقيقة، حالة التعاون بين الجيش والمقاومة قائمة منذ أعوام، فكل من المقاومة والجيش يقوم بدوره وواجباته، فالجيش اللبنانى يتحمل مسؤولية معينة والمقاومة لا تتدخل فى دائرة هذه المسئولية، والمقاومة تتحمل مسؤولية معينة والجيش اللبنانى يتفهم قيام المقاومة بهذه المسؤولية. هذا الوضع قائم منذ تولى العماد لحود قيادة الجيش.. ولكن، مع السنوات، بدأ هذا الوضع يتضح أكثر من أى وقت مضى، ولايزال قائماً حتى بعد انتخاب العماد لحود رئيساً للجمهورية، وتولى العماد ميشال سليمان قيادة الجيش... العلاقة القائمة بين المقاومة والجيش تعبر عن الجو الوطنى والمسؤولية الوطنية التى يجب أن يتحلى بها الجميع فى مواجهة الاحتلال.

● «الحوادث»: ماذا عنى لكم أن عناصر من الجيش اللبنانى حملوا نعوش المقاومين فى عملية تبادل الجثث؟ هل يعنى ذلك تلاحماً وثيقاً؟

● السيد نصر الله: هذا له دلالة كبيرة، وقد قلت ذلك فى حفل تشييع الشهداء عندما ألقيت خطبة وأشرت إلى هذا الموضوع وتوقفت عنده ملياً. نحن لدينا وضع مميز فى لبنان، ففى بقية أنحاء العالم العربى هناك قتال بين الحركة الإسلامية والجيش النظامى بمعزل عن الحق والباطل والخطأ والصواب. من هنا الوضع فى لبنان مختلف تماماً، ففى الوقت الذى يحمل فيه الجنود اللبنانيون أجساد شهداء المقاومة فهذا يعبر عن وحدة الموقف ووحدة الالتزام ووحدة الرؤية، وفيه رسالة إلى العدو.. المسألة ليست أن جنوداً من الجيش حملوا أجساد شهداء المقاومة، فضلاً عن أنهم فى الجبل الرفيع وعرب صاليم وفى مواجهة واحدة مع العدو سقط شهداء للمقاومة، وكان من بينهم هادى «ولد سماحة السيد نصر الله». وأيضاً سقط شهداء للجيش اللبنانى، وكان من بينهم الضابط عازرا، فعندما يسقط شهداء من الجيش اللبنانى وشهداء من المقاومة فى معركة واحدة وفى مواجهة واحدة، فهذا اسمى وأبلغ دلالة على وحدة الجيش والمقاومة، وأريد أن أقول إن المسألة تطورت إلى حد أن يسقط الشهداء من الطرفين فى وقت واحد وتمتزج دماؤهم فى معركة واحدة ضد العدو.

● «الحوادث» هناك تياران سياسيان يتصارعان فى إيران، مع أيهما يقف حزب الله؟

● السيد نصر الله: حزب الله يحتفظ بصداقات عميقة مع القادة والمسؤولين فى الجمهورية الإسلامية ومن مختلف التيارات، وهو خارج صراع التيارات. بل أقول لك أكثر من ذلك هو فى نقطة تقاطع هذه التيارات.. على أن جميعها موحدة الرؤية حول الموقف من فلسطين ولبنان وسوريا ودعم شعوب هذه المنطقة ومواجهة المشروع الصهيونى ومشروع الهيمنة الصهيونية ومساندة حركات المقاومة الجهادية الموجودة هناك، ولذلك كل التيارات تعتز بصداقتها مع حزب الله ودعمها وتبنيها له، وحزب الله يعتز أيضاً بصداقاته مع كل هذه التيارات لأنها فى الحقيقة تعبر عن اختلاف وجهات النظر وتتعلق فى الغالب بالأمور الداخلية والشؤون الاقتصادية والإدارية والانمائية والسياسية وبعض شؤون السياسة التى لا تتصل بمنطقتنا.

● «الحوادث»: الدوائر الدبلوماسية فى العالم ـ علاوة على الشتات اللبنانى ـ أعلنت فى مناسبات عدة أنها لا تستطيع تنشيط اقتصاد البلد واستثماراته فى ظل هذا الوضع القائم فى الجنوب، فى وقت يصل فيه اقتصاد لبنان إلى حالة سيئة جداً. كيف توفق المقاومة بين ضرورات التحرير وضرورة المعيشة والنمو الاقتصادى فى لبنان؟

● السيد نصر الله: بعض الجهات إنما تقول ذلك من أجل الضغط وفرض شروط الاستسلام على لبنان، تماماً كما حصل مع بعض الدول العربية، على أننا نعرف أن هذا البعض من الدول العربية، ومن جملة العوامل التى شجعته على القبول بالشروط الإسرائيلية كان العامل الاقتصادى والوعود بتسديد الديون أو المسامحة بديون مترتبة عليه.. لبنان لايزال يرفض الخضوع للشروط الإسرائيلية، ومن جملة أثمان التحرير هو هذا الضغط. حتى فى المجال الاقتصادى من جهة، ومن جهة أخرى نحن نعتقد أنه لو أتبعنا سياسات اقتصادية واجتماعية سليمة منذ البداية لاستطعنا أن نوفق بين الحاجات الداخلية وبين مستلزمات الصمود ومواجهة مشروع الهيمنة الصهيونى، لكن المشكلة ظهرت بعد انتهاء الحرب الأهلية وعودة مؤسسات الدولة إلى العمل، وخصوصاً أن مجلس الوزراء عندما عاد إلى العمل وأمامه استحقاقات اجتماعية اقتصادية بنى خطته الاقتصادية والاجتماعية على أسس خاطئة، وأقصد بذلك أن حكومات الرئيس

الحريرى، وخصوصاً حكومته الأولى جاءت واعتبرت أن المنطقة دخلت فى مرحلة «السلام»، وبدأت تنظم أولوياتها وخطتها الاقتصادية على قاعدة أن عملية التسوية ستنجز خلال أشهر أو سنة أو سنتين، ولكن الذى حصل هو العكس ودخلت الحكومة فى التزامات وقروض وديون ومشاريع لا تشكل أولويات على خط الوضع الاقتصادى والاجتماعى. وعلى الرغم من أن الوضع الاقتصادى صعب الآن، إلا أننى أعتقد أن اعتماد الحكومة الحالية على سياسات صحيحة وتعاون القوى السياسية اللبنانية والفئات الشعبية معها لتنفيذ هذه السياسات يمكنها من التوفيق بين تلبية الحاجات الداخلية إلى حد ما ومستلزمات الصمود فى مواجهة التهديدات.

● «الحوادث»: الوضع الاقتصادى صعب، كيف ستقاومون فى المستقبل وسط بحر من الجياع؟

● ● السيد نصر الله: أنا لا أريد أن أخفف من المأساة، وأيضاً لا أريد أن أضخمها.. المقاومة كانت تقاتل فى الجنوب فى وقت كان فيه لبنان يغرق فى حرب أهلية، ولم تكن هناك حكومة ولا دولة ولا مؤسسات دولة ولا من يرعى الوضعين الاقتصادى والاجتماعى.. الوضع سيئ ولكن ليس إلى الحد المأساوى والمجاعة العامة، إذ إننا لم نمس حتى الآن كوريا الشمالية حيث يحكى عن مليونى شخص حصدتهم المجاعة، ولا أدرى إلى أى مدى هذا الأمر هو مضخم. الوضع سيئ وصعب ولكن لايزال اللبنانى يقوى على الصمود، وقد قلت أن المطلوب من الحكومة اعتماد سياسة صحيحة وأن المطلوب من القوى السياسية وفئات الشعب اللبنانى التعاون معها لتنفيذ هذه السياسة الصحيحة.. ويمكن أن نتجاوز المحنة وهذا ليس مستحيلاً.

نصر الله: سبب قوتنا فى «حزب الله» أننا نفعل أكثر مما نتكلم

يشتهر حسن نصر الله، زعيم «حزب الله» اللبنانى، فى أروقة وزارة الخارجية الأمريكية بأنه يهدد أى سلام عربى إسرائيلى.

إلا أن نصر الله بدا، فى مقابلة منفردة داخل مقره الخاضع لأمن مشدد فى الضاحية الجنوبية لبيروت، أكثر اهتماماً بمكانة «حزب الله» التاريخية «ونصره». وأوضح نصر الله الذى يبدو هادئ الطبع رقيق الحاشية على الرغم من خطاباته الملتهبة «أن هذا النصر مهم للغاية بما أن إسرائيل أعطت الانطباع، من البداية، أنه لا يمكن غزوها و... (وإن العرب) لا يفكرون حتى فى القتال. والآن وفى جنوب لبنان لا تجد إسرائيل أمامها إلا خيار الانسحاب. إن الجيش الإسرائيلى العظيم أضعف مما اعتقد الناس».

والجدير بالذكر أن إسرائيل تعهدت بسحب قواتها البالغ عددها ١٥٠٠ جندى من لبنان بحلول شهر يوليو تموز) المقبل بغض النظر عن أية اتفاقيات سلام مع سوريا. وإن كانت لم تصدر أية إشارة رسمية من «حزب الله» على أنه لن يستمر فى المعارك عبر الحدود، إلا أن «حزب الله» يرفض القول عما إذا كان سيتخلى عن تعهده طويل المدى بـ «تحرير القدس»، ويفضل نصر الله سياسة الغموض، وبالتالى بحق إفشال أى اتفاق

ويقول نصر الله «إن استمرار هذه القضية غير واضحة ـ الأمر الذى يعنى احتمال وقوع هجمات عبر الحدود أو لا ـ فى مصلحة لبنان وسوريا، وفى النهاية، هذه ورقة فى غاية الأهمية، ويعلم الإسرائيليون ذلك».

ويعتبر نصر الله أكثر اعتدالاً وبرجماتية من زعماء «حزب الله» السابقين، وهو مسؤول عن إعادة تنظيم الحركة منذ تولى هذه المسؤولية عام ١٩٩٢ بعد اغتيال إسرائيل لسلفه الشيخ عباس موسوى وأسرته فى هجوم بطائرة هليكوبتر. وذكر بعض المحللين الإسرائيليين أن «حزب الله» حول الوجود الإسرائيلى فى لبنان ـ الذى بدأ قبل ٢٢ سنة ـ إلى هزيمة مهينة مماثلة للهزيمة الأمريكية فى فيتنام.

والمعروف أن «حزب الله» سرى فى نشاطاته بقدر ما هو فعال فى ميدان المعركة. ويوضح نصر الله أن جوهر مبادئه، أى المعتقدات المعادية لإسرائيل، لم تتغير.. ويؤكد على إثبات نقطة أخرى: «يعلم الجميع أنه بدون تضحيات المقاومة، لا يمكن تحقيق هذه النتائج. المفاوضات فقط لن تجعل إسرائيل تنسحب».

ويضيف: «إن سبب قوتنا يعود إلى أننا نفعل أكثر مما نتكلم». ويعارض نصر الله المفاوضات الفلسطينية ـ الإسرائيلية ويقول: «إنهم يهينون عرفات ويقدمون القليل له. وفى أفضل الأحوال، ستقوم دولة صغيرة متفرقة، تسيطر إسرائيل على حدودها، وبدون عودة اللاجئين، أو القدس كعاصمة لها) ولا جيش.. وحتى الشرطة الفلسطينية ستصبح جزءاً من الأمن الإسرائيلى».

وكان نصر الله قد دعا ـ بعد اتفاقية «واى» فى أكتوبر تشرين الأول) الماضى ـ الفلسطينيين إلى حمل «سكين أو قنبلة يدوية أو بندقية.. أو قنبلة صغيرة.. لقتل الإسرائيليين والاتفاقية».

هل سيؤيد «حزب الله» مثل هذه المقاومة؟ يرد نصر الله على السؤال بابتسامة غامضة: «يعتمد هذا على المستقبل».. سندرس ذلك».

ألا أن زعيم «حزب الله» يرفض وجهة النظر الأمريكية القائلة بأن الدعوة لمثل هذه النداءات تعتبر إرهاباً، ويرد على ذلك بقوله: «إن اتهامات الإرهاب غير قانونية. إن القانون الدولى وجميع الديانات تسمح لأى شخص تحت الاحتلال بمقاومة قوات الاحتلال».

وأضاف نصر الله: «لقد غزت القوات الإسرائيلية فى عام ١٩٨٢ واحتلت جزءاً كبيراً من أرضنا، وقتلت الآلاف ودمرت المبانى والاقتصاد، ولم تقل الولايات المتحدة أبداً إن ما فعله الإسرائيليون يعد إرهاباً، ولكننا نحن الذين نحمل سلاحاً للتخلص من الاحتلال نعتبر إرهابيين».

لقاء صحيفة الأهرام مع حسن نصر الله ..
وقائع مهمة سرية فى لبنان

«فى أية لحظة ستتم المقابلة».. هكذا وبجملة واحدة خاطفة انتهى الاتصال، لكن الرسالة وصلت باختصار إلى بعثة «الأهرام» فى بيروت قبيل صلاة يوم الجمعة الماضى، وبعدها انفتح الطريق أمام ما تحول بعد ذلك إلى «مهمة سرية» أخذتنا إلى لقاء السيد حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله.. حزب المقاومة الذى فرضت عملياته نفسها باعتبارها الضلع الحاسم فى مناورات العلاقة الثلاثيه القلقة بين لبنان وإسرائيل والمقاومة اللبنانية وخلال ساعات قليلة، كان الموعد قد تحدد بدقة بعد اتصالات أجراها الصديق طلال سليمان رئيس تحرير جريدة «السفير» اللبنانية المعروفة بتعاطفها مع القضايا القومية، وتأييدها الواسع للمقاومة، وتقاربها مع سوريا أكثر من أى شىء آخر. وكانت التعليمات التى نقلت إلينا قاطعة: «سنتولى نحن ترتيب الانتقال إلى موقع اللقاء». وفى الرابعة تماماً بعد الظهر، كنا نركب السيارات إلى المكان الذى اختير لإجراء المقابلة والذى بقى موقعه سراً حتى الثانية الأخيرة لاعتبارات مفهومة)، بعد أن طلب منا مسئولو «حزب الله» الذين أرسلوا لمرافقتنا ـ وبحسم مهذب ـ أن نترك أجهزة التسجيل والتليفونات المحمولة فى الفندق. إلا أن حواراً قصيراً معهم انتهى بالسماح لنا باصطحاب آلات التصوير والمسجلات، بينما بقى الحظر سارياً على أجهزة «الخلوى»، وهو الاسم الذى يطلقه الناس هنا فى بيروت على الهاتف المحمول. ولم نكن فى حاجة إلى شرح الأسباب، وبسرعة وجدنا أنفسنا على درب مترب اخترقت فيه السيارات عدداً من الأزقة العشوائية للضاحية الجنوبية، والتى لمع اسمها وسط دوامة العنف والدم فى سنوات الحرب الأهلية، بما فى ذلك منطقة «حرش القتيل» التى نمت بيتاً وراء بيت قرب حارة «حريك» فى مكان

كانت تنبت فيه أحراش الصنوبر.. وكانت التسمية الغريبة للمنطقة قد شهرت بعد حادث قتل ظل غامضاً لسنوات، ونسى الناس ملابساته لكن بقى منه الاسم والذكرى

وكان ملحوظاً من الطريقة التى تعمد بها قائدو السيارات أن يسلكوا أكثر من طريق جانبى بدعوى أن هناك «عجقة سير» أو اختناقا مروريا) أنهم لا يريدون فى الحقيقة أن يتركوا شيئاً للمصادفة أو أن يسهلوا مهمة من يمكن أن يفكر فى تعقبهم.. وبعد دقائق قليلة، كانت أصوات العاصمة الصاخبة قد خفتت، وابتعدت معها شيئاً فشيئاً الأضواء والمبانى العالية ولسعة الأسعار الملتهبة فى شارع الحمراء وضحكات الفتيات على كورنيش الروشة.. لكن أحداً لم يتطوع بأن يشرح – ونحن لم نحاول أن نسأل – ما إذا كان اللقاء سيجرى داخل بيروت أو فى الجنوب أو فى مكان ثالث على الطريق بينهما

ثم بدا بعد بعض الوقت أننا نقترب من الهدف، عندما ظهرت أمامنا متاريس وبوابة حديدية تمتد بعرض أحد الشوارع، ويتوقف عندها من يريد الدخول، ومن خلفها شبان مسلحون يحملون الرشاشات. ومن البوابة التى انفتحت إثر نظرة عين من مرافقينا وجدنا أنفسنا بعد خطوات داخل مبنى بسيط يضم أحد مقار «حزب الله»، حيث أعدت قاعة صغيرة للقاء.. ولم تمر إلا لحظات قليلة استغرقها فحص دفاترنا وأجهزة التسجيل التى نحملها حتى دخل السيد حسن نصر الله بخطوات سريعة برغم بدانته الظاهرة، ولسبب أو آخر لفت نظرنا أنه ربما كان يحمى صدره بقميص مضاد للرصاص.. ليبدأ على الفور اللقاء الذى تلاحقت فيه الأسئلة والردود لقرابة الساعتين.. وخلاله انقطعت الكهرباء مرة أو اثنتين كأنما لتذكرنا بالسبب الذى جئنا من أجله إلى هذا المكان.. ومع ذلك استأنف الجميع حوارهم الساخن فى الظلام للحظات تكفلت بعده المولدات بحل المشكلات، ثم فتح الباب أكثر من مرة بهدوء ليقاطع أحدهم الشيخ، ويضع أمامه آخر تقارير ميدانية وصلته لتوها عن عمليات المقاومة والتحركات الإسرائيلية، وكان يقرؤها فى صمت ينهيه كل مرة بابتسامة زادت مساحتها بعد أكثر من رسالة.. إلى أن سأله الأستاذ إبراهيم نافع رئيس التحرير عن السر فى ابتهاجه فأبلغ الجميع بأن المقاومة انتهت قبل لحظات من توجيه ضربة ناجحة للعدو.

وفى إجابته عن أسئلة أعضاء بعثة «الأهرام» بدا الشيخ الشاب – الذى فقد ابنه فى عملية قبل شهور قليلة – مرتباً وصافى الذهن و«مدرباً» على التعامل مع وسائل الإعلام..

ومع ذلك فإن هذا القدر العالي من الاحتراف، الذى يتحرك به باقى مساعديه تنظيما وأمنياً وإعلامياً، لم يمنعهم من أن يسارعوا ـ قبل أى أحد آخر ـ إلى بث مقتطفات من المقابلة التى أجرتها البعثة مع الشيخ حسن، ويبعثوا بها إلى عدد من الصحف اللبنانية فى لهفة لم تسمح لهم بالتشاور مع أحد، بما فى ذلك «الأهرام» نفسه الذى تعطيه تقاليد المهنة الحق وحده فى نشر الحوارات التى يجريها فى التوقيت الذى يختاره(*).

وأيا ما كان الأمر فإن أى تساؤل حول اعتبارات الضيافة أو الملاحظات حول الطريقة التى تم بها التعامل مع الحوار، لا يقلل بأى حال من مشاعر الإكبار لدور المقاومة وصمودها والذى كانت الدافع الأكبر فى سعينا إلى ترتيب المقابلة.. والأهم أن الحوار نجح، فى تصورنا، فى الاقتراب من أفكار هذا الرجل الذى كان لابد من الاستماع إليه، فى الوقت الذى كانت أصداء صواريخ إسرائيل تحاول أن تغطى على أى شىء آخر بالعملية، التى أطلقت عليها تل أبيب اسم «الشعلة الصامدة»، كأنها تختار ـ ورغماً ـ عنها الاسم الذى تستحقه المقاومة، وهى تقف وحدها على خط النار فى مواجهة الآلة العسكرية المتوحشة للاحتلال.

وهكذا جاءت الأسئلة وبعدها تتابعت الإجابات.

● الأهرام: ما هو مدلول تسمية «حزب الله».. وهل تعنى هذه التسمية أن كل من لا ينتمى إلى الحزب ينتمى إلى حزب الشيطان؟

● ● حسن نصر الله: أطلق حزب الله هذا الاسم على مجموعة الناس الذين يطيعون الله ورسوله، ونحن ندعى أننا نطيع الله ورسوله، ولذلك نحن نستحق هذا اللقب. ولكن لا يعنى هذا أننا معصومون من الخطأ، أو أننا لا نهزم أو نغلب.

● ما رأيكم فيما حدث فى الآونة الأخيرة من قيام إسرائيل بقصف منشآت مدنية فى لبنان؟

● ● ما قام به العدو الإسرائيلى فى الفترة الأخيرة هى عمليات ثأرية، فهو عاجز عن

(*) غريب جداً أمر محرر هذا الحوار الصحفى ألا يعلم من كان يجرى الحوار؟ وهل هو مجرد شخص عادى (حتى لو كان رئيساً لدولة) تشترط عليه الأهرام التوقيت والحق فى النشر من عدمه؟ ألا يعلم أنه كان يجرى الحوار مع أهم شخصية جهادية عربية كانت ولاتزال تحرك الأحداث فى المنطقة ومن ثم توقيتات وحقوق الحوارات معها مسألة لا تخضع للاعتبارات المتعالية التى يحددها هذا المحرر المحترم (سبحان الله).

مواجهة المقاتلين فى الجنوب، بعد أن فشلت اجراءاته فى صد هذه العمليات، كما أنه لا يجرؤ على القيام بأية «اندفاعة» برية لأن ذلك سيلحق به الكثير من الخسائر، ومن ثم تلجأ إسرائيل إلى السلاح الجوى لتنتقم من لبنان وشعب لبنان. ونحن نأسف جداً لأن باراك يطلق تهديداته للبنان والمقاومة.. صدرت عنه عندما كان فى القاهرة ثم كررها فى اليوم التالى فى عمان.

- عندما سألنا عن ذلك، قالوا لنا إن هذه الأقوال جاءت فى آخر سؤال بالمؤتمر الصحفى الذى عقده الرئيس مبارك وباراك، وكان هذا السؤال باللغة العبرية ولم ينبه أحد الرئيس، وقد قامت مصر برفض هذا العدوان بكل قوة وأدانته أمام العالم كله.

- الشيخ حسن نصر الله: على أية حال، الإسرائيليون حاولوا فرض معادلة جديدة تقوم على أن حماية المحتلين فى جنوب لبنان تتم من خلال ضرب البنية التحتية فى لبنان.. وفى السابق كانوا إذا قصفوا مدنيين عندنا نقوم بقصف المستعمرات لحماية المدنيين، الآن هم لجأوا إلى قصف البنية التحتية عندنا لحماية جنود الاحتلال. فماذا تريد إسرائيل من ذلك؟ تريد أن يبقى جيش الاحتلال فى الجنوب اللبنانى، وإلا تطلق المقاومة عليه النار، وإذا أطلق عليه النار تتم إبادة البنية التحتية اللبنانية، كما تريد فى المستقبل أن تتحول المقاومة لتصبح حرساً لجنود الاحتلال وهذا غير منطقى، وقد كان تقدير الموقف لدينا عندما قصفت محطات الكهرباء مؤخراً هو أننا من حقنا الطبيعى أن نطلق كاتيوشا على المستعمرات. لكن قبل أن ينفذوا الغارات الجوية، كان باراك قد ذهب شخصياً إلى الشمال، والتقى مع رؤساء المستوطنين، وطلب منهم النزول إلى الملاجئ ومعلوماتنا تقول إن ٧٠ فى المائة من السكان أخرجوا من المنطقة كلياً، كان ٣٠ ألف مستوطن صهيونى ما بين مهجر ومختبئ بالملاجئ تحسباً لأن تقوم المقاومة بالرد. ونتيجة الحملة الإعلامية التى صاحبت العمليات الأخيرة، صار عندنا تقدير موقف يقوم على شقين: الشق الأول هو كسر المعادلة الجديدة التى تحاول إسرائيل فرضها، فإسرائيل تقول إنها تريد حماية الجنود بضرب البنية التحتية اللبنانية، وإن ضرب البنية التحتية هو للضغط على المقاومة لوقف عملياتها، فقلنا سنستمر فى العمليات فالعمليات من شأنها أن تسقط معادلة حماية الجنود/ ضرب المنشآت. والتدليل على هذا الموقف، ضربنا فى صباح اليوم التالى للعمليات الإسرائيلية جنود

الاحتلال، وقتلنا عدداً منهم بالإضافة إلى قتل عدد من عملائهم. وهذا الأمر تكرر أمس «الخميس» فى بعض العمليات ضد جيش أنطون لحد، واليوم أيضاً «الجمعة» هناك قتيل وثلاثة جرحى إسرائيليين. وسنستمر فى العمليات أياً كانت الإجراءات والضغوط والخطوات التى يمكن أن يلجأ إليها العدو الإسرائيلى لوقفها. ولا أعتقد أن لبنان، حكومة وشعباً، يوافق على وجود الاحتلال على أرضه بدون أن يسموا بسوء.. نحن ليس لدينا خيار كلبنانيين سوى إخراج المحتل. أما الشق الثانى فهو ضرورة حماية البنى التحتية والمدنيين فى لبنان، ومن ثم كان تقديرنا أن المصلحة الوطنية ومصلحة المقاومة تفترض فى الوقت الراهن ضبط النفس مع الاحتفاظ بحق الرد، حيث كان من الواضح أن المشروع الإسرائيلى كله يتبنى استدراج «حزب الله» إلى القيام برد فعل عنيف وعندما مارسنا ضبط النفس صار المشروع كله فى حالة اهتزاز، نحن ننفى إننا لا نرغب فى قصف الكاتيوشا، وإنما قلنا إننا نحتفظ بحق الرد ونختار الوقت المناسب والشكل المناسب للقيام بذلك، فهذا خيار مفتوح ولم ينته. وبالتالى يتوقع المستوطنون فى الشمال الانتقام منهم فى أية لحظة، وأعتقد أن ذلك الوضع يجعل إسرائيل فى حالة إرباك وستستمر عملياتنا طالما كانت أرضنا محتلة ويوجد عليها جنود الاحتلال.

وقد عبر لبنان عن وقوفه، حكومة وشعباً وجيشاً، على اختلاف طوائفه واتجاهاته الفكرية والدينية والسياسية، إلى جانب حق مقاومة وإزالة العدوان.. فنحن ليس لدينا مشكلة فى لبنان فهذا حق ليس فقط للمقاتلين فى المقاومة وإنما أيضاً شعار للبنانيين، وقد ظهر ذلك فى تموز (يوليو) ١٩٩٣، وفى ١٩٩٦، وفى عدوان حزيران (يونيو) قبل أشهر قليلة، وفى العدوان الأخير.

إسرائيل افترضت يوم الاثنين الماضى أن الكرة فى ملعبنا، ولكن بعد ضبط النفس من جانب «حزب الله»، والعمليات التى قامت بها المقاومة فى أرض الاحتلال، عادت الكرة إلى الملعب الإسرائيلى.. ومن ثم على إسرائيل أن تقرر إلى أين تريد أن تأخذ المنطقة، فهل تريد أن يبقى الصراع القائم فى الجنوب وفقاً لقواعد اللعبة التى حددها تفاهم نيسان (إبريل)، أم تريد تغيير هذه القواعد؟ وعلى كل الأحوال نحن جاهزون لكل الاحتمالات.

● فى ضوء ما حدث فى اجتماع لجنة نيسان (أبريل) اليوم (الجمعة) هل تتوقع ضربة أو ضربات إسرائيلية أخرى بعد أن أعيدت الكرة إلى الملعب الإسرائيلى؟ وهل تتوالى

الأفعال وردود الأفعال؟ وهل هذا هو المطلوب فى المرحلة الراهنة؟

● الشيخ حسن نصر الله: أولاً المفاوض الإسرائيلى لم يدخل إلى جلسة تفاهم لجنة نيسان ليخرج منها، وإنما وصل إلى مكان انعقاد اللجنة متأخراً، ولم يدخل قاعة الجلسة.. الإسرائيليون تعاملوا بتعال وغطرسة فى الوقت الذى كان من المفترض أن لجنة نيسان تجتمع لإدانتهم على ما فعلوا وارتكبوا من عدوان، لكن إسرائيل كانت تريد أن تضع الشروط، وتتحكم فى كل شىء بما فى ذلك الجو النفسى للقاء. وما يجب النظر إلى الأمور على أنهم ضربوا ونحن نرد أو العكس، وإنما يجب الالتفات إلى أن هناك أرضاً تحتلها إسرائيل، ولبنان يحاول استرجاعها وإنهاء الاحتلال فيها، وبالتالى لسنا فى حاجة إلى ترديد التفاصيل وقواعد اللعبة وغيرها من الكلمات.

يقول المتطرفون فى إسرائيل، مثل نائب وزير الدفاع، أننا نعتدى على أرض وطنهم، ولكننا نرى أن ما يتحدثون عنه هو أرض فلسطين المحتلة، أما أرضهم فهى أثيوبيا ليهود الفلاشا وروسيا بالنسبة للمهاجرين الروس، وسيجئ الوقت على هؤلاء الذين يحسون فيه بالحنين إلى أوطانهم الأصلية. ويقول نائب وزير الدفاع الإسرائيلى فى الصحافة أن الإسرائيليون ظنوا أنهم ببعض الكلمات والعمليات العسكرية وتغيير قواعد اللعبة سيمنعون حدوث خسائر فى الجنود الإسرائيليين، مشكلتنا يكون حلها من خلال عملية سياسية.. وهذا الرأى يختلف عما ذهب إليه باراك وشارون موفاز من قبل، فبعد أن أعلن شارون موفاز وعدد من الوزراء دفن تفاهم نيسان، يقولون اليوم إنهم لا يريدون تغيير تفاهم نيسان، وقد جاء ذلك نتيجة رد المقاومة وتماسك الموقف اللبنانى.

أى اتهام يوجه إلى «حزب الله» بأنه خرق تفاهم نيسان هو اتهام ظالم وغير صحيح، وهذا الاتهام مجرد حجة تستغل لاسترداد معنويات الجيش الإسرائيلى الذى لحقت به خسائر خلال الأيام القليلة الماضية. اليوم (الجمعة) اعترفوا بأن هناك تسعة عشر قتيلاً إسرائيلياً عام ١٩٩٩، بينما قتل خلال الخمسة عشر يوماً السابقة ثمانية أشخاص بالإضافة إلى عشرين جريحاً. والحديث عن خرق التفاهم من قبل «حزب الله» هو مجرد ذريعة للقيام بخرق التفاهم من قبل إسرائيل، وكل العمليات التى قام بها «حزب الله» تمت داخل نطاق التفاهم، ولم يكن هناك أى شىء خارج هذا الإطار. وأؤكد أنه ليس لدى إسرائيل خيار سوى الخروج من أرض لبنان.

● متى يكمن العمل الفدائى، ومتى يجب دفعه إلى أقصاه؟

● الشيخ حسن نصر الله: تنبع أهمية المقاومة فى جنوب لبنان من كونها مقاومة فعلية وجادة وهادفة. وقد استطاعت أن تحدث حالة من الاستنزاف الكبير بين قوات الاحتلال.. فبعد أن اجتاحت إسرائيل فى عام ١٩٨٢ جزءاً كبيراً من الأراضى اللبنانية، استطعنا بعد أقل من ثلاث سنوات إخراجها من العاصمة والضواحى وجبل لبنان وصيدا وصور والنبطية والبقاع الغربى، لتختبئ قوات الاحتلال خلف التلال المعروفة حالياً بالشريط الحدودى، وقد كان ذلك نتيجة لعمليات المقاومة وليس بفعل العمل الدبلوماسى أو السياسى، حيث ضغط الشعب الإسرائيلى على حكومته فأخذت قرار الانسحاب.

ومنذ هذا الوقت وحتى الآن، وبالرغم من مرور لبنان بظروف داخلية صعبة لم تنته إلا بعد اتفاق الطائف، استعادت حركة المقاومة نشاطها بشكل كبير. وتعمل المقاومة بطريقة العمليات وليس بقصف الكاتيوشا، فالكاتيوشا استثناء، وهو سلاح لتحقيق هدف محدد، ولذلك نحن لا نعتبر أن قصف الكاتيوشا عمليات مقاومة وإنما نعتبره إجراء دفاعياً.. أما العمليات الميدانية فهى متروكة للظروف. نحن لا نقول للمقاومة افعلوا أو لا تفعلوا، لأنه حينئذ لا تصبح هذه المقاومة جادة أو مؤثرة.. وقد كانت مقاومتنا فى جنوب لبنان حتى الآن لها فاعلية وتأثير لأنها مقاومة فعلية ولها نتائج نوعية تشعر الإسرائيليين بأنهم مضغوطون، وقد أظهر استطلاع للرأى أعلن أمس الأول «الاربعاء» أن ٧٣٪ من الإسرائيليين مع الانسحاب من لبنان، أى أصبح هناك رأى عام إسرائيلى يطلب الخروج من لبنان نتيجة عمل المقاومة.

● باراك قال إن إسرائيل ستنسحب فى يوليو المقبل، فهل العمليات الأخيرة هى موقف «تكتيكى» من جانبكم، خصوصا وأنكم لم تقوموا بأية أعمال خلال الأشهر الخمسة الأخيرة؟

● الشيخ حسن نصر الله: من الواضح أن باراك نتيجة لضغوط المقاومة يريد الإنسحاب وفق شروطه، ويريد أن يعاقب لبنان على مقاومة الاحتلال، وهذا ما نخشاه، ونرى ضرورة مواجهته. وهنا تقع المسئولية على الحكومات العربية والمجتمع الدولى، فإذا كان يريد الخروج فليخرج، ولكن بدون أن يدمر البلد.

● هل موقف المقاومة الحالى هو موقف استراتيجى أم موقف تكتيكى يخدم المفاوضات السورية، خصوصا أن المقاومة لم تقم بأية عمليات خلال الأشهر الخمسة الماضية، وأن الإسرائيليين قالوا إنهم سينسحبون فى يوليو المقبل أو قبل ذلك؟ ولماذا تتم هذه العمليات فى وقت قد يكون فيه الثمن كبيراً؟

● الشيخ حسن نصر الله: إذا قمنا بعمليات مقاومة يقولون إن «حزب الله» يعمل بأوامر إيرانية لعرقلة المفاوضات الإسرائيلية ـ السورية، وإذا أوقفنا العمليات يقولون أن «حزب الله» أوقف العمليات بأوامر سورية لتسهيل المفاوضات، وإذا خربت المفاوضات وتجمدت وعملنا عمليات يقولون هذا ضغط سورى على إسرائيل لكى تخضع لمطالبها.. هذا كله مجرد أوهام، ومن يقول ذلك لا يعرف حقيقة ما يجرى فى جنوب لبنان، وحقيقة المقاومة وهويتها وإرادتها. وأود أن تقرأوا ما قاله شارون موفان حين يقول إن عمليات المقاومة إزدادت لكن خسائر العدو كانت أقل نتيجة الاجراءات التى اتخذتها إسرائيل فى وجه المقاومة، أى أن فعاليات المقاومة لم تتراجع من حيث نصب الكمائن وزرع العبوات، بل إنها كانت أكبر من أى وقت آخر، والدليل على ذلك سقوط عدد كبير من الشهداء خلال الاشهر الخمسة الماضية أثناء محاولتنا بالعقل والدم إسقاط هذه الاجراءات، فقد كانت هناك عمليات أثناء المفاوضات، بفارق أننا لم نكن نحقق كل ما نريده من نتائج خلال هذه الفترة نتيجة إجراءات العدو، وعندما بدأنا نتجاوز هذه الإجراءات بدأنا نصيب الأهداف.

وأقول بكل صدق إن السوريين لم يتحدثوا معنا، سواء عندما ذهبوا إلى المفاوضات أو عندما أوقفوا المفاوضات، ولم يقولوا لنا شيئاً بهذا الخصوص. سوريا لديها موقف مبدأى ثابت ومعلن، فهى تعترف بحق المقاومة والعمليات فى جنوب لبنان فى مواجهة الاحتلال، وتثق ثقة كبيرة فى حكمة وعقل هذه المقاومة.

هناك البعض فى العالم العربى لا يصدقون أن هناك شباباً فى لبنان يأخذ على عاتقه إنهاء الاحتلال وتحرير الأرض بنية خالصة وصادقة، ولا يعملون لحساب إقليمى أو دولى، ولكنهم يعتبرون إنهاء الاحتلال قضية مقدسة يرون فيها دينهم وصلاتهم وصومهم وآخرتهم.. هذه هى المقاومة الموجودة فى جنوب لبنان.

ولا أوافق على مطالبة بعض الجهات للأخوة فى المقاومة بالتوقف عن العمليات حتى

ينعقد اجتماع لجنة تفاهم نيسان، ففي أي وقت يستطيع فيه الأخوة قتل الجنود الإسرائيليين يجب أن يتركوا يقومون بذلك، سواء كان هناك اجتماع للجنة التفاهم أم لا فالتفاهم يحمي المدنيين وليس جنود الاحتلال الإسرائيلي.

● مع كل مشروعية أعمال المقاومة، هل تأخذون في اعتبارات حسابات القرار في «حزب الله» معاناة الناس نتيجة ضرب المنشآت المدنية والاقتصادية؟

● ● الشيخ حسن نصر الله: ليس لدينا خيار آخر، فالخيار الآخر هو أن تبقى أرضنا محتلة من قبل إسرائيل، ومن ثم تفرض شروطها على لبنان.

قدر الشعب اللبناني أن يقاوم وأن يتحمل أعباء هذه المقاومة، والإسرائيلي لا يستطيع أن يستمر على هذا الحال.. لا أدعي التوازن أو التكافؤ، وإنما أرى أن هذا النوع من القتال مكلف كثيراً للإسرائيليين، ولا أريد أن أوجه تهديدات، ولكن أجعلونا نعمل أكثر مما نتحدث.

● هل لديكم تصور مستقبلي للتسوية الممكنة، وهل يمكن فتح الباب أمامها؟

● ● الشيخ حسن نصر الله: بالطبع يمكن أن ينفتح الباب، والدليل على ذلك ذهاب السوريون والإسرائيليون إلى طاولة المفاوضات في واشنطن، حيث لم يكن أحد يتصور إمكان حدوث ذلك في هذا التوقيت وبهذا الشكل.. ونحن نأخذ في الحسبان وجود جهود دولية للتسوية في المنطقة، ونرسم سياستنا وحركتنا على إمكان حدوث التسوية في المنطقة، فنحن نعتبر أن التوصل إلى تسوية سلميه نصر للمقاومة ومنطق المقاومة، وهذه التجربة التي مررنا بها ستكون حجة على الشعب الفلسطيني عندما يرى المحصلة النهائية لمفاوضات الوضع النهائي ويقارنها بالمحصلة التي أخذتها لبنان وسوريا نتيجة صمودهما كل هذه السنين حتى حققوا أهدافهم على المستوى الوطني.. ومن جهة أخرى، نحن موجودون في لبنان ولنا مؤسساتنا ونوابنا وسنكمل حياتنا الطبيعية، وسنكون فاعلين أكثر في الحياة السياسية.

بالنسبة لإسرائيل سوف تبقى في فكرنا وبرنامجنا كياناً غير شرعي وغير قانوني وطارئ وسرطاني ولا يمكن أن نعترف به، وبالتالي سننخرط مع أطراف أخرى في مقاومة التطبيع مع هذا الكيان، لأن مواجهة التطبيع هي التي من شأنها أن تعيق تحول إسرائيل إلى دولة عظمى في المنطقة. ومثلما كانت حرب ١٩٧٣ وحرب ١٩٨٢ والمقاومة في لبنان

وفشل الاحتلال الإسرائيلى هى العوامل التى أسقطت مشروع إسرائيل الكبرى الممتدة عسكرياً، فإن مواجهة التطبيع هى التى من شأنها أن تسقط إسرائيل العظمى التى ستمتد سياسياً واقتصادياً وثقافياً.

أما موضوع الاستمرار فى العمل المسلح، فهذا أمر نترك الحديث عنه الآن، لأن إبقاء هذا الأمر مخيفاً ـ سواء كان الجواب إيجابياً أو سلبياً ـ يحقق المصلحة اللبنانية فى الوقت الراهن.

● لماذا بقى «حزب الله» بمفرده فى ساحة المقاومة.. وما تعليقكم على ما يقال من أن «حزب الله» خرج من عباءة حركة أمل؟

● ● الشيخ حسن نصر الله: مطالب لبنان واضحة، وهى استعادة الأرض التى تم احتلالها واقتطاعها، ويوازى استعادة الأرض من حيث الأهمية عودة اللاجئين الفلسطينيين، ومن ثم هناك موضوع التعويض، فلبنان لا يتحمل من حيث تركيبته الاجتماعية وطبيعة مشاكله الراهنة توطين الفلسطينيين، وحزب الله عندما يرفض توطين الفلسطينيين فى لبنان لا ينطلق من حسابات سياسية أو أيديولوجية، وإنما ينطلق من أن التوطين فى لبنان ثم فى سوريا والأردن التخلى عن فلسطين، وهذا أمر غير مقبول وغير وارد.. ونحن نقول إنه لا يجب فقط رفض توطين الفلسطينيين فى لبنان، وإنما ينبغى أيضاً رفض تهجيرهم وتشتيتهم فى العالم، فالفلسطينيون يجب أن يعودوا إلى أرضهم ويستردوا حقوقهم.

وعندما انطلقت المقاومة عام ١٩٨٢ كانت هناك أحزاب لبنانية، وهذه الأحزاب تبنت أسماء مختلفة، مثل الأحزاب اليسارية التى عرفت بجبهة المقاومة الوطنية، وحركة أمل التى كان يطلق عليها عندما كانت تقوم بأعمال مقاومة اسم أفواج المقاومة اللبنانية، وهذه تسمية أخرى، ولكن عندما كانت توجد مشاكل داخلية كانت حركة أمل تصر على القول بأنها هى التى قامت بعمليات المقاومة، وكانت هذه التسميات تطلق على العمليات ضد الاحتلال الإسرائيلى.. وعندما أطلق الإمام الصدر تسمية أفواج المقاومة اللبنانية كان يقصد بها العمليات فى مقابل الاحتلال. و «حزب الله» بقى لأكثر من سنة ونصف سنة ينفذ عمليات دون أن يعلن عن نفسه سواء كـ «حزب أمل» أو مقاومة إسلامية، لأنه لم يكن يسعى إلى قطف ثمار سياسية أو إعلامية. وهذا الإخفاء للعنوان هو الذى حمى المقاتلين المنتسبين

للحزب فترة من الزمن، وعندما صار مفهوماً أن هذه المجموعة مختلفة عن بقية الأحزاب تم الإعلان حينئذ عن المقاومة الإسلامية في ١٩٨٣ .

وفي الحقيقة، يشير اسم المقاومة الإسلامية إلى العمليات العسكرية والأمنية التي ينفذها مقاتلو «حزب الله» في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي. ومن الجدير بالذكر، أن هناك تمييزاً بين المقاومة الإسلامية وجبهة المقاومة الوطنية، فنحن نفرق بين التسمية الدينية والتسمية الطائفية، وعندما نتحدث عن مقاومة إسلامية فنحن نتحدث عن هوية هؤلاء المقاتلين الفكرية والعقائدية وليس عن هويتهم الطائفية، فما يرسل هؤلاء المقاتلين إلى الجنوب للمقاومة هو الإيمان بالله وباليوم الآخر والاستجابة لنداء الله في مقاومة المحتلين والأمل في دخول الجنة، فقد يكون هناك بعض الشباب الذين إذا قلت لهم دافعوا عن الوطن، يردون بالقول ندافع عن الوطن وهو لا يعطينا شيئاً، وهناك من ينهب ويسرق وغير ذلك!! وعندما تقول لهم دافعوا عن العرب، يردون عليك بالقول إن العرب يسعى كل منهم إلى مصلحته القطرية الضيقة.. أقصد أن أقول إن لغة التحريض ذات الطابع الوطني البحت أو القومي البحت غير قادرة منذ سنوات على صنع مجاهدين يقاتلون بالطريقة التي تجري حالياً بلبنان. فمن غير الممكن تصور أن هناك شبابا لا يملكون طائرات أو صواريخ أو دبابات ويعيشون في العراء يقاتلون أقوى جيش في منطقة الشرق الأوسط.. الفكر الوحيد الذي يمكن أن يحقق ذلك هو الإسلام، ولذلك نحن مؤمنون بأن يستخدم اسم هذا الفكر لتسمية المقاومة، فالمقاومة من صنع الإسلام.

ومن اليوم الأول، لم تكن تسمية المقاومه بالإسلامية تحمل أي معنى طائفي، ولم تكن تستهدف أحداً من أبناء الوطن، المقاومة الإسلامية لا تقاتل دفاعاً عن المسلمين، ولا عن مناطق المسلمين فقط، وإنما تدافع عن كل لبنان: مسلمين ومسيحيين، وتدافع عن كل القرى اللبنانية وهذا الموضوع تم تجاوزه في لبنان. الأمر الأهم هو التحدث عن مخاوف من تعاظم قوة «حزب الله» يمكن أن ينتصر ويهزم إسرائيل، ويمكن أن يكون له وجود في المعادلة الاقليمية، لكن عندما نعود إلى المعادلة المحلية نعود إلى لبنان بتناقضاته وحساباته ومن يتحدث عن هذه المخاوف يعرف أنه يبالغ كثيراً، وأنه لا داعي لهذه المخاوف.

قبل عام ١٩٨٢ كان عددا من قياديي وكوادر «حزب الله» في حركة أمل، لكن كانت مجموعة أخرى من قيادات وكوادر الحزب في أطر إسلامية أخرى - غير حركة أمل - تأخذ أسماء وأشكالاً مختلفة: اتحادات طلابية، جمعيات، لجان ولم يكن لها شكل مركزي في

الحقيقة وعندما حدث الاجتياح الإسرائيلى فى عام ١٩٨٢ حدث خلاف داخل حركة أمل حول كيفية تعاطى هذا الاجتياح وانفصلنا عن حركة أمل، والتقينا مع المجموعة التى كانت خارج حركة أمل، وشكلنا تشكيلاً جديداً، واتفقنا على مقاومة الاحتلال ومواجهته، واخترنا خيار الجهاد والدفاع المسلح. ولم نكن مهتمين بإقامة مؤتمر أو إصدار بيان تأسيسى أو حتى بتسمية التشكيل الجديد أما اسم المقاومة الإسلامية فقد جاء بعد سنة ونصف السنة من هذا التشكيل، وبالتالى ليس دقيقا القول، إن «حزب الله» تكون وولد فى رحم حركة أمل أو أنه خرج من تحت عباءتها.

● ماهى طبيعة علاقتكم مع سوريا وإيران؟

● الشيخ حسن نصر الله: نحن حركة إسلامية جهادية لبنانية، لها فكرها وقضيتها وأيديولوجيتها ومشروعها، ولها قيادتها وتشكيلها، ويتم انتخاب كوادرها. سوريا دولة شقيقة وصديقة، وهناك وحدة مصير معها. نحن صادقون فى ذلك، ولا نجامل السوريين فى هذا الأمر، فهناك وحدة مصير بين سوريا ولبنان، لأن الأمل هو وحدة مصير العرب ووحدة مصير الأمة الإسلامية، هذا فى الوقت الذى ينشغل فيه بقية إخواننا العرب بمصالحهم. وبناء عليه، هناك صداقة وأخوة وثقة وتعاون وتبادل للرأى مع سوريا، لكن «حزب الله» هو الذى يأخذ القرار الذى يقتنع به لتحقيق المصالح الوطنية والقومية، وليس صحيحاً التصوير الإسرائيلى بأن «حزب الله» هو أداة لسوريا.

بالنسبة للعلاقة مع إيران، الدولة الإيرانية دولة نحترمها، ونعتقد أنها دولة إسلامية أصيلة وصادقة وغير مرتبطة بأى قطب من أقطاب هذه الدنيا، وتشكل نموذجاً إسلامياً رائعاً لنظام إسلامى، خصوصاً إذا ما قارنته بنماذج أخرى من النظم الإسلامية. وعندما انتصرت الثورة الإسلامية فى إيران اتخذت قراراً بمساندة الشعب الفلسطينى فى مواجهة إسرائيل لاستعادة الأراضى العربية المحتلة، وقد وجدت القوى الإسلامية فى ايران دولة قوية تقف إلى جانب العرب فى مواجهة المشروع الصهيونى وما شابه. وبعد الاجتياح الإسرائيلى فى عام ١٩٨٢ بدأت العلاقة مع إيران تتطور، حيث كانت الدولة الوحيدة فى العالم التى أرسلت قوات مسلحة إلينا، رغم انشغالها فى الحرب التى كانت مفروضة عليها من قبل الرئيس العراقى صدام حسين، لتقاتل إلى جانب سوريا ولبنان فى مواجهة الاحتلال الإسرائيلى. وعندما اتضح أن الأوضاع فى لبنان لن تأخذ منحى إقليمياً رجعت هذه القوات إلى إيران، ولم يبق منها سوى عدد قليل من الحرس الثورى ليساعد اللبنانيين

بأعمال التدريب والتعبئة المعنوية في مواجهة الاحتلال، الأمر الذى ساعد كثيراً فى استنهاض المقاومة بعد أن كانت المعنويات تكاد تصل إلى الصفر، وبعد أن ساد الحديث عن أننا دخلنا العصر الإسرائيلى ولن نخرج منه.

ومنذ ذلك الوقت، تدعمنا إيران سياسياً، وتقف إلى جانب لبنان حكومة وشعباً.. ويمكن أن تختلف إيران مع الحكومة اللبنانية فى موضوع ما، إلا أنها دائماً إلى جانب الحكومة اللبنانية فى مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية، كما تقف إلى جوار سوريا فى مواجهة إسرائيل.

أما القول بأن العلاقة بين «حزب الله» وبين نظام الجمهورية الإسلامية فى إيران هى علاقة آمر بمأمور فإنه أمر غير صحيح، فإيران لا تتدخل فى شئوننا الداخلية نهائياً، كما أن لها سياستها الخاصة تجاه الحكومة اللبنانية، فعلى سبيل المثال كانت علاقة الإيرانيين مع حكومة رفيق الحريرى السابقه جيدة جدا وكانت لها زيارات متكرره لطهران ونحن كنا معارضين لحكومة رفيق الحريرى، لكن كانت مصلحة إيران كدولة هى أن تكون لها علاقة جيدة مع حكومة رفيق الحريرى، وهذا لم يكن يلزمنا بأن تكون موالين للحكومة، مثل الأحزاب التى لها علاقة بدول وتتصرف على هذا النحو، فأنا عندما أعارض الحكومة يكون ذلك مبنياً على حسابات لبنانية وطنية لها علاقة بالاقتصاد والسياسة الخارجية والمالية وما شابه.

وأحب أن أقول لكم إن موقف إيران المؤيد للبنان وسوريا ينطلق من أساس عقائدى وفكرى وليس من منطلق مصالحها السياسية، فقد تلقت إيران رسائل أمريكية متعددة عبر اليابان وسويسرا وجهات أوروبية مختلفة تطلب فيها من إيران أمرين: الأول أن تسكت عن عملية التسوية، وليس بالضرورة أن تؤيدها. والثانى أن توقف دعمها للمقاومة فى المنطقة، ويقصدون بذلك بالطبع وقف دعم «حزب الله» وحماس والجهاد.. وفى مقابل هذين الأمرين، يحدث انفراج فى العلاقات الأمريكية الإيرانية، وتوقف منظمة مجاهدى خلق الإيرانية المعارضة، ويرفع الحصار الاقتصادى عن إيران، ويتم الاعتراف بدور إيران الإقليمى فى آسيا الوسطى، وتحل مشكلة الجزر الثلاث المتنازع عليها، فهل هناك مصالح سياسية لإيران أكبر من ذلك؟ وهل يمكن أن تحصل على عرض أفضل من ذلك؟ أعتقد أن الإجابة لا.

ولكن إيران لا تستطيع أن تسكت عن عملية التسوية لأنها من أول يوم فى شباط (فبراير) ١٩٧٩ أخذت موقفاً واضحاً من القدس وفلسطين، ولا تستطيع الرجوع عنه.. كما أنها تعتبر أن واجبها الدينى والعقائدى يفرض عليها دعم الحركات الجهادية.

● هل حاولتم بأى صورة من الصور ـ سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر ـ أن تكون لكم علاقة مع مصر؟

● ● الشيخ حسن نصر الله: هذا الموضوع يرتبط بالدرجة الأولى بمدى حضور مصر فى جنوب لبنان، وأود القول إن «حزب الله» ليس فقط فى علاقاته الخارجية وإنما أيضاً فى علاقاته الداخلية مع القوى السياسية المختلفة فى لبنان، لديه برنامج واضح وموقف من الاحتلال الإسرائيلى ومواجهته، وكلما كان الناس قريبين من هذا البرنامج حاول الحزب أن يكون قريباً منهم، بل إن «حزب الله» يعتبر أن من واجبه الاقتراب من هؤلاء.. وأود أن تكون مصر حاضرة فى جنوب لبنان، وتتحمل مسئولية قومية على هذا الصعيد، ولا أريد أن تتدخل فى ظروفها وسياساتها وماشاكل ذلك، ولكن مشاكل لبنان منذ عام ١٩٨٢ وحتى الآن تجعله يشعر بأنه مستفرد، وأنه متروك لقضائه ومصيره. لا نطلب من مصر أن تضع صواريخ ومدافع ومعسكرات فى مواجهة إسرائيل، فنحن لم نطلب ذلك حتى من السوريين الذين يساندوننا، وإنما أشكال المساندة الأخرى التى يحتاجها الشعب اللبنانى مختلفة ومتعددة. ولا يوجد إحساس بلبنان بأن مصر حاضرة للمساعدة، ولم تكن هناك أية مباحثات بيننا وبين أى جهة رسمية فى مصر ولم يحاول أحد فى مصر أن يتباحث معنا، ولا أتذكر أية اتصالات مع مصر، ولا أعرف إذا ما حدثت اتصالات.

● تكلمت عن وحدة مصير مع سوريا فى الوقت الذى لدى سوريا فيه موقف من التنظيمات المشابهة أيديولوجيا لحزب الله داخل سوريا.. فهل هناك خلاف أيديولوجى بينكم وبين السوريين؟

● ● الشيخ حسن نصر الله: هناك ميزة أساسية لدى الأخوة السوريين تتمثل فى قدرتهم على التمييز بين القوى الإسلامية والقوى غير الإسلامية، فهم لا يأخذون بالأسماء، فمثلما أن التيار القومى بداخله العديد من الآراء والصيغ والبرامج المختلفة والمتناقضة، فإن للتيارات الإسلامية فى الدول المختلفة اجتهاداتها وبرامجها وآراؤها المختلفة عن غيرها، ومن هنا فإن النظرة إلى «حزب الله» فى سوريا نظرة مختلفة، فإذا نظرت إلى خريطة العالم الإسلامى فستجد أن النظم الإسلامية تختلف، فمثلاً لا يمكن النظر إلى نظام الجمهورية الإسلامية فى إيران بنفس الشكل الذى يتم به النظر إلى نظام إسلامى آخر مثل طالبان فى أفغانستان، فالأول نظام ديمقراطى والآخر

نظام مختلف تماماً.. وبنفس الأسلوب لا يمكن تعميم الحكم على حركة إسلامية معينة على كل الحركات الإسلامية أخواننا السوريون يمكن أن تكون لهم نظره معينة بالنسبة للحركات الإسلامية مثل الجهاد الإسلامى الفلسطينى، وحماس، وحركة الأخوان المسلمين، لكن عندما تأتى حركة إسلامية تقول: أنا مشروعى وهدفى وأولويتى مقاومة الاحتلال الاسرائيلى فى فلسطين، لا توجد مشكلة لدى سوريا فى أن تقيم علاقة صداقة معها، ولذلك فنحن متفقون على قضايا سياسية جوهرية استراتيجية بخصوص مصير لبنان وسوريا، المنطقة.. وبالرغم من أن لكل من حزب البعث العربى الاشتراكى و «حزب الله» أيديولوجيته الخاصة فإننى أشعر بالالتقاء مع سوريا فى الكثير من الأمور، ليس فقط سياسياً وإنما أيضاً نفسياً وعاطفياً لوجود مصلحة ومصير وتحد واحد.

● لدى «حزب الله» مشروع وأفكار معينة، فإلى أى مدى هناك مصلحة لـ «حزب الله» فى استمرار أو إنهاء الطائفية السياسية فى لبنان؟

● ● الشيخ حسن نصر الله: الوضع اللبنانى معقد إلى حد ما.. نحن نظريا نعمل على إلغاء الطائفية السياسية فى لبنان، لكن المشكلة أن الطائفية السياسية أمر يفيد المسيحيين فى لبنان نظراً لوجود أغلبية مسلمة، وعندما نطالب بإلغاء الطائفية السياسية سيتبادر إلى ذهن الأخوة المسيحيين أننا سنذهب إلى صيغ ديمقراطية مفتوحة، الأمر الذى سيؤدى إلى سيطرة الأغلبية المسلمة على مجلس النواب وإدارة الدولة. وهذه الهواجس نحترمها، ونرى ضرورة معالجة الأمور فى لبنان بمستوى عال من التفهم والتفاهم، ونحن نريد أن نتخلص من نظام الطائفية السياسية، وهو نظام قبلى عشائرى متخلف بطبيعته، ونضع نظاماً متطوراً يدير البلد ويحافظ على تماسكه.. وفى هذا الإطار، وتهدئة لمخاوف إخواننا المسيحيين، نحن نطالب بتشكيل الهيئة الوطنية العليا التى نص عليها الدستور لإلغاء الطائفية فلم يناقش أحد هذا الموضوع بجدية حتى الآن، وكل ما يجرى بهذا الخصوص يدخل فى إطار الأحاديث الإعلامية والمزايدات الانتخابية.. ونحن لا نطالب بإلغاء الطائفية السياسية مباشرة وإنما يمكن أن يحدث ذلك بعد فترة من الزمن قد تكون ثلاثين عاماً.

● ماذا عن التنسيق مع سوريا؟

● ● الشيخ حسن نصر الله: التنسيق مع سوريا تنسيق عام، أما عمل المقاومة وتفاصيله فلا يوجد تنسيق بشأنه مع سوريا أو الحكومة.

لقاء مطول مع أمين حزب الله

مع «المشاهد السياسى»

السيد حسن نصر الله: نحن مجموعة إيمانية ولسنا عملاء لسوريا أو إيران

قيل لى أن سيارة سوداء ستنتظرنى لتقلنى حال وصولى إلى مقر الأمانة العامة لحزب الله فى الضاحية الجنوبية من بيروت. إلى المكان الذى سيتواجد فيه أمين عام الحزب السيد حسن نصر الله.. رجل الدين الذى نبع فى إحدى الحارات الفقيرة فى منطقة النبعة، وتتلمذ على العمل السياسى والاجتهادى حتى أهل نفسه بقدرته وحسن إدارته ومنطقة وتجرده من المصالح والمغريات للعب مع الكبار، وقيل لى إن السيارة التى ستقلنى ستكون مقفلة من كل الجوانب وأن الجهة التى ستقصدها ستكون غير معلومة لغير من يقودها، وأن اللقاء مع زعيم حزب الله سيتم تحت الأرض وفى ظروف غامضة تحاشياً لاحتمال أن يتم رصد حركة السيارة.. لكنى لم أفاجأ وأنا أجتاز المسافة بين الفندق وحارة حريك التى يتواجد فيها مقر الأمانة العامة لحزب الله فى الضاحية الجنوبية من بيروت، بأن كل المنطقة التى اجتازتها السيارة منطقة شعبية، فقد تابعت وقرأت الكثير عن الناس الذين دوخوا إسرائيل وقبلها أمريكا، وأعرف يقيناً أنهم من بسطاء القوم وليس بينهم من تاجر بالقضية أو حولها إلى أرصده واستثمارات. ولم أعجب وأنا أتابع حركة السيارة ووسائط النقل الأخرى التى تزاحمنا الطريق ونحن نمر بجوار المنعطف المؤدى من الجهة الأخرى إلى معسكر صبرا وشاتيلا، الذى شهد مجزرة مروعة إبان الحرب فى لبنان. بأن الشارع الذى بات اسمه مقترناً بالسفارة الكويتية فى المنطقة، وقد يتحول إلى ثكنة عسكرية أو منطقة

حصينة إذا ما تطور الأمر لا سمح الله بأى اتجاه يهدد أمن لبنان. صحيح أن بعض مناطق بيروت وشطريها توحى بالتقسيم الذى فرضته مرارة وسوداوية الحرب، كما أن آثار الخراب لاتزال باقية على العديد من المبانى. شاهدة على العصر على الرغم من حجم الإصلاح والترميم وإعادة البناء الذى تحقق خلال وقت قصير حتى الآن، مع أن دماء الكثير من الضحايا الأبرياء من أهل لبنان لاتزال ندية لم تجف، تذكر التاريخ والأحياء بهول المأساة، إلا أن الطريق إلى أمانة حزب الله سهل رغم كثافة السكان، وقد ظل سالكاً وتزيد من حلاوته عبثية أغلب سائقى السيارات وخلافهم الحضارى المستجد مع أولويات المرور ومتطلبات النظام. كما أن الشوارع القليلة التى سلكناها منذ أن تركنا الطريق العام بدت بسيطة مفعمة بالحياة، على الرغم من زحمة السيارات. والحقيقة لابد من أن أعترف أنه - وعلى عكس ما توقعت وقرأت من قبل. لم تعترضنا حواجز مسلحة راجلة ولا دائمة. وعلى عكس الكثير من الدول العربية التى تبعد المارة وتخلى المناطق من سكانها لتسهيل الاجراءات الأمنية، فإن السيارة قادتنى مباشرة إلى حزب الله. أما لماذا السعى للقاء السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله - أو زعيم الحزب - فى مثل هذه الظروف، فلأنه صاحب ملفات الحرب والسلام فى تلك المنطقة المهمة من العالم، التى قد يترتب على استقرارها مستقبل التسوية ومستقبل القراءات الصحيحة والخاطئة للأدوار المتبقية التى ستلى أى اتفاق للسلام. لم يطلب الأسئلة مقدماً كما يفعل الكثيرون ويعتذرون عن اللقاء بعدها، ولم يعترض على أى سؤال.

وحتى عندما قلنا له إن هناك من يرى أنكم صنيعة لإسرائيل والولايات المتحدة ضحك وقال: «أن الغريب أن أحداً لم يقل كلاماً مثل هذا حتى الآن». زعيم حزب الله هو ابن كمب الفقراء فى حى الأرمن بالنبعة.. وصل وترقى باجتهاده الذى بدا واضحاً من خلال حسن اختياره للكلمات والمصطلحات، وفى تحديده لمواقف حزبه إزاء القضايا المحرجة التى طرحناها عليه، والتى تدفعنى الآن لأن أقول صراحة إن سماحته وسعة صدره وحسن تقبله وما سمعته عنه وألفته فيه عن بعد هو الذى شجعنى للاستمرار فى طرح الكثير من الأسئلة، التى كان يمكن أن تطيح بى ولا أعود بعدها إلى الفندق لو أننى فعلت نفس الأمر مع أنصاف المسئولين فى بعض الدول العربية.

● من أنتم يا جماعة حزب الله؟

● ● نحن مجموعة من اللبنانيين تشكلت فى سنة ١٩٨٢ ميلادية على إثر الاجتياح الإسرائيلى للبنان واحتلال العدو الإسرائيلى لجزء كبير من الأراضى اللبنانية ودخوله إلى العاصمة بيروت.. وهذه المجموعة التقت على عدد من المبادئ الأساسية:

أولاً: انتماؤها إلى الإسلام، وثانياً: اتباعها لخط واضح وهو خط المقاومة وخط الجهاد لتحرير الأرض. وبدأت هذه المجموعة تنمو وتكبر بفعل إيمانها وبفعل جهادها.. وبتعبير موجز هى مجموعة من اللبنانيين المؤمنين المجاهدين.. المؤمنين بالإسلام والمجاهدين فى إطار المقاومة لتحرير أرضهم والدفاع عن أمتهم فى مواجهة المشروع الصهيونى.

● لكن هل أنتم حزب أم جماعة إسلامية أم منظمة إرهابية كما يحلو لغير محبيكم أن يسميكم؟

● ● حتى لا ندخل فى التمييز النظرى بين إصطلاح جماعة وحركة وحزب ومنظمة، أستطيع أن أقول أن هذه المجموعة مركبة من جزئين: الجزء الأول هو التنظيم.. نحن لدينا تنظيم هرمى، ولدينا قيادة ولدينا أجهزة وتشكيلات، وأنظمة داخلية تحكم العلاقات بين الأعضاء والتنسيق بين أجهزة العمل. والجزء الثانى هو الحالة أو التيار والذى نعبر عنه بمجموع الأنصار والمؤيدين والمحبين والمتعاطفين الذين يشاركوننا فى الكثير من الأعمال والأنشطة والأفكار التى ننتمى إليها، وبالتالى هذا هو التوصيف الحقيقى الواقعى لوجودنا الخارجى.

ونحن حركة إسلامية بالطبع، نؤمن بالإسلام ونعتقد بالإسلام، ومبادئنا ومنطلقاتنا وأهدافنا وقيمنا وأخلاقنا هى إسلامية، وهذا مما لا نقاش فيه.

● يعنى ألم تؤسسكم جهة إيرانية يومها لأغراض ودوافع طائفية بحتة؟

● ● أبداً.. حزب الله مؤسسة جهادية لبنانية ليست لها أهداف غير مقاومة الاحتلال وإعلاء اسم الله.

● ولا الاغتيالات ولا التصفيات؟

● ● أبداً وهذا ليس من أعمالنا ولا نقر ذلك ولا نخالف القانون. نحن مواطنون فى دولة عزيزة علينا وحزب الله يحترم القانون ويقدره، ولم نتورط بأى عمل يخالف القانون ولن نرضى أن يزج بنا فى ذلك.

● لماذا تتهمون بالإرهاب إذن؟

● ● أما حكاية الإرهاب فعلى كل هى تهمة توجهها بعض الجهات الغربية لنا نتيجة الخلط بين مفهوم الإرهاب ومفهوم المقاومة. حزب الله فى لبنان منذ بدايته كان ومازال حركة مقاومة للاحتلال، ونحن لا نستخدم السلاح إلا فى مواجهة عدو لبنان وعدو هذه الأمة وهذه مواجهة مشروعة ومطلوبةٌ لأنها دفاع عن النفس فى الحقيقة. فنحن حركة إسلامية إيمانية جهادية.. حركة مقاومة تدافع عن وطنها وعن أمتها، وليست على خلاف مع أحد ليس له أغراض موجهة ضد الدين أو ضد لبنان أو ضد الأمة أو ضد الحركة.

● لكن ما هى أهدافكم بالضبط؟ هل تقصد المجال الجهادى مثلاً؟

● نعم.

● ● طبعاً نحن منذ البداية تحدثنا عن القتال الدائر فى لبنان ونحن نقاوم لتحرير أرضنا ولإخراج الصهاينة من آخر شبر من الأراضى اللبنانية المحتلة. هذا المقدار هو قطعى ويقينى ولا نقاش فيه. لكن ما بعد الأراضى اللبنانية المحتلة، وهل سنقاتل أم لا، فهذا سنتركه إلى ذلك الحين. أما نظرتنا من الزاوية العقائدية والسياسية فنحن نعتقد أيضاً أن فلسطين هى أرض محتلة وأن الجولان هى أرض محتلة، ونعتبر أن دولة إسرائيل هى دولة غاصبة مغتصبة، غير شرعية وغير قانونية وقامت على أساس احتلال أراضى الغير وتهجير الغير واغتصاب أراضى الغير، وقامت على أساس الإرهاب والقتل والمجازر والقهر والغلبة. وبكل المعايير هذا الوجود غير قانونى وغير شرعى وإن فلسطين هى لشعب فلسطين. هذا على المستوى العقائدى والفكر السياسى.. لكن هل سنقاتل بعد الحدود اللبنانية أم لا؟ هذا سنجيب عليه بعد الانسحاب إن شاء الله.

● أيضاً هل إسرائيل فقط هى عدوتكم؟. أليست لديكم فروع لحزب الله فى الخارج؟

● ● نحن كتشكيل تنظيمي - وخصوصاً في المجال الجهادي - موجودون في لبنان. في الخارج بطبيعة الحال هناك تواجد، ولأننا لبنانيون ولأننا ندافع عن كل لبنان فإنه يوجد تعاطف معنا في الخارج.

● من قبل من؟

● ● لسنا وحدنا فالله معنا، وهناك أيضاً تعاطف كبير كما قلت من قبل الكثير من الجالية اللبنانية في الخارج، لكن ليست لدينا أطر تنظيمية حزبية تعمل في الخارج. لدينا صداقات إن صح التعبير.

● لبنان دولة فقيرة وأنتم لديكم إنفاق كبير ومصاريف تغطون بها أنشطتكم.. فمن أين لكم هذا؟ من يمولكم ومن يدفع لكم لمداواة جراحكم والعناية بأهالي وذوي الشهداء وتغطية احتياجاتهم؟

● ● هناك عدة مصادر للتمويل، مثلاً في الجانب الإنساني والاجتماعي هناك مؤسسات علنية تابعة لمؤسسات في إيران.

● في إيران.

● ● نعم.. مثل مؤسسة الشهيد في لبنان وهي فرع لمؤسسة الشهيد الموجودة في إيران.. هذه المؤسسة ترعى عوائل الشهداء في لبنان وليس عوائل شهداء حزب الله. هناك عدد كبير من الشهداء الذين سقطوا في لبنان بفعل الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان ترعاهم هذه المؤسسة، وهذا التوضيح لابد منه، ومن ضمن الشهداء الذين ترعى عوائلهم هذه المؤسسة شهداء حزب الله، وأيضاً ترعى عوائل المعتقلين والأسرى.

كل المعتقلين والأسرى اللبنانيين - وليس التابعين لحزب الله فقط - في سجون الاحتلال هذه المؤسسة تهتم بهم. إذن عبء الشهداء وعوائل الأسرى ليس على الحزب مباشرة وإنما على هذه المؤسسة التي هي فرع لمؤسسة أم في إيران، وتحصل على تمويل مباشرة من المؤسسة الأم.

وهناك مؤسسة أخرى اسمها مؤسسة الجرحى والمعاقين في الحرب وهي تهتم بجرحى العدوان الإسرائيلي الذين من ضمنهم جرحى المقاومة الإسلامية، وعلى نفس القاعدة أيضاً تحصل على دعم من الأخوة في إيران.

وهناك مؤسسة ثالثة اسمها: لجنة إمداد الإمام الخمينى، وهذه تقوم برعاية أيتام غير الشهداء، أى أن أيتام الشهداء ترعاهم مؤسسة الشهيد وأيتام غير الشهداء ترعاهم مؤسسة «الإمداد».

أما العجزة والعائلات التى لا معيل لها أى فقدت معيلها بالكامل ـ فهى أيضاً ومعها آلاف العوائل تقوم نفس المؤسسة برعايتها صحياً وتربوياً وتقدم لها مساعدات غذائية وعينية ومالية وما شابه ذلك.

هذه المؤسسات التى ترعى العائلات والأيتام والمستضعفين والعجزة، وأيضاً من جهة عوائل الشهداء والأسرى والجرحى فإن تمويلها يتم من قبل مؤسسات اجتماعية إيرانية.. وهناك أيضاً بعض الجوانب الأخرى، مثلاً هناك مؤسسة اسمها جهاد البناء، وهناك مؤسستان من هذا النوع واحدة تابعة لحزب الله والحزب يقوم بتمويلها وواحدة تابعة للمؤسسة الأم فى إيران وإيران تقوم بتمويلها بشكل مباشر.

● ما نوع التمويل؟ هل هو نقدى فقط؟

● ● تقوم بخدمات إعمارية وانشائية وما شاكل ذلك.

● هل ما ذكرته فقط هو كل مصادر تمويلكم؟

● ● لا هذا هو أحد مصادر التمويل. إذن نستطيع أن نقول إنه فيما خص العبئ الاجتماعى الإنمائى والتربوى فإن هناك مؤسسات إيرانية تعمل وتدعم المؤسسات الموجودة فى لبنان على هذا الصعيد، سواء كانت تابعة لها مباشرة أم لا.. وهناك مصدر آخر من مصادر التمويل هو ما نسميه نحن الشيعة بالحقوق الشرعية.. وفى الفقه الشيعى أرباح التجارة ويتعلق بها الخمس، والخمس لا يختص حسب الفقه الشيعى بغنائم الحرب، والكثير من هؤلاء المؤمنين المسلمين الشيعة عندما يدفعون خمس أموالهم فنحن نتلقى هذه الأخماس ولدينا أجازات للاستفادة من الحقوق الشرعية من مراجع الدين الشيعة.. والواقع لدينا أكثر من مرجع دينى.. أى أيا يكن تقليد هذا الأمر الشيعى فنحن لدينا أجازات. وهذه الأخماس تصرف للشئون الجهادية والتربوية والثقافية والاجتماعية وما شاكل ذلك، وأنتم تعرفون أن مصدر هذا التمويل كبير وهام.

والمصدر الثالث هو التبرعات، فنحن يأتينا كم جيد من التبرعات.

● هل هي تبرعات داخلية فقط؟

● ● من داخل وخارج لبنان. مثلاً في لبنان وعلى الرغم من الظروف الاجتماعية الصعبة هناك أموال كبيرة تجمع وتدفع في لبنان، وخصوصاً في السنوات الأخيرة نتيجة ثقة الناس بهذه المقاومة وصدقها ومصداقيتها وأمانتها، ولعل المقاومة الإسلامية اليوم في لبنان. هي أكثر جهة تحصل على تبرعات في داخل لبنان، وحتى في خارج لبنان. أذن ضمن مصادر التمويل هذه نحنْ نؤمن احتياجاتنا، ونحن لا نحتاج إلى مبالغ طائلة لأن جبهتنا جبهة محدودة، وحتى الإمكانات التي نحتاجها في شكل قتال حرب العصابات وليس الحال كما لو كان لدينا جيش كلاسيكي أو نظامي.

الثمن

● لكن يقال إن إيران لا تقدم لكم المساعدة لوجه الله فقط وإنما مقابل ثمن، فهي تريد منكم دوراً معيناً. وهناك من يعتبركم عملاء لها مقابل هذا الدعم أو المساعدة؟

● ● ماذا تريد منا إيران مثلاً؟

● إنا أفهم تماماً وضع حزب الله وشرعية نضاله وقدسية أهدافه لكن هناك من لا يقرأ الأمور بهذا المنظار؟

● ● وأنا أفهم أنك تسأل هذا السؤال كصحفي. في الحقيقة إن الجمهورية الإسلامية ومنذ انتصارها بقيادة الإمام الخميني رضوان الله عليه، أعلنت وقوفها إلى جانب الشعب اللبناني والشعب الفلسطيني ودول المنطقة في مواجهة العدوان الإسرائيلي. وأنا بحسب تجربتي ومعرفتي بالأخوة في إيران فإنهم يقودون مهمة إيمانية ودينية وعقائدية، والموضوع ليس موضوعاً سياسياً وليس موضوع مصالح سياسية، بالعكس أياً تكن الفوائد السياسية من الدعم الذي تقدمه إيران لشعوب المنطقة ولدول المنطقة ـ بما فيها لبنان وسوريا ـ في مواجهة إسرائيل، إذا أخذنا الموضوع بالحسابات السياسية فهي لن ترقى إلى مستوى الفوائد السياسية المعروضة على إيران لو غيرت موقفها وتخلت.. وأن هنا أضرب مثلاً سمعته من المسئولين.

منذ انطلاق عملية مدريد ـ وأقصد عملية التسوية ـ من جهة، وتصاعد الفعاليات الجهادية فى المنطقة من جهة حزب الله وحماس والجهاد الإسلامى، ووقوف إيران إلى جانب لبنان وسورية ـ وهى دولة إقليمية مهمة ـ قدمت للجمهورية الإسلامية فى إيران عروضا سياسية مغرية جداً من قبل الولايات المتحدة من خلال وعبر أكثر من وسيط سويسرى وياباني وغيره. أن أمريكا حاضرة لأن تنهى حالة الحصار حول إيران وتوقف عزلة إيران وترد إليها الودائع المحجوزة لدى البنوك الأمريكية، وتعترف بالدور الإقليمى المهم لإيران فى منطقة الخليج وآسيا الوسطى، وحتى تساعد فى إيجاد حل لمشكلة الجزر الثلاث المتنازع عليها بين الجمهورية الإسلامية والإمارات العربية المتحدة وتفتح أمامها أبواب العالم مقابل أمرين:

الأول: أن تسكت إيران عن عملية التسوية.. يعنى ليس مطلوباً من طهران أن تؤيد عملية التسوية وإنما فقط أن تصمت وألا تقول إيران أن هذه عملية ظالمة، وأن هذه عملية مفروضة على حكومات وشعوب المنطقة.

وثانياً: أن توقف إيران دعمها للحركات الجهادية وشعوب هذه المنطقة.. طيب إذا أردنا أن نوازن الأمور من الزاوية السياسية فأنا أعتقد ـ وهذا الأمر واضح جداً ـ أن إيران تتحمل الكثير من التبعات السياسية والضغوط والخسائر السياسية نتيجة وقفتها إلى جانب سورية ولبنان والشعب الفلسطيني، وهذا يؤكد أن الموضوع حساباته ليست حسابات سياسية وإنما حسابات عقائدية، لأن لدى إيران التزاماً عقائدياً ودينياً من هذا النوع وهى وفية لالتزامها هذا، فهى تقف إلى جانبنا، وبالحد الأدنى. وأنا أستطيع أن أشهد أن إيران لم تطلب منا شيئاً لا على المستوى السياسى ولا على المستوى غير السياسى.

- هل تعنى أن لا ثمن على الإطلاق للدعم الذى يلقاه حزب الله من إيران؟

- أبداً. بل إيران وحتى عندما نلتقى مع المسئولين هم يقولون: نحن نقوم بواجبنا. وحتى عندما نشكرهم يقولون لا شكر على واجب.. هذه هى الحقيقة لكن طبعاً أنا أقول لك وفى عالم ملئ بالمصالح والثقافة المادية، لن يكون مفهوماً أن تقف دولة وشعب وبلد كبير كإيران إلى جانب شعوب هذه المنطقة فقط من منطلق عقائدى أو دينى.

ســوريــا

● أيضاً، ما هى علاقتكم مع سوريا؟ ما هى طبيعة هذه العلاقة؟

● ● نحن منذ اليوم الأول وكما قلت لك فإن حزب الله تأسس على أثر الاجتياح الإسرائيلى للبنان سنة ١٩٨٢، فى تلك السنة كان لدينا فى لبنان أكثر من مئة ألف جندى إسرائيلى يحتلون أرضنا.. هذا البلد الصغير. وكانت هناك جهات لبنانية أيضاً متعاونة مع الاحتلال وكانت هناك قوات متعددة الجنسيات: أمريكية، بريطانية، فرنسية، إيطالية من أربع دول. وكل هذه القوات المسلحة هدفها تثبيت السيطرة الأجنبية على لبنان. البلدان الوحيدة التى وقفت إلى جانبنا بكل وضوح وشفافية كانت سوريا وإيران.

● طيب القراء شغوفون لمعرفة نوع العلاقة التى تربطكم مع سوريا، بصراحة ما هى طبيعة مثل هذه العلاقة؟

● ● نعم لنتحدث عن سوريا، فهى بلد مجاور للبنان وبين لبنان وسوريا هناك وحدة حال ووحلة مصير، وما يجرى فى سوريا ينعكس على لبنان وما يجرى فى لبنان ينعكس على سوريا.

يعنى حقيقة نحن أشبه ببلد واحد. وسوريا هنا وقفت فى مواجهة هذا المد وهذه الغزوة الأطلسية الصهيونية على لبنان فى ذلك الحين، وساندت كل القوى الوطنية اللبنانية التى كانت ترفض الاحتلال والغزو والهيمنة على لبنان.. وبكل بساطة أستطيع القول منذ سنة ١٩٨٢ أنه لولا وقوف سوريا إلى جانب لبنان والحماية السياسية والمساندة المباشرة والحضور المباشر لتمكنت إسرائيل من أكل لبنان وبلعه وضمه واستيعابه بالكامل، ولدخل لبنان فى النفق الإسرائيلى المظلم ولم يخرج منه. يعنى دور سوريا بالنسبة إلينا هو بهذا المستوى وبهذا الحجم.. وبناء عليه ونحن قوة مقاومة وحركة تحرير من الطبيعى جداً أن نجد أنفسنا أصدقاء لسوريا وحلفاء لسوريا. فى الخندق الواحد وفى المعركة الواحدة للدفاع عن مصيرنا ومصير هذه المنطقة.

● لكن ألا تخافون فى حال اختلافكم مع دمشق فى الرأى أو إذا تعارضتم معها فى الموقف من عواقب ذلك، خصوصاً وأن هناك اتهامات كثيرة للسوريين بأنهم يخيفون بقية السياسيين الموجودين فى المنطقة ولا يرحمون من يختلف معهم، خصوصاً من اللبنانيين؟

● ● هذا ليس صحيحاً في المسائل السياسية الداخلية وفي بعض الأمور كنا نختلف مع سورية ووجهة نظر حزب الله كانت مختلفة عن وجهة نظر سوريا.

● حول ماذا مثلاً؟

● ● حول العديد من المسائل وليس مسألة واحدة.. لكن لم نتعرض لأي ضغوط من هذا النوع وكنا نعبر عن رأينا بكل حرية ونعارض ونعترض، ونتخذ أحياناً مواقف حادة وقاسية من بعض الأحداث الموجودة في لبنان، وكان معروفاً أن رأي سوريا في هذه المسائل هو رأي آخر.

الزعامة

● في ضوء كل ذلك ممن تخشون أكثر: الأعداء أو الأصدقاء؟ وهل يدفعكم ذلك إلى إعادة النظر في حساباتكم وفقاً لمواقف الآخرين منكم، سواء كانوا أصدقاء أو حلفاء أو غير ذلك؟

● ● هذا أمر طبيعي. الإنسان المؤمن بالله سبحانه تعالى يثق به وبوعده وبنصره وبحمايته للمؤمنين.. لكن هذا لا يعني أن هذا المؤمن يتصرف بشكل عشوائي لأنه تعالى أمرنا بالحكمة وأن ندرس الأمور بدقة وبوعي وبأن نخطط وأن نقيم الأمور وأن نتصرف بالشكل المناسب ضمن موازين صحيحة، وهذا يعني أننا وبشكل دائم نحتاج إلى إعادة النظر بممارساتنا وأدائنا وأساليبنا وإمكاناتنا وأصدقائنا وأعدائنا وما يحيط بنا.

● لكن ألا تخشون من جهة محددة؟

● ● الخوف بمعنى الخوف لا، لكن هناك خوف وهناك حذر.. والمؤمن يجب أن يكون حذراً والمؤمن لا يلدغ من حجر مرتين، لكن الخوف بمعنى أن هناك شيئاً نخاف منه أو نخاف عليه فلا، ومن يؤمن بالله سبحانه وتعالى لا يخاف إلا من الله عز وجل.

● أنت رجل دين وزعيم كبير وشخصية مرموقة في المجتمع العربي والإسلامي ومعروف عالمياً.. لكن هل توقعت في صباك أن تصل إلى ما أنت فيه الآن؟

● ● لم أكن أفكر في هذا الأمر ولم أكن أخطط له أيضاً، وهذا أمور كانت بمشيئة الله وبتقدير منه. وفي كل المراحل السابقة كنت متديناً منذ صغري، وهذا كان من نعم الله علي ومنذ الصغر كان همي أن أقوم بما فيه رضى الله عز وجل والذي نعبر عنه نحن

بحسب مصطلحنا بالتكليف الإلهى الشرعى.. ماذا يريد الله منى أن أفعل فأنا كان همى وحرصى أن أودى هذا التكليف الإلهى بمعزل عن النتيجة.. هل ستكون النتيجة الاستشهاد أم التشريد أم السجن أم العيش فى ظروف قاسية وصعبة.. النتائج لم تكن مهمة بالنسبة لنا، وأقصد بالطبع النتائج على المستوى الشخصى، فالمهم كان أن أقوم بتكليفى، إلى أن قدر الله سبحانه وتعالى أن تصل الأمور إلى ما وصلت إليه الآن.

محاولة اغتيال

● هل تعرضت لمحاولة اغتيال.. هل تعرضت للموت.. هل خفت من حدث من هذا النوع وأنت مستهدف بحكم مسؤوليتك عن حزب الله؟

● فى السابق وقبل الأمانة العامة كنت أتولى مسؤولية تنفيذية، وكنت أتواجد فى مناطق فيها قتال ومواجهات وتتعرض لقصف واعتداءات جوية، ولا أدعى أنى كنت مستهدفاً بشكل شخصى وإنما كنت أحد المجموعة المستهدفة بشكل عام. وبعد الأمانة العامة لم أتعرض بشكل مباشر لكن كانت هناك مقدمات لمحاولات اغتيال قام الأخوة بكشفها والإعلان عنها، وفى بعض المحاولات فشلت منذ البدايه.

● مثل؟

● قبل عدة سنوات أعلن فى الكيان الإسرائيلى عن مقتل ضباط وجنود إسرائيليين أثناء التدريب، ثم قيل بعد ذلك أو ذكرت الأنباء أن هؤلاء كانوا يتدربون فى إطار التحضير لعملية اغتيال أمين عام حزب الله. لكن بالمباشر وحتى الآن لم أتعرض لإطلاق نار ولله الحمد.. لم يحصل مثل هذا الأمر بفعل الاحتياطات والحذر والاجراءات المتخذة.. ولكن من المعروف والمسلم به أنه ليس فقط أمين عام حزب الله وإنما أغلب المسئولين والكوادر والمجاهدين فى حزب الله هم فى دائرة الاستهداف اليومى من قبل العدو الإسيرائيلى.

اختطـاف

● هل اكتشفتم أو أجهضتم محاولة لاختطافك؟

● ● بحسب الاجراءات الأمنية المتبعة لدينا، لا أظن أن أحد يفكر بالإقدام على عملية اختطاف من الناحية الميدانية والعملية هو أمر غير متيسر، وأظن أن الأعداء يركزون بشكل أساسى على فكرة التصفية.

● هل تخططون لإقامة دولة الخلافة الإسلامية فى العالم؟

● ● فى الحقيقة نحن لا نفكر الآن بهذه الطريقة ولا توجد خطط للوصول إلى مثل هذا الهدف.. والأولوية الرئيسية لحزب الله ـ وهذا الاتجاه هو اتجاه صحيح ـ تتمثل فى دفع مخاطر المشروع الصهيونى الذى يهدد الأمة. فلنجد الأمة أولاً ولنجد أرض وخيرات ومقدرات هذه الأمة، ومن ثم نفتش لها عن نظام حكم. نحن فى منطقة وفى مرحلة نرى فيها أن وجود هذه الأمة مهدد.

● كيف وفى أى مجال وممن؟

● ● الآن ومنذ خمسين سنة كان هناك مشروع إسرائيل الكبرى وهناك أرض عربية محتلة وفلسطين بكاملها تحت الاحتلال، وجنوب لبنان مازال جزء منه تحت الاحتلال، والجولان السورى محتل.. وحتى لو فرضنا أن الجنوب تحرر وأن الجولان أيضاً استعاد الحرية فإن فلسطين ستبقى تحت الاحتلال.

● عفواً.. هل هذا استنتاج أم معلومات أكيدة لدى حزب الله؟

● ● لا هذا واضح من مجرى عملية التسوية القائمة.. وقد يتوقف مشروع إسرائيل الكبرى بمعنى التمدد الجغرافى والسيطرة العسكرية على الأراضى، وهذه واحدة من انجازات المقاومة فى لبنان، لأن إسرائيل التى تعجز عن أن تبقى فى لبنان هى عن البقاء فى غيره أعجز. لكن سنكون أمام مشروع أخطر وهو إسرائيل العظمى التى يمكن أن ترسم حدوداً لنفسها كدولة.. ولكن كمشروع هيمنة على المنطقة ستمتد أياديها وسيطرتها إلى اقتصاديات الدول العربية والأجهزة الأمنية فى الدول العربية والأنظمة السياسية فى الدولة العربية والثقافة والرأى العام، ونحن فى حزب الله هاجسنا هو مواجهة المشروع الصهيونى.. فلتتحرر هذه الأمة ويمكن بعدها أن نتحدث عن شكل النظام أو الأنظمة التى يمكن أن تقوم فى هذه المنطقة.

التعـددية

● وأنت أمين عام لحزب الله ـ وهو حزب إسلامي ـ هل تؤمن بالتعددية الحزبية؟

● ● بالتأكيد.

● وهل أنت قادر بحكم منصبك ومسئولياتك أن تتعايش معها؟ هل تقبل الرأى الآخر؟

● ● طبيعى.. لأن التعددية الحزبية هى أمر منطقى وطبيعى، وهذا أولاً لأننا عندما نتحدث عن حزب الله لا نتحدث فقط عن مبادئ عامة أو عن فكر عام وإنما نتحدث أيضاً عن مجموعة تريد أن تهتم بتفاصيل كثيرة: سياسة، جهادية، ثقافية، إعلامية.. هذه المجموعة سيكون لها وجهة نظرها واجتهاداتها الخاصة وطبائعها الخاصة وطريقة تفكيرها الخاصة ولا يمكن أن تفرض على شعب إطاراً حزبياً واحداً لأن الناس ـ وإذا أخذنا النخب ـ متفاوتة فى قدراتها، وأقصد بالطبع ناس النخبة وتفاوتهم وقدراتهم وإمكاناتهم وطريقة تفكيرهم وطبائعهم. ومن الطبيعى أن تتشكل مجموعات متعددة ولا يمكن حذف الآخرين ولا يمكن إلغاء الآخرين، وبالتالى حتى فى بلد واحد يمكن أن تجد أكثر من حركة إسلامية مثلاً أو أكثر من حركة وطنية وحتى عندما تنتمى هذه الحركات إلى فكر واحد وإلى مفكر واحد وإلى دين فإن ذلك لا يعنى بالضرورة أنه يجد أن تكون تنظيماً واحداً أو حزباً واحداً لأنهم قد يتفقون على المبادئ والأساسيات لكنهم يختلفون حول أساليب العمل حول تكتيكات العمل.. حول كيفية التعاطى مع التفاصيل.. حول كيفية التعاطى مع الآخرين.. حول الموقف من الأشخاص ومن الحكومات ومن الدول ومن الأنظمة، وبالتالى أنا أتصور أن التعدد الحزبى هو أمر طبيعى ومنطقى ويجب القبول به ولا يمكن القفز فوقه.

● حزب الله ككيان سياسى دينى، هل يضم غير المسلمين الشيعة؟ وككيان مقاومة هل يضم مقاتلين غير مسلمين؟

● ● فى الحالة التى هى جزء، وأنا قلت إن حزب الله هو جزء من تنظيم وحالة، فالحالة مما لاشك فيه أن هناك مؤيدين كثيرين لحزب الله خارج الدائرة الشيعية، وفى الإطار الجهادى أيضاً يوجد مقاتلين من غير الشيعة.

الدولة الشيعية

● هل تنازل حزب الله عن فكرة إقامة دولة شيعية مستقلة فى جنوب لبنان؟

● ● أصلاً لم نطرح فى يوم من الأيام إقامة دولة شيعية فى الجنوب، وحتى نصحح التعبير عادة يسألوننا عن إقامة دولة إسلامية فى لبنان.. وفى موضوع الدولة الإسلامية فإن كوننا حركة إسلامية نحن نؤمن بأنه من الموقع الفكرى ومن الموقع العقائدى والموقع الفقهى أن النظام الأفضل والأمثل والأنسب هو النظام الإلهى، يعنى النظام الإسلامى.. وهذا إيماننا وعقيدتنا راسخة فيه، لكن فى نفس الوقت الإسلام يقول لنا أن الدولة الإسلامية هى وسيلة وليست هدفاً.. هى وسيلة لتحقيق العدالة وهى وسيلة للحفاظ على كرامة أمة أو شعب وعزته وشرفه وأمواله وأعراضه ودمائه وخيراته ومياهه ونفطه.. وهى وسيلة أيضاً لنظر المعارف والقيم والأخلاق، إلى آخره، إذن الدولة كنظام سياسى وكمؤسسة هى وسيلة فى نظر الإسلام وليست هدفاً. هذه الوسيلة لنتمكن من تحقيق أهدافها لا يمكن فرضها بالقوة على شعب، وإنما من شروط وجودها وتحققها هو إيمان أكثرية هذا الشعب الساحقة بهذا الخيار وبهذه المؤسسة.. هذا من الأصول الأساسية لفهمنا لمشروع الدولة الإسلامية.

● لكن هل يمكن أن تقوم دولة من هذا النوع ولبنان ليس قاصراً على المسلمين؟

● ● فى لبنان وحيث يوجد تنوع طائفى وحزبى وثقافى وفكرى واتجاهات مختلفة، وحيث إن هذه الفكرة لا تحظى بتأييد الأكثرية الساحقة لأنه يوجد فى لبنان مسلمون ومسيحيون وعلمانيون وهكذا، فنحن نقول إن البديل عن الدولة الإسلامية ليس هو الفوضى.. وقد يشتبه الأمر عند بعض قيادات بعض الحركات الإسلامية، والبديل فى نظرنا ليس هو الفوضى والحرب الأهلية والقتال. وإذا لم تكن هناك فرصة أو ظروف مساعدة لإقامة دولة إسلامية بسبب ظروف البلد، وخصوصيات البلد فإن البديل فى نظرنا هو أن يكون هناك نظام مشاركة يسمح بمشاركة كل الفئات اللبنانية وترضى عنه الأغلبية من الشعب اللبنانى. وهذا النظام يعبر عن إرادة الناس ويقيمه الناس أنفسهم من خلال انتخابات أو استفتاءات أو ما شاكل. ونسعى من خلال هذا النظام – الذى هو نظام مشاركة من قبل كل الفئات والطوائف – إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من

العدالة التى تشكل هدف الدولة الإسلامية.. وأكثر قدر ممكن من الإنصاف والإصلاح، وهو هدف الدولة الإسلامية وأكبر قدر ممكن من نشر الأخلاق والفضيلة والأمن والاستقرار وهو هدف الدولة الإسلامية.. ونستطيع من خلاله أيضاً أن ندافع عن بلدنا ووجودنا واستقلالنا، وهو هدف الدولة الإسلامية.. وإذا لم أتمكن من إقامة دولة إسلامية نتيجة ظروف وخصوصيات البلد فلا أسقط الوسيلة المناسبة وإذا لم تتوفر لدى الوسيلة يجب أن افتش عن وسيلة أخرى للاقتراب من الأهداف التى تسعى إليها الدولة الإسلامية.

ومن هنا، وحتى لا نبقى فى النظريات، نحن ننظر إلى أن هناك نظاماً فى لبنان هو حصيلة تجارب وحروب أهلية وحوارات وأوضاع قاسية وصعبة. والوضع الأفضل أو الخيار الممكن في لبنان هو العمل على تطوير هذا النظام، وعلى إصلاح هذا النظام بحيث يعبر عن مشاركة كل اللبنانيين وكل الجهات والفئات والطوائف اللبنانية، ونسعى من خلال النظام القائم الذى نطوره ونصلحه إلى أن نحقق أكبر قدر ممكن من العدالة والإنصاف والإصلاح والحلول.

● الهجمة العالمية الحالية هل تستهدف الإسلام أم المسلمين؟ وأقصد بالطبع التشكيك والتهويل والاتهامات بالإرهاب والنزعة إلى العنف، والتى جعلت الغرب يشن حملة غير معلنة على الإسلاميين ومنهم من يقول على الإسلام أيضاً؟

● ● بالدرجة الأولى هذه حرب على الإسلام.. يعنى بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والإدارة الأمريكية وقوى الاستكبار فى العالم التى تريد السيطرة على بلادنا وأن نتحول نحن إلى أسواق استهلاكية، أما هى فتريد نفطنا ومياهنا وخيراتنا وإمكاناتنا ومواردنا الطبيعية وأن نكون تابعين لها فى الموقف السياسى وفى القرار السياسى. الإدارة الأمريكية وقوى الاستكبار تستهدف الإسلام، وهذا الأمر ليس جديداً لأنه من الواضح بعد كل التجارب التى مرت بها الأمة أن عودة الأمة إلى الإسلام والتزام الأمة بصحوة إسلامية واعية وحقيقية ـ والصحوة الإسلامية فى حقيقة الأمر تعرضت للكثير من المؤامرات والاختراقات أيضاً من داخلها والزام الأمة بخيار الإسلام سوف يجعل هذه الأمة أمة قوية مقتدرة، تتعاطى بندية مع القوى العالمية الأخرى.. تريد أن تفرض احترامها على الآخرين تريد أن تؤكد استقلالها فى اتخاذ قرارها والتعاطى مع

مواردها وخيراتها.. وهذا لا يناسب الإدارة الأمريكية ولا قوى الاستكبار فى العالم.

وقد لا تنزعج هذه القوى الاستعمارية من أن أصلى فى اليوم خمس مرات أو أن أصوم شهر رمضان أو أن أحج بيت الله الحرام، لكنهم بالتأكيد سيكونون منزعجين ويستشعرون بالخطر على مصالحهم عندما أتجاوز الأمور التقليدية فى علاقتى مع الإسلام، وصولاً إلى المرحلة التى يطالبنا فيها الإسلام بأن نكون أمة عزيزة مقتدرة ذات سيادة، لا أن نكون تبعاً للأمم الأخرى. نحن لا نريد أن نعتدى على الأمم الأخرى لكن لا نسمح أن تستبعدنا وتقهرنا الأمم الأخرى.. وهذا بالتأكيد تشعر حوله الإدارة الأمريكية بخطر كبير، ولذلك اليوم تشن هذه الحرب على الإسلام لأن الإسلام هو الفكر والدين والرسالة، والذى يمكن من خلاله صياغة شخصية جديدة لأمة مئات ملايين العرب ومليار و مليون مسلم فى العالم.

أميركا وإسرائيل

● أشرتم إلى أن أمريكا اتصلت بإيران وحاولت إغراءها حتى تتوقف عن دعم حزب الله والتزام الصمت إزاء التسوية فى الشرق الأوسط.. لكن هل جرى اتصال أمريكى أو إسرائيلى معكم.. مع حزب الله بالطبع؟ هل هناك محاولات لثنيكم عن مواصلة العمل الجهادى؟

●● اتصال إسرائيلى لم يحصل، وهم يعرفون أن هذا أمر غير ممكن وغير وارد، والإسرائيليون يتكلمون فى صحفهم ووسائل إعلامهم، وكثير من شخصياتهم الأساسية والقيادية دعت إلى التفاوض مع حزب الله أو إلى مفاوضات ومحادثات مع حزب الله.. ولكن هذا الأمر بالنسبة لنا غير وارد. وليس هناك ما نتفاوض عليه مع الإسرائيليين هناك أرض محتلة يجب أن تعود إلى أهلها، وهناك شعب فلسطينى يجب أن يعود إلى أرضه، ولذا فليست هناك أمور للتفاوض. أما بالنسبة للأمريكيين فإن هناك بعض الأصدقاء، وبين اللبنانيين هناك شخصيات كثيرة تقيم علاقات وصداقات ولبنان بلد علاقات عامه بعض الأصدقاء طرحوا معنا أفكاراً من هذا النوع وعبروا عن رغبة بعض المسئولين الأمريكيين من مستويات مختلفة حول إقامة لقاء أو عقد جلسة مع حزب الله لكن طبعاً كنا نرفض دائماً هذا العرض.

واقــــع

● ما هى رؤية حزب الله للواقع السياسى الذى تعيشه المنطقة فى الفترة الحالية، وخصوصا ما يتعلق بوقف المفاوضات السورية الإسرائيلية والطرح الإسرائيلى بالانسحاب الأحادى الجانب من جنوب لبنان؟

● ● هذه ليست المرة الأولى التى تفشل فيها محاولات إطلاق المسار السورى الإسرائيلى، نحن نعرف أنه فى زمن نتنياهو تجمد هذا المسار لمدة ثلاث سنوات ولم تكن هناك أى مفاوضات أو اتصالات أو شىء من هذا القبيل، فيما كان نتنياهو يتابع المسار الفلسطينى على طريقته. أما القول بأن مجرد توقف المسار السورى الإسرائيلى أو وصول المفاوضات إلى مأزق يفتح المنطقة على حرب إقليمية أو ما شابه ذلك أنا أعتقد أن هذا التصوير مبالغ فيه. يعنى يمكن ألا تكون هناك مفاوضات ولا محادثات وجمود فى المسار السورى الإسرائيلى ولا تكون هناك حرب.. وهذا الأمر قد شاهدناه ثلاث سنوات مؤخراً فى زمن نتنياهو.. وحتى بعد مجئ باراك ولعدة أشهر كانت المفاوضات متوقفة ولم تحصل حرب من هذا النوع لكن مما لاشك فيه أن الأشهر القليلة المقبلة هى أشهر دقيقة وحساسة جداً، والمنطقة مفتوحة على كل الاحتمالات.. لكن أنا أستبعد أن تكون هناك تطورات كبيرة وخطيرة على مستوى المنطقة حتى التهويل الإسرائيلى الذى يتحدث عن مرحلة ما بعد خروج قوات الاحتلال الإسرائيلى من لبنان مهزومة مدحورة فيه الكثير من المبالغة حول المرحلة المقبلة.

الخلاف مع سورية

● هناك تباين فى الموقف ما بين حزب الله وسورية من قضية الانسحاب الأحادى الجانب. ففى الوقت الذى أكدت تصريحات قياديى الحزب بأن هذا الانسحاب حتى وأن كان أحادى الجانب فإنه نصر للمقاومة اللبنانية، حذرت سوريا منه. فإلى أى مدى سيؤثر هذا التباين فى وجهات النظر على العلاقة ما بين الحزب وسوريا؟

● ● أحدث تصريحات سوريا ورد فى البيان الذى صدر عن اجتماع عقد للجبهة الوطنية القومية التقدمية فى سوريا التى تجمع الأحزاب الرئيسية فى البلاد، وكان اللقاء برئاسة نائب الرئيس السورى زهير مشارقة. والبيان تحدث عن أن خروج قوات

الاحتلال الإسرائيلى من جنوب لبنان هو انتصار كبير للبنان وللشعب اللبنانى والمقاومة فى لبنان. أن ما يجرى هو انتصار أكبر للبنان والمقاومة، وهذه لغة مشتركة. المقاومة والدولة اللبنانية والمسئولون الرسميون فى لبنان والقيادة فى سورية والصحافة السورية الكل يتحدث بلغة واحدة حول هذا الموضوع ولا أعتقد أن هناك اختلافاً فى التقييم طبعاً الأخوة فى سوريا وأيضاً المسئولون اللبنانيون تحدثوا عن أنهم يفضلون أن يأتى الانسحاب فى إطار تسوية شاملة تعالج كل مشكلات المنطقة من وجهة نظرهم.. لكن حتى لو تم الانسحاب فى إطار مثل هذه التسوية وإنما انسحاب المهزوم والعاجز فإن الكل يجمع على أنه انتصار كبير.

● هل نستطيع القول إذن أن حزب الله يرحب بانسحاب إسرائيل، حتى وإن تم من جانب واحد فى الموعد الذى حددته إن كانت صادقة فى ذلك؟

● حتى استعمل عبارة دقيقة وحتى لا نعتبر أن إسرائيل تقوم بشىء طيب ونرحب بما هو طيب.. الأدق أن نقول إننا سنكون سعداء جداً لخروج قوات الاحتلال الإسرائيلى من أرضنا هذه القوات التى ما كانت لتخرج إلا بفعل الخسائر الروحية والمادية والمعنوية التى لحقت بها بفعل المقاومة والجهاد الدامى فى جنوب لبنان.. وهنا أريد أن أقول إن حكومة العدو الإسرائيلى لا تمن على لبنان بهذا القرار ولا على العالم وإنما تعبر عن هزيمتها وعن عجزها عن البقاء فى جنوب لبنان فأخذت مضطرة قرار الخروج من لبنان.. ولو كانت قادرة على تحمل الخسائر البشرية والمعنوية فى لبنان لبقيه فى لبنان وحاولت أن تفرض شروطها، بل إن لبنان الضعيف المحتلة أرضه تحول إلى بلد هو الذى يفرض شروطه على الإسرائيليين.

التخلى عن الجانب العسكرى

● أيضاً أشرتم إلى أنه بعد انسحاب إسرائيل من كل الأراضى اللبنانية سيكون لكل حادث حديث عن مستقبل المقاومة الإسلامية.. هل معنى ذلك أن حزب الله قد يتخلى عن الجانب العسكرى فى عمله ويكتفى الحزب بالجانب السياسى؟

● عندما نتحدث عن تلك المرحلة طبعاً نحن لا نكشف شيئاً عن هذا الأمر.. يعنى موضوع هل سنتابع القتال أو أننا لن نتابع القتال هو أمر نجيب عليه بعد الانسحاب..

هل سنحتفظ بتشكيلاتنا العسكرية أم لا؟ أيضاً هذا بحث آخر.. يعنى مثلاً الآن أنا أقول لك فرضية لأفترض ولندع ذلك بين قوسين وبلون أسود واضح أن حزب الله أوقف إطلاق النار وأوقف عملياته عند الحدود.. لنفترض ذلك لكن ذلك لا يعنى بالضرورة أن على حزب الله أن يحل تشكيلاته العسكرية. لماذا؟ لأن لبنان معرض للاعتداء فى أى وقت من قبل الإسرائيليين. قد لا يعطى أى لبنان حجة لإسرائيل وقد لا يعطى أى فلسطينى حجة لإسرائيل، لكن إسرائيل تستطيع أن تخترع الحجج من أجل الاعتداء على لبنان، وما دمنا فى جوار كيان معتد على بلدنا وعدوانى بطبيعته ويمكن أن يعتدى على بلدنا.. فى أى لحظة فنحن يجب أن نتمسك بمقاومتنا ولو فى دائرة الدفاع عن بلدنا.. وبالتأكيد إذا تعرض لبنان لأى عدوان إسرائيلى جديد - جوى أو برى - أو أى شكل من أشكال العدوان، فإنه من واجب اللبنانيين أن يدافعوا عن أنفسهم وأن يحملوا السلاح فى مواجهة هذا العدوان.

إذن هذه الأسئلة فى الحقيقة كلها ملف واحد: استمرار القتال أم توقف القتال.. كيفية معالجة المشاكل العالقة حتى بعد الخروج الإسرائيلى من الأراضى اللبنانية المحتلة.. الحفاظ على هذه الجمهورية.. ونزع هذا السلاح كلها فى الحقيقة ملف واحد متشعب يمكن أن تتضح معالمه بعد انسحاب إسرائيلى كامل من الأراضى اللبنانية.

التوطين

● طرحت كل من سوريا ولبنان مؤخراً قضية اللاجئين الفلسطينيين وإمكانية لجوئهم للعمل العسكرى.. فما هو موقفكم من هذه القضية.. وهل ستقدمون دعماً للفلسطينيين فى المخيمات أو تنسقون العمل المسلح معهم أو مع بقية الفصائل الوطنية؟

● أولاً نحن نعتقد بشىء اسمه حق العودة، وهذا أمر قانونى وشرعى وطبيعى، وهناك قرار دولى أيضاً على هذا الصعيد صادر من الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة ومعاد اتخاذه لعشرات المرات.

● عفواً.. أى قرار تقصد؟

القرار ١٩٤، ولكن بمعزل عن القرار الدولى فإن الفلسطينيين يجب أن يعودوا إلى بلدهم وإلى ديارهم وهذا حقهم الطبيعى. الأمر الثانى الذى نعتقد به أن حل مشكلة

اللاجئين الفلسطينيين يكمن فى إعادتهم إلى ديارهم ونحن لا نتحدث عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين كيفما كان. نحن لا نقول خذوا الفلسطينيين الموجودين فى لبنان إلى استراليا أو هولندا أو كندا أو العراق أو ما شاكل.. نحن نقول إن هؤلاء يجب أن يعودوا إلى بلادهم.. إلى ديارهم.. إلى بيوتهم.. إلى حقولهم.

ثالثاً: نحن أيضاً نعتقد أن من حق الفلسطينيين المشردين أن يستخدموا كل الوسائل المتاحة والممكنة للعودة إلى ديارهم بما فيها المقاومة المسلحة. هذا حقهم الطبيعى لا يستطيع أحد أن ينكر عليهم هذا الحق خصوصاً وأن طريق المفاوضات على المسار الفلسطينى الإسرائيلى لن يؤدى إلى إعادة فلسطينى الشتات إلى بلادهم وهذه مسألة واضحة ومن اللاءات الكبيرة فى سياسة باراك.

هناك ملايين الفلسطينيين خارج فلسطين المحتلة.. ماذا سيكون مصيرهم؟ وقد أصبح واضحاً لدى هؤلاء الفلسطينيين أن المفاوضات لن تعيدهم.. وهى لن تعيدهم فمن الطبيعى أن يلجأوا إلى خيار المقاومة وأن يتعلموا من النموذج اللبنانى. إسرائيل بقيت ٢٢ سنة تتكر للقرار الدولى ٤٢٥ واليوم اضطرت أن تعترف به وأن تلبس عباءته لتنسحب من لبنان ما الذى يمنع الفلسطينيين من أن يقاتلوا ليفرضوا على إسرائيل الاعتراف بحقهم فى العودة وتتيح لهم العودة إلى ديارهم. هذه أمور نحن نؤمن بها. الآن هل سنساعد الفلسطينيين؟ هل سننسق معهم؟ هل سنقدم لهم أشكال الدعم؟ الأفضل أن نترك هذا الأمر إلى ما بعد الانسحاب الكامل.

● هل يعنى ذلك أنكم لن تقلدوا الحكومات العربية التى تكتفى بالكلام دون الفعل مثلما يدعمونكم بالحكى فقط؟

● ● على كل وبالخط العريض وبمعزل عن التفاصيل، نحن نؤمن أيضاً أن من حق الفلسطينيين على جميع العرب والمسلمين ـ حكومات ودول وشعوب ـ أن يقدموا لهم أشكال الدعم والمساندة.

فـــروع

● أشرتم قبل قليل إلى أن كوادر حزب الله موجودة فى لبنان فقط، وأنه لا فروع ولا قواعد لكم فى أية دولة عربية أو أجنبية.. لكن خلال السنوات الأخيرة ظهر ما يشبه الفروع لحزب الله فى بعض الدول العربية والخليجية منها بالذات.. فهل معنى ذلك أن هذه الفروع والجماعات من خارج التنظيم ولا علاقة لكم بها، أم أنها تقليد لحزب الله وليست جماعات أو فروعاً أصلية؟

● ● أولاً بالتأكيد ليس هناك فروع لحزب الله فى العالم العربى. يعنى هناك حزب الله اللبنانى كما يسمونه.

● المدعوم من إيران.. كما تشير وكالات الأنباء ويتعمد كلما ورد ذكر للحزب؟

● ● هذا شرف لإيران.. وأنا أقول لكل من يتحدث عن أن إيران تقدم دعماً لحزب الله أولاً هذا شرف لإيران وإدانة لكل من لا يقدم دعماً للمقاومة فى لبنان. حزب الله الموجود فى لبنان والذى له قيادة معروفة وله نواب فى المجلس ويخوض مقاومة مسلحة فى جنوب لبنان ليس له أى فرع فى أى بلد عربى.

● ألم تخططوا أبداً لنقل معركتكم مع إسرائيل إلى ساحة خارجية؟

● ● أردت فقط أن أكمل الإجابة على السؤال السابق.. أولاً: ليس لحزب الله فرع فى أى بلد عربى هذا أولاً ثانياً: أنا لا أعلم ولا أعرف حقيقة هل يوجد مجموعات فى هذا البلد العربى أو ذاك ـ مجموعات إسلامية ـ اسمها حزب الله حقيقة، أو أن هذا مجرد شيء إعلامى موجود فى وسائل الإعلام فقط.

أما ثالثاً: إذا كانت هناك مجموعات تحمل هذا الاسم بشكل واقعى وفعلى وخارجى فى بعض الدول العربية، فهذه بالتأكيد ليست فروعاً لحزب الله الموجود فى لبنان.

● هل نفهم من هذا أنكم لم تدرجوا ضمن فلسفتكم أو استراتيجيتكم اللجوء إلى الدفاع المشروع فى حال تعرضكم لحصار فى لبنان، أو إذا اضطررتم إلى نقل جزء من عملياتكم وأنشطتكم إلى خارج الساحة اللبنانية؟ ببساطة ماذا ستفعلون إن ضاقت بكم السبل؟

● ● من الطبيعى أن نقاتل من الأرض التى نتواجد عليها نحن موجودون هنا وإمكاناتنا متيسرة فى خارج الأرض اللبنانية نحن لا نخفى دعوتنا لكل العرب وكل المسلمين وكل الشعوب العربية والإسلامية وكل الحركات والأحزاب العربية والإسلامية أن تجعل أولوياتها مواجهة وجهاد هذا العدو. هذه هى دعوتنا، لكن بالطبع لا نستطيع أن نكون موجودين فى كل مكان، وعلى كل حال لا يكلف الله نفسا وسعها. وقد أنعم الله علينا فى ساحة جهادية مفتوحة كساحة لبنان.

حماس والجهاد

● سبق إن صرحتم لوسائل الإعلام عن رؤية مشتركة وتعاون عسكرى وسياسى مع حركتى حماس والجهاد الإسلامى.. هل التنسيق مازال مستمراً؟ وهل تعنون إمكانية القيام بعمليات عسكرية مشتركة مستقبلاً؟ هل هذا الأمر وارد الآن أم أنه من ضمن القضايا المؤجلة؟

● ● التنسيق بمعنى أن حماس تقاتل على أرضها ـ أى فى داخل فلسطين ـ والجهاد الإسلامى أيضاً يقاتلون فى داخل فلسطين، بينما نقاتل نحن فى لبنان. يعنى ليست هناك ساحة عمليات مشتركة.. لكن أى شىء يمكن أن نساعد به إخواننا فى حماس أو الجهاد لن نتوانى عنه.

● أيضاً قبل أيام من لقائى هذا كانت إحدى الصحف الإسرائيلية تتساءل عن أنه فى حال الانسحاب الإسرائيلى هل سيتوقف حزب الله عن قصف المستعمرات الإسرائيلية فى الجليل وفى مناطق أخرى؟

● ● أى أمر يتعلق بمرحلة ما بعد الإنسحاب الإسرائيلى من الأراضى اللبنانية ـ خصوصاً فيما يتعلق بالأداء الجهادى والعسكرى لحزب الله ـ لم نتحدث فيه مع أحد، لا سراً ولا علناً، ونحتفظ به إلى تلك المرحلة ونجد فى هذا التكتم وفى هذا التريث مصلحة كبيرة للبنان وللمقاومة فى لبنان.

● هل توسطت جهة عربية مثل مصر أو سواها بينكم وبين إسرائيل؟

● ● لا لم يحصل شىء من هذا النوع.

● بعض قادة الحزب قالوا إن حزب الله سيعمل تحت عناوين مختلفة لمقاومة التطبيع فى حال توقيع اتفاق سورى إسرائيلى أو لبنانى إسرائيلى أو بعد الانسحاب من جنوب لبنان. ما هى الآلية التى ستعتمدونها لمقاومة التطبيع؟ وهل تعولون كثيراً على مد مثل هذه الآليات إلى خارج لبنان لتشمل الساحة العربية، أم ستواصلون العمل الجهادى ولكن تحت اسم آخر غير حزب الله؟

● هذه الأمور لم تطرح حتى الآن، وفى كل الأحوال عندما نكون أمام واجب يجب القيام به لا أعتقد أننا سنقوم بواجبنا ونختبئ خلف إصبعنا.

التمـويـه

● ما هو موقف حزب الله من التسوية أو مشروع السلام؟ وما هو موقفكم من الأطراف المشاركة بالعملية السلميه سواء التى وقعت اتفاقات سلام مثل مصر والسلطة الفلسطينية والأردن، أو تلك التى لاتزال تفاوض مثل لبنان وسوريا؟

● أولاً هذه التسوية لا يمكن أن تؤدى إلى سلام حقيقى فى المنطقة.. يمكن أن تؤدى إلى هدنة إلى هدوء مؤقت، لأن هذه التسوية لا تقوم على أسس عادلة.. وأية تسوية لا تقوم على أسس عادلة يمكن أن تفرض هدنة أو وقف حرب، لكن ذلك سيكون لمدى معين ولفترة معينة.. وفى نهاية المطاف عندما تكون هناك شعوب حية سوف تحاول أن تواجه الظلم اللاحق بها وتستعيد حقوقها المشروعة. هذه التسوية منذ البداية قلت لم تكن عادلة لأنها لا تعيد الحقوق إلى أصحابها.. وحتى الآن وبعد مضى سنوات طويلة على بدء عملية مدريد فإن السوريين لم يحصلوا على الحد الأدنى من حقوقهم، وأن تعاد إليهم الأرض والمياه إلى حدود الرابع من حزيران هو الحد الأدنى من الحقوق السورية. وهذا ليس حداً أعلى.. لكن الكارثة الكبرى هى على المستوى الفلسطينى يعنى عندما يعترف بسيطرة إسرائيل على أراضى ٤٨ وعندما تصبح الضفة وغزة هى موضع نقاش وتفاوض وعندما يعلن الإسرائيليون أن القدس هى عاصمة أبدية لإسرائيل ويضمون إليها المستعمرات المحيطة بها ويؤسسون القدس الكبرى ولا يكون هناك إعادة للاجئين الفلسطينيين.. فكيف يمكن أن نتصور وجود تسوية حقيقية فى المنطقة.

نحن في رأينا أن هذه التسوية غير ممكنة ولن يكتب لها النجاح أو البقاء، لأنها لم تقم على أسس عادلة ولأنها لم تستطع أن تقدم معالجات حقيقية واقعية.. ولأنها تسوية مفروضة على العرب وعلى الحكومات العربية. وأنا أعتقد أنه حتى الذين وقعوا يحتجون بالظروف الصعبة التى تعيشها الأمة العربية.. إذن هى تسوية مفروضة وتسوية ظالمة ولا يمكنها أن تحقق نتائج دائمة وثابتة فى المنطقة.

● قلتم أيضاً إن قراركم أو خططكم المستقبلية ستتحدد أو يعلن عنها بعد الانسحاب الإسرائيلى الكامل من الأراضى اللبنانية.. طيب، لكن ماذا لو أبقت إسرائيل على قواتها أو بعضها فى بعض المناطق اللبنانية.. أى لم تنحسب بالكامل أو سلمت الجنوب لجماعة لحد؟

● هذا الأمر بالنسبة إلينا محسوم ومعلن وليس فيه نقاش ولا مؤجل، وهو أن بقاء قوات الاحتلال الإسرائيلية فى أى شبر ـ وليس فى أى متر من الأراضى اللبنانية المحتلة يعنى قطعاً استمرار المقاومة المسلحة. كذلك لو خرج الإسرائيليون من كل الأراضى اللبنانية وبقيت مليشيا أنطوان لحد، فالمقاومة ستستمر، بمعنى أننا لن نتعاطى مع مليشيا أنطوان لحد كحالة لبنانية وإنما كحالة إسرائيلية. وكل عمل تقدم عليه مليشيا أنطوان لحد، وكل اعتداء على قرانا والمدنيين عندنا يمكن أن تقوم به مليشيا أنطوان لحد سنحمل الإسرائيليين مباشرة المسئولية.

قرار حزب الله

● هل سيكون قرار الاستمرار فى أعمال المقاومة فى ضوء ما قلته الآن قرار حزب الله لوحده، أم قرار تشتركون فيه أو تتشاورون فيه مع سوريا وإيران، أو تحتاجون إلى موافقة منهما معاً أو من أحدهما؟

● هل تقصد الذى قلته لك الآن؟

● نعم.

● هذا قرار قلناه على الملأ.. هذا قرار متخذ وهو قرار يحظى بتأييد كل اللبنانيين.

● لكن ألا يخل ذلك بأى التزامات قد تتوصل إليها الحكومة اللبنانية مع أطراف دولية

تتوسط الآن أو اتفاق السلام المطروح بين سوريا وإسرائيل، أو برنامج التقارب الحالي بين إيران والولايات المتحدة؟

● ● لا أظن أن أحداً يمكن أن يقدم التزامات لأمريكا وإسرائيل ومازالت هناك أراضي لبنانية محتلة.. هذا أمر غير وارد.

● هل ستدعمون انتشار الجيش اللبناني بمواكبة القوات الدولية في المناطق التي ستنسحب منها إسرائيل؟

● ● مبدئياً قرار انتشار الجيش اللبناني في المنطقة المحررة هو قرار تتخذه الحكومة اللبنانية.. نحن من حيث المبدأ لا نمانع في انتشار الجيش اللبناني في أي منطقة لبنانية.. هذه المناطق.. ستعود إلى سيادة الدولة وتستطيع الحكومة أن تنشر قواتها الرسمية في أي منطقة من هذه المناطق.. لكن هل ترسلهم أم لا ترسلهم.. هذا الأمر يخضع لمجموعة اعتبارات وهو أمر ليس بالبساطة التي يتصورها بعض الناس.

● لكن في حال إذا ما انسحبت إسرائيل واستمرت أعمال المقاومة، هناك مخاوف من عودة إسرائيل لتدمير البنى التحتية في لبنان، أو الدخول في حرب مع القوات السوريا في لبنان، أو إيذاء سوريا بأعمال عدوانية واستفزازية؟

● ● هذه المخاوف موجودة.. لكن هذه المخاوف نحن نستطيع أن نواجهها وإسرائيل تعرف تماماً بأن الزمن الذي كان فيه لبنان ضعيفاً ومكسر عصى أو منطقة لتبليغ الرسائل قد انتهى.. لبنان اليوم كما يدفع الثمن يمكنه أن يجعل عدوه يدفع الثمن أيضاً.

الاقتتال الطائفي

● هناك مخاوف قد تكون مبررة من احتمال عودة الاقتتال الطائفي في لبنان في حال انسحاب إسرائيل من جانب واحد.. هل هذا الأمر وارد؟

● ● لا أستطيع أن أجزم على مستوى النفي.. ولكنني أستبعد أن يحصل شيء من هذا النوع.. ولدينا استقرار قوي وكبير في البلد ولدينا مؤسسات دولة ولدينا جيش.. وأيضاً بفضل وجود القوات السورية في لبنان لا أعتقد أن هناك أرضية لعودة اقتتال طائفي في لبنان.

● العفو عند المقدرة.. مقولة عظيمة تصدر كفعل من المقتدرين من ذوى الشأن وأصحاب القول الفصل.. هل يمكن من وجهة نظر الأمين العام لحزب الله أن تطبق على مجموعة لحد فى حال رغبتهم تسليم أنفسهم للدولة بعد اكتمال الانسحاب الإسرائيلى من الجنوب اللبنانى؟

● ● هؤلاء يجب أن يسلموا أنفسهم إلى القضاء اللبنانى والسلطة اللبنانية ليحاكموا طبقاً للقوانين المرعية الاجراء. أما العفو فإنه عندما أقدر.. لكن هؤلاء لم يعتدوا على شخصى أو شخص فلان، ولكن هؤلاء اعتدوا على وطن وعلى أمة.. وهؤلاء ارتكبوا جرائم حرب خلال السنوات الماضية. وأنا هنا أريد أن أقول لك حتى فى التفاصيل هناك مجازر ارتكبت فى جنوب لبنان قامت بها مليشيا أنطوان لحد، مثل مجزرة صيدا ومجزرة النبطية وسواها.. إذ أن هناك العديد من المجازر التى قتل فيها عدد كبير من المدنيين وقطعت فيها رؤوس، ولم يرتكبها الجنود الإسرائيليون مباشرة وإنما إرتبكها جنود ميلشيا أنطون لحد بأوامر إسرائيلية. هل أملك أنا أو أنت أو الدولة اللبنانية حق أن نعفو عن مرتكبى الجرائم هؤلاء؟ أنا لا أملك ولا أعتقد أن غيرى يملك مثل هذا الحق.

رون اراد

● فى الكلام عن الطيار الإسرائيلى المفقود رون اراد.. هل يمكن لإسرائيل أن تستخدمه ورقة لابتزاز حزب الله فيما يتعلق بمستقبل الشيخ عبد الكريم عبيد والحاج مصطفى الديرانى؟

● ● هم حتى الآن يستخدمون هذه الورقة. وعملياً وبعد أن يئسوا من سياسة الابتزاز وفى سياق قرار الهزيمة هم اتخذوا قرار إطلاق سراح ١٢ أسيراً الذين عادوا قبل أيام من هذا اللقاء. والموضوع لم يكن موضوعاً قضائياً بحتاً، ولكن مازالوا مصرين على الاحتفاظ بالشيخ عبد الكريم وأبو على الديرانى.. وفى الوقت الذى أكدنا لهم نحن علنا ومن خلال كل الوساطات أننا لا نملك أية معلومات عن رون أراد ولو كنا نملك مثل هذه المعلومات لعرضناها للتبادل، ولو كان رون أراد فى أيدينا حياً أو ميتاً لم نتردد فى عرضه للتبادل، منذ سنوات.. ولكن للأسف الشديد أننا لا نملك أية معلومات جديدة عن رون أراد ولا نعرف إن هو حى أو هو ميت، ولا أين هو.. وإذا أردت أن أصف واقع الحال فإن رون أراد مفقود وبالتالى فإنه ليس بيد حزب الله وليس فى يد أية جهة من الجهات المعروفة، وهو مفقود ويجب أن يتعاملوا مع ملفه على هذا الأساس.

● من وجهة نظرك لماذا تصر سوريا على إبقاء قواتها فى لبنان فى الوقت الذى تعتزم فيه إسرائيل الانسحاب منه؟ هل لموقف سوريا هذا دعم لكم أم دعم للقضية اللبنانية ككل؟

● بالدرجة الأولى وجود القوات السورية وبقاؤها فى لبنان هو مطلب لبنانى، ولا أدرى إن كان مطلباً سورياً أم لا، لكنه بالتأكيد مطلب لبنانى. وأساساً وجود القوات السورية فى لبنان غير مرتبط بالاحتلال الإسرائيلى وهو كان قبل الاحتلال الإسرائيلى لجنوب لبنان يعنى أن بعض الناس ينسى تاريخه القريب. الاحتلال الإسرائيلى المعروف والمشهور أنه بدأ ١٩٧٨، وإن كان فى سنة ١٩٦٧ هم قاموا باحتلال بعض الأراضى اللبنانية.

القوات السورية دخلت إلى لبنان قبل ١٩٧٢ فى زمن الحرب الأهلية، ولم تدخل كردة فعل على الاحتلال الإسرائيلى لأراضى لبنانية وإنما دخلت فى سياق معالجة ووقف الحرب فى لبنان، ودخلت بطلب رسمى من الحكومة اللبنانية فى ذلك الحين، وتمكنت القوات السورية وقدمت تضحيات كبيرة حتى أوقفت الحرب فى لبنان. واليوم عندما نريد أن نتحدث عن الأسباب المباشرة فإن من أول الأسباب المباشرة للأمن والاستقرار والسلم الأهلى فى لبنان هو وجود القوات السورية فى لبنان.. وبكل صراحة القوات السورية فرضت السلم فى لبنان على كل الأطراف، وإلا فإن الكثير من الأطراف التى كانت تملك السلاح فى لبنان لم تكن ترغب فى السلم بل كانت ترغب فى فرض شروطها السياسية.. ووجود القوات السورية حاجة إمنية وحاجة سياسية لبنانية، والحكومة اللبنانية مازالت تطالب ببقاء هذه القوات وبالتالى هذا وجود شرعى ووجود قانونى، وطبعاً هو وجود مؤقت وليس وجوداً أبدياً أو أزلياً.. وفى أى وقت ترى فيه الدولة اللبنانية ويرى فيه اللبنانيون أنه لم تعد هناك حاجة لوجود هذه القوات يمكن أن يطلب منهم أن يغادروا.

مجرد ضغوط

● هؤلاء الذين نزل عليهم حب لبنان بشكل مفاجئ.. وأنا أقصد الأجانب.. وأنا أحترم وجهة نظر الذين يرون أن الوقت قد حان لانسحاب سورى.. لكن الأجانب ما هو دافع هجمتهم على سوريا؟

● لزيادة الضغط على سوريا من أجل دفعها إلى تقديم تنازلات لحساب إسرائيل. هؤلاء لا يتحدثون عن الوجود السورى فى لبنان من أجل لبنان، وإنما الهدف هو أن يمارس

نوع من الابتزاز على سوريا فى لبنان من أجل أن تقدم تنازلات لحساب إسرائيل فى المفاوضات السورية الإسرائيلية.

التحالف مع أمل

● ماذا عن فرص عودة التحالف بين حزب الله وحركة أمل فى بعض المناطق الانتخابية؟

● ● بالتأكيد نحن متفقون مبدئياً على التحالف فى كل الدوائر الانتخابية.. وخلال فترة وجيزة إن شاء الله سيكون هناك لقاء مركزى قيادى وحزب الله للتفاهم على التفاصيل.

● هل هذا قرار إيرانى - سورى.. أم قراركم فى حزب الله؟

● ● هذا قرار أمل وحزب الله، ولكنه يحظى بالطبع برضا سوريا ورضا إيران لأنهم يحبون ويودون أن يرونا متعاونين متفاهمين.. لكن بمعزل عن الرغبة والرضى والحب من الأصدقاء فإن قيادة أمل وقيادة حزب الله ترى فى أمر التعاون والتنسيق مصلحة وطنية كبيرة.

● أنتم الآن لاعب رئيسى فى الوضع اللبنانى.. هل يمكن أن تستمر ترتيبات البيت اللبنانى وفقاً للشأن الطائفى؟

● ● هذه من معضلات الوضع فى لبنان.. وكلما تقدم الزمن يمكن أن يزداد هذا الأمر تعقيداً. البعض كان يتصور أنه بمضى الوقت لن يعود فى لبنان أميون ولن تصبح هناك مجموعات نخب ومثقفين ومفكرين ومستنيرين وأن هذا سيخفف من الموضوع الطائفى.. لكن الأمور لم تجر هكذا. هذا أمر قائم وفعلى وموجود ويحتاج إلى معالجة مختلفة.. لكن الآن هذه هى الحقيقة الموجودة وأى معالجة للوضع فى لبنان يجب أن تأخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار.

لا حـــرب

● هل يمكن استبعاد احتمال إمكانية قيام إسرائيل باستدراج سوريا إلى معركة حقيقية فى لبنان بعد انسحابها على الأقل من الجنوب اللبنانى؟

● ● أنا أستبعد أن يكون لدى الصهاينة مثل هذا المنحى - يعنى استدراج سوريا إلى حرب - لأن الصهاينة يعرفون أن أى حرب من هذا النوع صحيح أنهم يملكون فيها

تفوقاً عسكرياً ـ لكن سوريا لا تسلم وستقاتل ولبنان أيضاً سيقاتل. وقد يؤدى إلى تفجير المنطقة بأكملها وإلى تدمير عملية التسوية، وعملية التسوية فى قناعتى هى مصلحة أمريكية إسرائيلية بالدرجة الأولى.. لذلك فإن استدراج سوريا إلى حرب يعنى تدمير عملية التسوية التى هى مصلحة أمريكية إسرائيلية.. ثم إن إسرائيل ليست بحاجة إلى حرب مع سوريا طالما تستطيع أن تفرض شروطها على المنطقة وعلى بعض المسارات دون اللجوء إلى حرب.. فلماذا تلجأ إلى الحرب.

● لكن ماذا تتوقعون فى حال إذا ما حصلت مثل هذه الحرب؟ هل بإمكان سوريا لوحدها أن تواجه إسرائيل؟

● ● كما قلت فإن مشروع التسوية القائم فى المنطقة هو مصلحة إسرائيلية بالدرجة الأولى. ومصلحة أمريكية أيضاً.. والوقت أثبت لنا أنه لم تمر ولن تمر فرصة تاريخية العرب فيها على هذا المستوى من الضعف والوهن والتمزق حتى تتمكن فيها إسرائيل من فرض تسوية على الحكومات والشعوب العربية ضمن رؤيتها وشروطها ومصالحها. دور سوريا الحالى لا يجعلها تخضع للتهديدات لأنه قد يؤدى إلى تفجير منطقة الشرق الأوسط بأكملها، وإلى تدمير عملية التسوية ونسف كل ما جنته إسرائيل وأمريكا. ويجب أن نعرف أن الإسرائيليين إذا كانوا قد حاذروا الدخول فى حرب مع سورية حتى الآن فإن ذلك ليس كرماً منهم ولا لأن أخلاقهم لا تسمح بذلك، وإنما نتيجة حسابات دقيقة لأن الصهاينة يعرفون جيداً أن الاعتداء على سوريا وقصف أهداف حيوية داخل سوريا سيؤدى بلا شك إلى اندلاع حرب إقليمية قد تدمر وتطيح بعملية التسوية. إذا كان الهدف إخضاع سورية لإجبارها على القبول بالشروط الإسرائيلية فنحن نعتقد أن السحر سينقلب على الساحر وقتها، وسيعرف العالم ماذا خسرت إسرائيل وأمريكا من مغامرة طائشة مثل هذه.

● إذا تعرضت سوريا للعدوان.. هل سترتدون لها الفضل وتقفون معها مثلما فعلت على الدوام معكم؟

● ● نعم، أعتقد أن على لبنان وعلى كل العرب وقتها أن يقفوا مع سوريا، وهذا أبسط واجب.

- عفواً. أعود إلى موضوع مستقبل الأنشطة العسكرية أو أعمال المقاومة الخاصة بحزب الله. هل ستقفون مكتوفى الأيدى إذا ما انسحبت إسرائيل من الجنوب وبقيت بالجولان؟

- هذا الموضوع مازال قيد الدرس.. وأنت سألتنى وقلت لك مرتين إننا لن نكشف عن خططنا بانتظار الانسحاب الإسرائيلى الكامل من الأراضى اللبنانية.. هذا إن تحقق فعلاً.. ونحن لا نثق بوعود ولا بتصريحات الإسرائيليين والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين لكنى أقول لك الآن أيضاً أن مستقبل المقاومة والعمليات العسكرية يدرس الآن مع أطراف وقوى سياسية وطنية لبنانية، وسيعلن فى حينه القرار الذى سيتخذ.. لكن القرار العريض الذى أستطيع قوله الآن أن لبنان يجب أن يقف إلى جانب سوريا كما وقفت معه على الدوام حتى استعادة الجولان وأى أرض سوريا أخرى.

- لكن إذا وفت إسرائيل بإعلانها وانسحبت من لبنان من جانب واحد.. هل تتوقعون نهاية النزاع مع الدولة العبرية؟

- نحن لا نرى فى الانسحاب الإسرائيلى من لبنان - حتى وإن تحقق - نهاية لعدوانها على الأمة ولا على لبنان.. ونعتبر أنه إن تحقق فإنه سقط فى هذه المرحلة من جراء بسالة المقاومة وضراوة رجال حزب الله وتضحياتهم الجهادية.. لكن ليس هناك ما يؤكد أن إسرائيل سوف لن تكرر العدوان. لذلك نحن نعتبر أن مشروع إسرائيل الكبرى القائم بقوة السلاح سقط فى لبنان فقط حتى الآن.. لكن لا نقول إنه انتهى لأنه قد يكون تأجل لسنوات أو عقود من الزمن.. لكن مشروع إسرائيل العظمى الذى تريد أن تتوغل به داخل مؤسساتنا ومجتمعنا ودولنا ربما أخطر بكثير من مشروعها الجغرافى الاستعمارى، فهى تخطط للعب بالرأى العام العربى وأن تصبح مؤثراً ومتنفذاً قوياً فى اقتصادياتنا للوصول إلى المرحلة التى تمكنهم من الهيمنة على كل شىء.

لسنا صنيعة

● هناك تهمة لأغلب الجماعات والتيارات الإسلامية بأنها صنيعة أمريكية اخترعتها لأسباب متعددة.. فهل حزب الله مستثنى من هذا الإتهام؟

● ● حتى الآن لم يتهمنا أحد بمثل هذا الأمر ولم يقل أحد إن حزب الله صنيعة أمريكية.. ولا أدرى لماذا؟ ويضحك ثم يضيف) لكن من الواضح أن حزب الله منذ بداية تأسيسه كان علنياً وشفافاً وواضحاً فى موقفه من الإدارة الأمريكية وإسرائيل، وبالتالى من السخف وسيكون مضحكاً أن يأتى أحد ليقول إن حزب الله هو منظمة صنعها الموساد أو صنعتها المخابرات المركزية الأمريكية.

● وهل يصح القول فى ضوء ذلك إن حزب الله فى حالة حرب مع أمريكا، على الأقل فيما يتعلق بانحيازها لإسرائيل وتوجهها المعادى للإسلام وفقاً لما يمكن أن يقرأ من سياساتها؟

● ● نحن نعتبر أن الإدارة الأمريكية هى إدارة معادية للأمة العربية والإسلامية ولشعوب المنطقة، وهذا أمر لاشك فيه. كما أن الإدارة الأمريكية هى شريك كامل لإسرائيل فى عدوانها على لبنان وفلسطين وسوريا وكل شعوب هذه المنطقة.. لكن نحن هنا لا نتحدث عن حرب أمنية وعسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية يعنى لسنا فى حالة حرب بمعنى أن علينا أن نذهب لنفتش عن جنود أمريكيين أو مصالح أمريكية لنستهدفها بالمستوى الأمنى أو العسكرى.. نحن فى حالة حرب مع قوات الاحتلال الإسرائيلى مباشرة. أما نظرتنا إلى الموقف الأمريكى والإدارة الأمريكية فهى أن هذه الإدارة هى عدو لهذه الأمة وتمارس عدواناً على هذه الأمة.

اختراق وتجنيد

● هل حاولت إسرائيل أو المخابرات الأمريكية اختراق صفوف ومناعات حزب الله؟

● ● مما لاشك فيه هم بذلوا جهوداً كبيرة فى محاولة لاختراق تنظيمنا وصفوفنا، ولكنهم فشلوا ولم يوفقوا على الإطلاق.

● هل وضعت أيديكم على محاولات مثل هذه؟

● ● نعم حاولوا أن يجندوا العديد من الأفراد الذين تم اكتشافهم منذ الأيام أو الأسابيع

الأولى. كما حاولوا أن يتصلوا بالعديد من المسئولين فى الحزب لكنهم كانوا على الدوام يواجهون بالصد لأنه فى الحقيقة لدى حزب الله نوع من الحصانة الذاتية نتيجة الالتزام الإيمانى والعقائدى والدينى.. فبماذا يمكن أن يؤثروا عليهم ووسائل التجنيد معروفة: المال، النساء، الوعود بالسلطة، بالجاه، ومجموعة حزب الله مجموعة طلاب آخرة وشهادة وموت فلا يمكن تجنيدهم ببساطة.

● كزعيم لحزب الله، هل أصدرت أحكاماً بإعدام من خانكم أو تجسس عليكم.

● ● لم أفعل ذلك فى يوم من الأيام ولم يحصل منى أمر مثل هذا فى أى وقت.

طموحات سياسية

● ما هى طموحاتكم السياسية فى لبنان. هل تخطط لأن تصبح رئيساً للجمهورية؟ وهل ستزيدون من ثقلكم السياسى داخل البرلمان وتشاركون فى الحكومات المقبلة؟

● ● نحن فى الموضوع الداخلى نعتبر أن هناك مسئولية كبيرة على عاتقنا تجاه وطننا وشعبنا. إن أى عمليات تطوير للنظام أو إصلاح للنظام تصب فى مصلحة بلدنا وشعبنا: مواجهة الفساد الإدارى، وقضية الإصلاح الإدارى، تصحيح السياسات العامة المتبعة فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية.. هذه الأمور كلها مطلوبة. وهناك عنوان كبير نحن نحمل همه وهو ضاغط علينا، ألا هو قضية المناطق المحرومة والمستضعفة والمهملة منذ عقود من الزمن. سنركز جهودنا فى هذا المجال وسنزيد من جهودنا فى هذا المجال.. سنزيد من جهدنا واهتمامنا وسعينا لمعالجة هذه الأمور وهذه الملفات. طبعاً حالياً نحن لسنا موجودين فى الحكومة ولكننا موجودون فى مجلس النواب. ولنا حضور جيد أيضاً فى المجالس البلدية، وحيث يمكننا أن نكون حاضرين وأن نكون مفيدين لهذه الأهداف سنفعل لكن حيث لا يكون وجودنا مفيداً بل قد يكون فيه ضرر على هذه الأهداف لن نسعى لنكون موجودين.

الوضع العربى

● كزعيم لحزب الله ما هو رأيك بالوضع السياسى العربى؟ هل يمكن إصلاح حال الأمة؟ هل الإسلام هو العائق؟

● ● بشكل عام الوضع السياسى العربى وضع سيئ جداً. وهذا لا يحتاج إلى تقييم وهو من الأمور الواضحة والمشهودة. وأدل دليل على ذلك هو أن أمة عربية كبيرة وتملك تاريخاً وحضارة وتراثاً وإمكانات حالية ضخمة وجيوشاً ومع ذلك تقف عاجزة أمام دولة صغيرة اسمها إسرائيل، وتمكن إسرائيل من الاستفراد بالدول العربية والشعوب العربية كلاً على حدة.. وهذا يكفى للتدليل على سوء الوضع السياسى العربى. وبمعزل عن الأوضاع الداخلية لكل بلد عربى والظروف السائدة فى هذه البلدان أنا أتحدث عن الوضع العربى من حيث المجموع فى مواجهة تحديات تعنى الأمة بكاملها.

● من وجهة نظر حزب الله.. كيف يمكننا الخروج من هذا المستنقع؟

● ● خروج الأمة من هذا الوضع السيئ طريقه هو أن تعود الأنظمة إلى شعوبها حقيقة، وأن تنظر الأنظمة العربية لرغبات هذه الشعوب وإلى تطلعاتها وما هى إرادة هذه الشعوب.. لكن الأمر ليس كذلك حالياً.

الجماعات الإسلامية

● ما هو موقفكم من الجماعات الإسلامية التى تحارب فى أفغانستان والشيشان وكوسوفا ومناطق أخرى من العالم يتعرض فيها المسلمون للأذى والإبادة والتشريد والاضطهاد، ما هو تقييمكم لأعمالها؟ هل العمل المسلح ورفع السلاح هو الطريق الصحيح أم كان يتوجب عليهم اللجوء إلى الحلول السياسية؟

● ● الأمور تختلف بين بلد وآخر كأمثلة ومصاديق ونماذج.. ولو أخذنا أفغانستان فمما لاشك فيه أننا كنا نؤيد وندعم جهاد الشعب الأفغانى فى مواجهة الاحتلال السوفيتى عندما كان هناك احتلال لكن منذ انتهاء الاحتلال السوفيتى لأفغانستان ونحن ندين أشكال الاقتتال الداخلى الدائرة فى أفغانستان منذ ذلك الحين، وندين لجوء أى حركة أو فصيل إسلامى أو وطنى إلى استخدام السلاح لفرض رؤيته السياسية أو نظرته لحل مشاكل البلاد على الفصائل الأخرى وعلى القوى الأخرى. إذن الجهاد الأفغانى إن صح التعبير فى مرحلة الاحتلال السوفيتى هو مبارك ومدعوم وشرعى، وبعد التحرير هو مدان لأن ذلك يشكل فتنة داخلية والمعتدى مدان طبعاً من يقف ليدافع عن نفسه.. وواقعاً بينه وبين الله هو يستخدم السلاح فقط للدفاع عن نفسه هو مظلوم ومعتدى عليه

وقتيله شهيد. هكذا ننظر إلى الأحداث فى أفغانستان مثلاً. وللأسف أنها مازالت ساحة للتقاتل. فى البلدان الأخرى نستطيع أن نؤسس مبدأ يقوم على حقيقة أن معالجة مشاكل اجتماعية أو سياسية لا يحتاج إلى استخدام السلاح، أما الدفاع عن النفس وعن الوجود فهو يحتاج إلى استخدام السلاح.. وعلى هذه القاعدة يمكن أن نحاكم التجارب أو النماذج التى تجرى فى هذا البلد.. أو فى ذلك البلد ولو أخذنا مثلاً الجزائر نحن ندين الغاء النظام الجزائرى نتائج انتخابات الدورة الأولى التى حصلت.. ونحن ندين لجوء النظام الجزائرى والجيش الجزائرى إلى استخدام السلاح فى مواجهة الإسلاميين ونعتبر أن دفاع الإسلاميين عن أنفسهم هو أمر جائز ومبرر لكن أنا لا أدرى ولا أعلم ـ وقد تكون هناك اتهامات ظالمة ـ أن تلجأ أى مجموعة تحت عنوان الدفاع عن النفس أو تحت عنوان تغيير النظام إلى قتل فلاحين أو مزارعين أو أبرياء أو نساء أو أطفال فهذا أمر غير مشروع على الإطلاق.. وأنا لا أدرى إن كان الذى يفعل ذلك فى الجزائر هى حقيقة الجماعات الإسلامية أم لا لكن من يفعل ذلك هو مدان سواء كان جماعات إسلامية أو غير إسلامية، إذن نحن عندما نقيم أو نتخذ موقفاً لا يمكننا أن نعمم.. يعنى لا يجب أن نقف ونقول أن كل إسلامى يحمل السلاح على امتداد ساحة العالم هو يفعل عملاً وفعلاً سليماً وصحيحاً ويجب أن ندافع عنه، لأن الموضوع ليس موضوع عصبية وإنما هناك مواقع استخدام السلاح فيها مشروع وسليم، وهناك مواقع استخدام السلاح فيها مدان.. وعلى هذا الأساس نحن نميز الساحات والأحداث ولا نتخذ منها موقفاً واحداً.

ابن لادن والقاعدة

● هل هناك أية علاقة بينكم وبين جماعة القاعدة، وأقصد حزب الله من جهة وأسامة بن لادن وجماعته التى تعرف باسم القاعدة.. هل هناك تعاون أو تنسيق أو علاقة من أى نوع؟

● ● لا يوجد أى علاقة ولا أى اتصال بيننا وبينهم.

● ولا حتى اتصالات من جانبهم؟

● ● لم يحصل، لا من جانبنا ولا من جانبهم.

● بصراحة ما رأيكم بعملهم؟

● ● أنا في الحقيقة ليست لدى معلومات كافية عن أسامة بن لادن ومجموعته، وليست لدى رؤية واضحة عنهم وعن أنشطتهم والتنظيم الذى يتبعه، لذلك لا أستطيع أن أحاكمه بدون معلومات وبدون معطيات.

● هل لدى حزب الله أسرى إسرائيليين؟

● ● حالياً لا.

● ذكرت الصحف أن هناك ثلاثة جنود إسرائيليين قتلوا فى لبنان ودفنوا في دولة مجاورة، هل كلام كهذا من باب التسويف أو التسويق أم أنه يثار لأغراض تتعلق بالتسوية الحالية فى المنطقة؟

● ● هناك ثلاثة جنود مفقودين منذ اجتياح عام ١٩٨٢، وهؤلاء قتلوا فى مواجهة فى منطقة البقاع الغربى وتسمى بالسلطان يعقوب وفقدوا هناك.. ويبدو أن الإسرائيليين على يقين من أنهم قتلوا لكن أنا ليس لدى معلومات خاصة والمعلومات هذه التى نقولها الآن هى متداولة منذ ذلك الحين، وإسرائيل تبحث عن جثثهم وكانت هناك مساع كثيرة.. وحتى جهات أمريكية ودولية وأوربية حاولت أن تجمع معلومات عن هذا الأمر.. وهؤلاء ليسوا موجودين عندنا بالتأكيد ولو كانوا عندنا لقمنا بالتبادل. نحن فى السابق كانت لدينا جثتان لجنديين إسرائيليين وأنجزنا عملية التبادل بهما.. أنا ليس لدى معلومات ولا أعرف هل ما هو متداول هو مجرد طرح إعلامى لتحميل سوريا – وهم يقصدونها بالطبع – مسئولية العثور على هؤلاء الجنود المفقودين. قد يأتى من هذا السياق، لكن أنا أعتبر أن هذه الموضوعات الآن مع اقتراب موعد الانسحاب الإسرائيلى – يعنى موضوع الأسرى والمعتقلين وموضع الجنود الإسرائيليين المفقودين فى لبنان والمعتقلين اللبنانيين – سيكون لها حيز من الاهتمام فى المنطقة ولدى دول المنطقة.

● سؤال صغير عن أسامة بن لادن إن سمحت لى.. هل طلب من حزب الله استضافته أو حمايته أو توفير غطاء آمن بعدما ضاقت به السبل؟

● ● لا لم يطلب ولم نقبل.. وأفغانستان أكبر من لبنان بكثير وأكيد هى أفضل كخيار بينها وبين لبنان لأغراض الحماية واللجوء.. لكن هو لم يطلب ذلك على كل حال.

الأطفال

● فى الجانب الشخصى من حياتك.. هل تحب الأطفال وهل أنت مع مبدأ زيادة الإنجاب؟

● يعنى باختلاف البلدان.. وهناك بلاد من المفيد أن يكون فيها تكاثر وهناك بلاد يكون فيها التكاثر عبئاً على الناس وعلى الدولة. باكستان أو بنجلاديش مثلاً هل هم بحاجة لزيادة فى عدد السكان فى الوقت الذى يعانون فيه من الفقر والفساد الإدارى والتسلط.. لكن فى مكان آخر مثل فلسطين من المهم جداً أن تكون هناك زيادة فى الإنجاب وخصوصاً عرب ٤٨. عليهم ألا يتوقفوا عن الإنجاب وعليهم أن ينجبوا بأكبر قدر ممكن.

● لمن تقرأ وأنت فى منصب مسئول ومهم جداً على مستوى تجربة الأمة؟

● بالتأكيد أنا أركز على جانبين فى القراءة: الأول فكرى إسلامى، والجانب السياسى اليومى. فيما يتعلق بالجانب الفكرى أنا أحاول أن أرى أى دراسات وكتب جديدة وأطروحات جديدة حول المسألة الإسلامية، خصوصاً أنه اليوم وبالتحديد بعد انتصار الثورة الإسلامية وظهور صحوة إسلامية فى العالم والحديث عن حكومة إسلامية إلى جانب الفقة الإسلامى والفكر السياسى الإسلامى هى من القضايا التى يدور حولها جدل طويل وتحتاج إلى اجتهاد وإعمال فكر وبحث وهذا أكثر جانب أهتم به حالياً فيما يتعلق بقضايا الفكر.

فى الجانب السياسى فإننى أتابع وأقرأ كل ما يرتبط بصراعنا.. وإذا سألتنى عما اقرأه هذه الأيام أقول لك دراسات حول مسائل الحدود بين لبنان وفلسطين، وقضايا الانتداب الفرنسى والبريطانى واتفاقية سايكس بيكو.. لكن فى العموم فإن أغلب ما أقرأه فى المسألة السياسية هو ما يرتبط بالصراع العربى الإسرائيلى، مثلاً دراسات حول تكوين الجيش الإسرائيلى، حول تكوين المجتمع الإسرائيلى، الوضع الداخلى، الصراعات الموجودة بين الأحزاب والكتل السياسية، مذكرات القادة والزعماء الإسرائيليين هذا هو فى الجانب السياسى.

● فى ظل هذه القراءات.. هل تتوقع ديمومة إسرائيل فى المنطقة ككيان سياسى وبذات الطريقة التى فرضت على العرب؟

أنا من الناس الذين يعتقدون أن إسرائيل لكونها دولة غاصبة مغتصبة وظالمة وإرهابية عنصرية فإنها لا تملك؛ فرصة البقاء طويلاً فى هذه المنطقة، وإن كل الأحداث والتطورات فى المنطقة تدفع باتجاه هذا المصير لدولة من هذا النوع والمسألة مسألة وقت وأنا على يقين من ذلك.

القدس والدولة

● هل أنت متفائل بإمكانية قيام دولة فلسطينية وبإمكانية استرجاع مدينة القدس؟

● ● عن طريق المفاوضات لا يمكن إعادة شيء من القدس.. وفى أحسن الحالات وما يمكن أن يعطيه الإسرائيليون لعرفات هو أن يرفع العلم الفلسطينى فوق قبة الأقصى.. ويصبح المسجد الأقصى هو القدس الشريف، وهذا محتمل. التركيز العرفاتى على القدس الشريف أنا أخشى أن يأتى يوم ويطلع فيه القدس الشريف هو المسجد الأقصى أما القدس بمعنى مدينة القدس أو بالحد الأدنى القدس الشرقية فهذا ليس وارداً وهذا من المسلمات القومية الوطنية الصهيونية التى لا يملك أى إسرائيلى إمكانية التنازل عنها وإلا قد يقتل.

● وماذا عن الدولة الفلسطينية؟

● ● الدولة الفلسطينية المرتقبة هى دولة مؤلفة من ثلاثة كانتونات: كانتون غزة وكانتونان فى الضفة الغربية، ويتم توصيل أو ربط الكانتونات الثلاثة عبر ممرات آمنة.. وهذه الكانتونات الثلاثة حدودها كلها حدود إسرائيلية، وهذه الدولة ستكون منقوصة السيادة إن قامت كدولة وتابعة امنيا واقتصادياً لإسرائيل.. ولا أظن أن هذه النتيجة ستكون نتيجة مقنعة للشعب الفلسطينى، ولذلك أنا أتوقع أنه إن لم يكن خلال أشهر فخلال سنوات قصيرة سنشهد عودة للانتفاضة فى فلسطين وبأقسى مما كانت عليه فى الفترة السابقة. مستقبل فلسطين هو مستقبل مقاومة وجهاد وانتفاضة، لأن طريق المفاوضات نتائجه ستكون مفهومة، وكما يقال عندنا «حبل الكذب قصير». وبالنهاية فإن المفاوضات يمكن أن تستمر سنة واثنتين وثلاثاً وأربعاً ولكن ماذا بعد ذلك؟ أنا أعتقد أن الشعب الفلسطينى داخل وخارج فلسطين سيجد نفسه أمام الحقيقة المذهلة التى ستدفعه إلى الخيار الآخر.

- **حقوق المرأة وأقصد الحقوق السياسية.. هناك جدل طويل فى العالم العربى حول هذا الموضوع.. ما موقفك وأنت زعيم لحزب الله من هذا الموضوع؟**

- المؤسف أن نكون فى العالم العربى بحاجة إلى من يضغط علينا وعلى حكوماتنا من أجل إعطاء المرأة حقوقاً أعطاها إياها الإسلام.. هذه الحقوق أعطاها الإسلام لها منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة.. وإذا أردت أن أقدم نموذجاً إسلامياً حول مسألة حقوق المرأة ولا ندعى أن هذا النموذج كامل ولكنه متقدم ـ فهو ما جرى فى إيران.. يعنى المرأة ـ كانت جنباً إلى جنب مع الرجل فى صنع الثورة.. والآن فى بعض الدول العربية يناقشون إن كان يحق للمرأة أن تنتخب أو لا تنتخب إن تشارك فى الاستفتاء أو لا تشارك بينما فى إيران المرأة المسلمة صنعت الثورة وشاركت فى صنعها وشاركت فى الاستفتاء أو على هوية النظام.. انتخبت الخبراء الذين وضعوا الدستور. شاركت فى الاستفتاء على الدستور وتنتخب المجالس النيابية.. وهذا هو الإسلام. الإسلام منذ اليوم الأول أعطى المرأة هذا الحق ونحن نعرف فى موضوع البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يطلب البيعة من الرجال فقط وإنما طلب البيعة حتى من النساء وهذا تعبير سياسى لأنه كان يعتبر أن للمرأة حقاً سياسياً كما للرجل حق سياسى، ولا يعيب المرأة بعض التطبيقات الخاطئة كما هو حال المرأة الآن فى أفغانستان، حيث تمنع حركة طالبان المرأة من الذهاب إلى المدارس أو الوظائف، وهذا لا يمت إلى الإسلام بصلة، وهذا من وجهة نظرى بالطبع شىء مذهل لأن حق المرأة فى التعلم وفى الوظيفة وفى التجارة واضح ولا غبار عليه.. ورسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اليوم الأول أعطاها ـ وأيضاً الفقه الإسلامى ـ حق التملك، حيث لها ملكيتها وأموالها الخاصة ويمكنها أن تبيع وتشترى وتتاجر وحقوقها الاقتصادية كاملة وما شاكل ذلك. إذن ليس هناك فى الحقيقة مشكلة فكرية أو فقهية فى موضوع حقوق المرأة فى الإسلام، بل نستطيع أن ندعى أن الإسلام كان سباقاً وتاريخياً فى إعطاء هذه المرأة حقوقها من الناحية القانونية وأيضاً من العملية فى المجتمع الإسلامى الأول الذى أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

● ما المشكلة أذن؟

● المشكلة الآن مشكلة تطبيقية وهى موجودة فى العديد من البلدان العربية وهنا يجب أن نحذر ونحاذر من خلط الأمور، فأحيانا بعض الذين يرفعون لواء تحرير المرأة أو حقوق المرأة يريدون أن يدفعوا الأمور باتجاه آخر.. يعنى أن يصبح من حقوق المرأة أن تمارس الفساد وأن تتحلل من كل القيم الأخلاقية وأن تخرج على عادات وتقاليد مجتمعها، وهى عادات وتقاليد إنسانية النزعة، وهذا أمر مرفوض.. وللأسف الشديد أن بعض دعاة تحرير المرأة إنما يريدون هذا منها أن تتحرر المرأة من القيم والأخلاق، وهذا ما يطلبونه.. أما أن تكون المرأة ذات رأى ومشاركا حقيقيا فى صنع مصير بلدهم، فإنهم لا يريدون ذلك للرجال فضلاً عن النساء.

سماحة السيد حسن نصر الله فى حوار مع وفد اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان:
إسرائيل أوهن من بيت العنكبوت..
وإخراجها من المنطقة مسئولية الأمة بأكملها

السيد حسن نصر الله ـ حسب الروايات المتداولة ـ ولد عام ١٩٦٠، وتعلم فى العراق وإيران أصول الفقه والفكر الشيعى، وتتلمذ على أيدى علماء ومجاهدين كبار، منهم السيد باقر الصدر، والسيد موسى الصدر، والسيد محمد حسين فضل الله.

وعندما بدأ الغزو الصهيونى للبنان فى نهاية السبعينيات ثم أوائل الثمانينات (١٩٨٢) أسس مع رفاق له نواة المقاومة الإسلامية وحزب الله، وكان معه فى هذا الجهاد السيد عباس الموسوى أول أمين عام يستشهد لـ (حزب الله) عام ١٩٩٢. وظل السيد حسن نصر الله فى المقاومة مسئولاً عن عمليات الجنوب وأيضاً فى النشاط السياسى، إلى أن تولى أمانة الحزب منذ عام ١٩٩٢ حتى اليوم، وفى عهده قامت المقاومة الإسلامية بأعظم عملياتها ضد قوات الاحتلال الإسرائيلى فى الجنوب، وزادت العمليات الاستشهادية والجهادية المتميزة لتربو على خمسة آلاف عملية، ومن أشهرها عملية أنصارية (١٩٩٧) التى قتل فيها ١٤ من رجال الكومندوز «الصفوة الإسرائيلية» وعملية قتل الجنرال «غير زشتاين» مسئول الجنوب فى الجيش الإسرائيلى عام ١٩٩٨.. ومصرع العميل عقل هاشم ـ الرجل الثانى فى جيش انطوان لحد العميل ـ فى مطلع عام ٢٠٠٠، فضلاً عن العمليات النوعية المتعددة ضد قوات الاحتلال الإسرائيلى، التى فجرت الداخل الإسرائيلى ليطالب بالانسحاب الفورى من مستنقع الوحل اللبنانى حتى لو كان هذا الانسحاب من طرف واحد.

ولقد قدم السيد حسن نصر الله القدوة والمثل الحى لكل مجاهد ومسئول ومدافع عن قضيته ووطنه بصدق، عندما قدم نجله الأكبر هادى نصر الله شهيداً عام ١٩٩٧.

وفى هذا الحوار نتناول مع الأمين لـ «حزب الله» عدداً من القضايا المهمة والجوهرية فى الصراع العربى ـ الصهيونى، وخصوصا بعد عودة مفاوضات التسوية السورية واللبنانية مع إسرائيل، والإعتداء الوحشى من قبل قوات الاحتلال الصهيونى على لبنان، وفيما يلى نصه:

● بداية كيف تنظرون للعدوان الوحشى الإسرائيلى الأخير على لبنان وضرب البنى التحتية فى البلاد؟

● ● هذا العدوان هو دليل على إجرام العدو الصهيونى، وعدم رغبته فى السلام بالأساس، وأنه كان يريد استدراج المقاومة لضرب مستوطنات إسرائيل فى شمال فلسطين لكى ينتقم أكثر، إلا أن المقاومة تفادت هذا الفخ.. ولكنها ما زالت تعتبر سلاح الكاتيوشا قائماً فى أى وقت وإذا تم ضرب المدنيين اللبنانيين فإننا سنقوم بضرب إسرائيل فى الداخل.

لذلك نحن فى المقاومة نقدر موقفنا على أساس عاملين جوهريين: أولهما، كسر المعادلة الجديدة التى تحاول إسرائيل فرضها، حيث تحاول حماية الجنود عن طريق ضرب البنى التحتية فى لبنان، لأن ذلك من منظورها يشكل ضغطاً على المقاومة لوقف عملياتها، ومن أجل ذلك قررنا الاستمرار فى عملياتنا، فالعمليات من شأنها أن تسقط معادلة حماية الجنود / ضرب المنشآت، حيث قمنا بعدة عمليات منذ اليوم التالى لقصف لبنان ضد جنود الاحتلال وقوات لحد العميلة وتم قتل أعداد كبيرة منهم.

وهناك حقيقة واقعة وهى أن لبنان ـ حكومة وشعباً ـ لا يمكن أن توافق على وجود الاحتلال على أراضيها دون أن يمسوا بسوء، فنحن ليس أمامنا خيار كلبنانيين سوى إخراج هذا المحتل.

وثانيهما: هو ضرورة حماية البنية التحتية والمدنيين فى لبنان، ومن هنا كان تقديرنا فى المرحلة الأولى هو ضرورة ضبط النفس، مع الاحتفاظ بحق الرد فى الوقت المناسب، خصوصا وأن لبنان قد عبر عن موقفه بوضوح ـ حكومة وشعباً ـ خلال العدوان الأخير، حيث وقف على اختلاف طوائفه واتجاهاته الفكرية والدينية والسياسية إلى جانب حق المقاومة للاحتلال وإزالة هذا العدوان الغاشم عن أراضينا.

من هنا أقول لباراك ولغيره من القادة الصهاينة: إنكم لستم أمام خيار الانسحاب أو عدم الانسحاب، بل أمام قدر لا مفر منه وهو الهزيمة وانكسار المشروع الصهيوني بكامله تحت ضربات المقاومة، فلا مناص من الخروج بـ (ذلة) من الجنوب اللبناني.

الانسحاب الإسرائيلي

● ما هو تقييمكم للتطورات الأخيرة للصراع العربي الصهيوني، وبخاصة بعد ما طرأ على المسار التفاوضي السوري الإسرائيلي؟

●● في واقع الأمر كانت هناك ضغوطات وجهود أمريكية وأوربية كبيرة في الآونة الأخيرة لتحريك المفاوضات على المسارين السوري ــ اللبناني، واللبناني ــ الإسرائيلي، خصوصاً وأن باراك كان قد أطلق مجموعة من الوعود الانتخابية، وعليه أن يقدم إجابات على هذه الوعود خلال فترة وجيزة.

فبالنسبة للمسار السوري الإسرائيلي بعد الجولتين اللتين عقدتا في أمريكا، من الواضح أن هناك صعوبات حقيقية في طريق هذه المفاوضات، وتتركز هذه الصعوبات بشكل أساسي حول مسألتي الأمن والمياه.

وما نسمعه ونعرفه جيداً أن سوريا مصرة على موقفها من الانسحاب إلى حدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧ وتعتبر أن الانسحاب يساوي كل ما يتحدث عنه من سلام وتسوية، وبقية الأمور هي مجرد عناصر لهذه العملية، لكن الأساس هو هذا الانسحاب.. وحتى الآن لم تلتزم حكومة العدو بموقف واضح في هذا الأمر، وهو من الأسباب الرئيسية التي عطلت الجولة الثالثة من المفاوضات، لأنه على مدى جولتين كان باراك يناور ويراوغ، ويحاول أن يحصل على أكبر قدر ممكن من المكاسب الأخرى، دون أن يقدم أي تعهد أو التزام من هذا النوع. والمنطقة أمام احتمالين متساويين: احتمال العودة إلى الجولة الثالثة من المفاوضات واحتمال عدم العودة نهائياً لمثل هذه المفاوضات، والأمر يتوقف على الإسرائيليين، بمعنى هل تعطي إسرائيل التزاماً واضحاً ــ سواء كان شفهياً أو خطيا ــ وليس التزاما من الكواليس، بل على الأقل التزاماً يسمعه الحد الأدنى (السوريون) ولا ينكر الأمركيون سماعه؟!.

إذن الأمر يتعلق بهذا الالتزام الإسرائيلي، إذا أعطوا هذا الالتزام قد يفتح الباب

لانطلاق المفاوضات السورية ـ الإسرائيلية من جديد. وإذا لم يعطوا هذا الالتزام فيبدو أن السوريين سوف ينتظرون، فلن يعود السوريون إلى المفاوضات بدون أفق.. وبناء عليه فإن المفاوضات اللبنانية ـ الإسرائيلية هي مفاوضات مؤجله كما يقولون. وإذا لم يحدث تقدم جوهري أو حل أساسي على المسار السوري ـ الإسرائيلي فإن المفاوضات اللبنانية الإسرائيلية لا يمكن أن تبدأ.

وعلى كل الأحوال اللبنانيون ليسوا على عجل في هذا الشأن لأنهم ليسوا في حاجةمن الأساس لمثل هذه المفاوضات، لأن الموضوع الذي يعني لبنان هو موضوع منتهٍ.. فالأسرائيليون قدرهم وليس منطق حياتهم هو الانسحاب من الجنوب اللبناني، سواء باتفاق أو بدون اتفاق.. ونحن دائماً نقول للحكومة اللبنانية ألا تتعجل الأمور وأن تتريث وأن تحرير الأرض اللبنانية أصبح ناجزاً، لأننا إذا كنا قادرين على تحرير أرضنا دون إعطاء أي ثمن.. فلماذا نقدم أثماناً أو مكاسب للإسرائيليين من أجل المفاوضات؟!!

التحديات الراهنة

● وما هي أبرز التحديات الراهنة التي تواجه الأمة العربية؟ وما هو السبل للتغلب عليها؟

● ● التطورات الأخيرة فيما يسمى بعملية التسوية، وأياً تكن نتائج المفاوضات السورية الإسرائيلية، أو لاحقاً المفاوضات اللبنانية الإسرائيلية، فإن المشكلة الأساسية في المنطقة لا تزال قائمة والسبب الجوهري للصراع لم ينته بعد، وحتى لو تحرر الجولان وجنوب لبنان وبقاعه الغربي، فنحن جميعاً أمام تحديين كبيرين:

التحدي الأول: هو المشروع الصهيوني للهيمنة والسيطرة على المنطقة بكاملها من مختلف النواحي: الاقتصادية والسياسية والأمنية والثقافية، بسلاح التسوية والتطبيع وما شاكل ذلك، تحقيقاً لفكرة إسرائيل العظمى، وإسرائيل القائدة الديمقراطية والقاعدة الحضارية له.

التحدي الثاني: هو استمرار فلسطين؛ كل فلسطين وليس قطاع غزة والضفة الغربية فقط، في مواجهة التحدي الأول.. وأعتقد أن علينا كإسلاميين وقوميين ووطنيين أن نحدد معالم هذا المشروع الصهيوني ومخاطره وسبل مواجهته، ونعرف أمتنا على ذلك ونستنهضها في هذا الاتجاه، ونحول شخصياتنا وحركاتنا وأحزابنا في كل بلد عربي

وإسلامى إلى أطر متكاملة ومتعاونة فى مواجهة هذه الأخطار التى ستأتينا من بوابة التطبيع بكل أشكاله.

وأقول إن التغلب على هذه التحديات يكون أولاً بمقاومة التطبيع بكل الوسائل المشروعة والمتاحة اليوم، لأن ذلك هو خط دفاع الأمة الأساسى فى مواجهة الهجوم الصهيونى الجديد بأسلحته الجديدة.

وفى هذا السياق سنجد من يقلل من خطورة المشروع الصهيونى بعد التسوية، ومن مخاطر التطبيع، ويقول إننا أمة كبيرة وعظيمة، وكيف يمكن لدولة صغيرة أن تهيمن على منطقتنا وأمتنا بهذا الشكل. لقد سمعنا هذا الكلام فى بدايات الصراع قبل خمسين عاماً وها هى الدولة الصغيرة تفرض وجودها على الحكومات العربية والإسلامية وتثبت كيانها، وتجاهر بشروطها، وها هى أمتنا العظيمة تنظر للهزيمة والاستسلام.. وسنجد من يقول إن أمتنا هزمت فى المعركة العسكرية والسياسية، إلا أنها تملك من الحصانة والمناعة والمتانة الكثير فى مواجهة التطبيع، فنطمئن لهذه الحصانة والمناعة ونعتبر أن تكليفنا قد انتهى.

ولكن قد يكون الجيل الذى عاصر العدوان العسكرى المباشر محصناً لهذا، أما الأجيال المقبلة فلا، خصوصاً أمام الإمكانيات الإعلامية والثقافية والسياسية الهائلة التى ستسخر كل الوسائل المتطورة،، والتى سيقوم بها ما يسمى بالعالم المتحضر فى هذا الاتجاه إن معركة مواجهة التطبيع هى معركة كبرى يجب أن نهيئ لها إمكانيتها أيضاً، وألا نستهين بحجمها ومخاطرها.. قد توقع الأنظمة على اتفاق علاقات طبيعية مع إسرائيل، ولكن الشعوب تستطيع أن تجعل هذا التوقيع حبراً على ورق، وفى هذا المجال يجب أن نكرس بشكل نهائى وعلى كل الأصعدة خصوصا على المستوى الثقافى والوجدانى فى الأمة - أن إسرائيل عدو سرطانى وصلح الأنظمة معه لن يجعله صديقاً أو جاراً.. ولو تمكنا أن نحفظ هذا الإرث وننقله إلى الأجيال الآتية بعدنا نكون قد حققنا بعض الإنجاز على الأقل. أما مواجهة التحدى الثانى - وهو الأخطر - لأن إسرائيل وجودها فى فلسطين هو قاعدة المشروع الصهيونى وأساسه فى المنطقة، ولذا يجب أن نعلن بصراحة ووضوح أن فلسطين وتحريرها هى القضية المركزية للأمة وجميع العرب والمسلمين، وأن نتائج التسوية لا يمكنها بحال من الأحوال أن تجعل من قضية فلسطين قضية وطنية تخص الشعب الفلسطينى وحده، بل ستبقى فلسطين قضية عربية وإسلامية ما دامت السموات

والأرض وما دام هناك عرب ومسلمون فى هذا العالم.

يجب أن تتحمل الأمة كلها مسئولية تحرير فلسطين وتبذل جهودها من أجل تحقيق هذا الهدف، بل أن تحمل كلها السلاح وتقاتل، وهذا هو الأصل والقاعدة، والظروف الاستثنائية فى هذا المجال قد تسوغ الاستثناء وقد لا تسوغه.

المفاوضات الفلسطينية

● وماذا تقول عن المفاوضات الفلسطينية ـ الإسرائيلية القائمة؟ وهل هى قادرة على استعادة الحقوق العربية والإسلامية فى فلسطين؟ وما هو السبيل الحقيقى لذلك؟

● ● بالقطع هذه المفاوضات لن تعيد الحقوق العربية والإسلامية فى فلسطين، وفى رأيى أن هناك حداً أدنى يجب أن نلتفت إليه، وهو أن واجب الشعب الفلسطينى بالدرجة الأولى أن يتابع جهاده المسلح، وألا يتخلى عن المقاومة المسلحة بحال من الأحوال، ومهما كانت التضحيات والأخطار والصعوبات.

إن قدر الشعب الفلسطينى هو الجهاد والمقاومة، والجهاد ليس مجرد خيار بالنسبة إليه، وهنا لا نتحدث لمجرد الحماسة، ولا تدعو الفلسطينيين إلى متابعة القتال لمجرد تسجيل موقف للتاريخ، وإنما على أساس رؤية لصنع النصر.. فنحن نعتقد أن العمل الجهادى داخل فلسطين، وبإمكانيات متواضعة وبروح استشهادية عالية، قادر على إلحاق الهزيمة بإسرائيل، بل وإخراجها من المنطقة. إن القنابل البشرية الاستشهادية على طريقة حماس والجهاد الإسلامى قادرة مع الزمن أن تضع قطعان المستوطنين أمام مصير واحد، وهو وجوب العودة إلى الأوطان التى جاءوا منها، وسيكتشف المستوطنون الروس أن صقيع روسيا أفضل من جحيم فلسطين، وسيتأكد الفلاشا من أن جوع أثيوبيا أفضل من نار فلسطين، وسيفهم التجار اليهود الكبار من أمريكا وأوروبا أن فلسطين ليست أرضاً للبيع والشراء، وليست ممراً آمناً للسيطرة على كل المنطقة والأمة العربية والإسلامية.

الوقوف على الأطلال

● وما هو توصيفكم للمرحلة الحالية من عمر العالم العربى والإسلامى؟

● ● نحن فى مرحلة أشد ما نحتاجه فيها هو اليقين والرؤية الصحيحة والصائبة والمعرفة

الشاملة، حتى لا نضيع أربعين سنة فى التية من جديد، وحتى لا نسفك دماء ونهدر جهود وأموال، ونكتفى فى نهاية المطاف بالوقوف على الأطلال ونغنى للعزة والنصر ونبكى ذلنا والهزيمة.

ومع اليقين، نحن بحاجة إلى العزم والإرادة، والذى بدونه نصبح فى مواقع التنظير لا فى مواقع التغيير، أو مجرد فلاسفة يتقنون توصيف الواقع، لا مصلحين قادرين على تغيير الواقع. ومع العزم والإرادة نحتاج إلى روح التضحية والاستعداد للبذل، والتعب وتحمل المصائب والمآسي والآلام، وقد كانت شعوبنا دائماً كذلك، وقدمت الكثير من التضحيات، وأقول إننا بصراحة خلال خمسين عاماً من الصراع مع إسرائيل، لم تتعب الشعوب، وإنما تعبت القيادات، أما الشعوب فقد أثبتت أنها حاضرة دائماً للتضحية بأبنائها وأعزائها ومعيشتها، وإن تعبت الشعوب فمن قياداتها وليس من تضحياتها أو من قضيتها ورسالتها.

هذا هو الشعب الفلسطينى المبارك، وبالرغم من كل مآسيه فسنجده حاضراً بشبابه وشيوخه وأطفاله فى شوارع فلسطين، فاتحاً صدره للرصاص والنار لو سمع الآن أن المسجد الأقصى يتعرض لحريق أو هدم.

يمكننا أن نكون بلا شك أصحاب اليقين والعزم والتضحية، ونحن كذلك، ولا يستطيع أحد فى العالم أن يمنعنا من أن نكون كذلك، لأن هذه الأمور مرتهنة بنا وبما نتصور وبما نقرر.

مستقبل المقاومة

● وماذا عن مرحلة ما بعد التسوية.. هل يتوقف الدور النضالى لـ «حزب الله» عن دعم قضية القدس وفلسطين فى حال انسحاب إسرائيل من الجولان والجنوب اللبنانى؟

● ● على المستويين السياسى والفكرى، قوى المقاومة فى لبنان وتياراتها، وخصوصاً تيارها الأساسى وهو «حزب الله»، فى رؤيته السياسية والفكرية لم ولن ينسى أن إسرائيل عدو، وأن فلسطين هى ملك لكل أبناء أمتها، وأن القدس يجب أن تعود، وأن إسرائيل كيان غاصب سرطانى، غير قانونى وغير شرعى، ويجب أن يزول.. هذه قناعات نهائية لدى حزب الله.

لكن عندما نأتى إلى برنامج العمل، فهنا الأمور ستواجه بأسئلة صعبة.. فيما يعنى مقاومة التطبيع الجواب واضح وحاسم، نعم فى لبنان سوف نعمل جميعاً على مقاومة أى

شكل من أشكال التطبيع، وسنجعل أي اتفاق علاقات طبيعية بين لبنان وإسرائيل يوقع، عبارة عن حبر على ورق، ولن يكون موضع التنفيذ، وسوف نعتمد أساليب عمل مختلفة، وبرامج مختلفة لمواجهة التطبيع، وسنجد بالقطع امكانيات كبيرة في هذا العمل: قوى سياسية مختلفة، مثقفين، مفكرين، إعلاميين، لأن اللبنانيين عانوا كثيراً من إسرائيل، ومن الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة، وهناك الكثير من البيوت يوجد فيها شهداء، ويوجد فيها جرحى.. أرضية كبيرة وخصبة لمواجهة التطبيع.

أما النقطة الخاصة بدعم الشعب الفلسطيني، فأقول إن هذا الدعم سيكون حاسماً، ولن يتوقف أبداً عن شعب فلسطين، وما يمكن أن يقدمه اللبنانيون من دعم للشعب الفلسطيني سيقدمونه دون أي تأخير أو تردد.

يبقى السؤال: هل يقاتل اللبنانيون من لبنان عبر الحدود الفلسطينية أم لا يقاتلون؟ هذا الأمر يحتاج إلى دقة في اتخاذ القرار، وفي كل الأحوال نحن في «حزب الله» قررنا ألا نجيب عن هذا السؤال الآن، انطلاقاً من المصلحة الوطنية والقومية والإسلامية، لكن على مستوى قيادة الحزب هذا الموضوع محسوم بشكل نهائي، وسوف نعلن عنه في الوقت المناسب، إنما هناك سؤال كبير اسمح لي أن أتقدم به من خلالكم إلى كل الحركات الإسلامية، وإلى كل الأحزاب القومية والوطنية الموجودة على امتداد العالم العربي وخصوصاً في الدول المجاورة لفلسطين، والتي تملك حدوداً مع فلسطين.. يجب أن يوجهوا لأنفسهم هذا السؤال: ماذا نفعل؟ هل نترك الفلسطينيين يقاتلون وحدهم، ويدفعون ضريبة مواجهة هذا العدو، الذي يهدد المنطقة بأكملها؟

في المرحلة القادمة بعد التسوية الإسرائيليون يعتبرون أن مسألة فلسطين قد انتهت، وسيتحركون في اتجاه السيطرة على بقية المنطقة، ولكن ليس بالسلاح وإنما بالوسائل الأخرى التي يملكون فيها إمكانيات ضخمة جداً، ويتلقون فيها دعماً أمريكياً ودولياً كبيراً. هذا السؤال يجب أن يناقش لدى قيادات الحركة الإسلامية والأحزاب القومية.. هل نترك الفلسطينيين وحدهم؟ ماذا يمكننا أن نفعل؟ هل نتوقف؟ هل نستمر في مقاومة هذا العدو؟ وعلى ضوء الإجابة على هذه الأسئلة سوف يرتسم مستقبل هذه المنطقة.

رفض التوطين

● ننتقل إلى ملف التوطين ونسألكم: حزب الله له موقف رافض لتوطين الفلسطينيين فى لبنان، ما هى الأسباب الحقيقية وراء ذلك؟

● ● رفضنا لتوطين الفلسطينيين فى لبنان وفى المنطقة العربية والعالم الإسلامى، ليس لأننا لا نريد أن يكون الفلسطينيون بيننا، ولكننا نرفض أن تبدل الأرض الفلسطينية بأرض أخرى، والجنسية الفلسطينية بجنسيات أخرى، وهذا من حقنا لأن ذلك يعنى ترجمة الحضور الإسرائيلى فى الواقع والمستقبل، وبطريقة تجعل التسوية قد أسست استقراراً إسرائيلياً، والمصادرة الكاملة لهذا الحق الفلسطينى والعربى والإسلامى، الذى أخذ زوراً وعدواناً بغطاء القرار الدولى البائس، وتدخل الاستكبار ضمن معادلة السلاح والقوة، وعدم التوازن الموجود بين إسرائيل وباقى العرب والمسلمين.. من هنا نحن رفضنا ونرفض التوطين، من أجل إعانة الفلسطينيين على العودة لأرضهم: شرفاء، أحرار، محررين، ونحن مع كل الجهود التى تبذل فى هذا الاتجاه.

الملف الإيرانى

● العلاقات الإيرانية السورية، والإيرانية العربية، والإيرانية المقاومة.. هل ستتأثر بالسيناريوهات المطروحة للتسوية مع إسرائيل؟

● ● حقيقة، الموقف الإيرانى معلن وواضح، فإيران طبعاً لها موقف عقائدى واضح من عملية التسوية، ومجمل عملية المفاوضات.. لكن إذا تمكن السوريون واللبنانيون من استعادة أراضيهم، فالأخوة فى إيران أعلنوا أنهم ليس لديهم مشكلة من هذا الأمر، وهم يدعمون اللبنانيين والسوريين فى مساعيهم لتحرير أرضهم، لأن العلاقات الإيرانية ـ السورية هى علاقات استراتيجية، سواء حصلت التسوية أم لم تحصل وأعتقد أن إيران ستكون فى كل الأحوال، وبمعزل عن مواقف الدول العربية من عملية التسوية، حريصة على أن تكون علاقتها قوية مع الدول العربية، حتى مع التسوية وعلى معالجة الأزمات القائمة، لأن تعميق الهوة وإيجاد خلاف وشقاق بين أى دولة عربية والجمهورية الإسلامية فى إيران، كما هو الحال فى إيجاد شقاق بين دولة عربية ودولة عربية

أخرى، أو دولة إسلامية ودولة إسلامية أخرى.. فى نهاية المطاف هذا يصب فى خدمة المشروع الصهيونى، الذى يسعى للسيطرة على كامل المنطقة.

فإذا انهارت خطوط الدفاع الأولى، فهذا لا يعنى أن ندمر خطوط دفاعنا الثانية والثالثة لأننا غضبنا من سقوط خطوط دفاعنا الأولى، فالموقف الإيرانى واضح إذن.. هم حريصون على تقوية العلاقات مع مختلف الدول العربية، وفى مقدمتها سوريا، التى تربطها معها علاقات متينة واستراتيجية منذ بداية أطماع إسرائيل فى المنطقة، والجمهورية الإسلامية تعتبر أن علاقاتها القوية هذه ستساعد على مواجهة التطبيع، وستشكل خط الدفاع الثانى أمام هجمة المشروع الصهيونى للسيطرة على كامل المنطقة العربية الإسلامية خلال الفترة القادمة.

الداخل الإسرائيلى

● أخيراً، وبعد هذه الفترة من الصراع المباشر مع العدو الصهيونى.. كيف ترون الداخل الإسرائيلى الذى يظهره البعض بالقوة الجبارة التى لا تقهر؟

● ● إسرائيل من الداخل هى أوهن من بيت العنكبوت.. ما هذا المجتمع المحارب الذى يخشى إعلان خسائره فى جنوب لبنان، فيعلن وفاتهم فى حوادث السير، ومقتل ضباطه الكبار برصاص على نحو الخطأ؟، ما هذا المجتمع الجبار الذى لا يطيق مقتل جندى فى جنوب لبنان، فينطلق رئيس حكومته ليهدم البنى التحتية للبنان، وإلى التهديد بنسف المفاوضات بأكملها؟ كيف نقرأ هذا كله؟

من هنا أقول: إذا كانت هذه مسئولية الشعب الفلسطينى، وفصائله الجهادية، وقياداته المخلصة بالدرجة الأولى فالحد الأدنى من مسئولية بقية الأمة أن تقدم كل أشكال الدعم للفصائل الفلسطينية الجهادية: بالمال والإعلام والتأييد والمساندة والحماية، وغير ذلك.. يجب أن يكون لدعم الحركة الجهادية للشعب الفلسطينى أولوية الإعلام والإنفاق المالى والعمل السياسى لدى بقية قوى الأمة، ويجب أن ترتب جميع القوى الوطنية والإسلامية برامجها وحساباتها على هذا الأساس.

إن أخشى ما أخشاه هو أن تتحول كل حركة أو حزب أو شخصية ـ بعد ما يسمى بالتسوية ـ إلى الاهتمام الكامل بالشئون الوطنية الداخلية لوطنه، وينسى فلسطين وشعبها

ومجاهديها.. وهذه مسئولية التيارات العربية والإسلامية المختلفة. لكن إضافة إلى هذا الحد الأدنى، يجب أن يبقى الباب مفتوحاً أمام كل العرب والمسلمين وحركاتهم وأحزابهم، ولو فى دائرة التفكير والنقاش: هل يقاتل الفلسطينيون لوحدهم أم نقاتل معهم أيضاً حتى بعد التسوية؟

هل يحكمنا الأصل والقاعدة، وهو تحرير فلسطين؟ أم تحكمنا الظروف والاستثناءات؟. وأقول: بالنسبة لنا فى المقاومة هذا سؤال كبير يوجهه العالم إلينا، ونوجه نحن إلى العالم، هذا معضل مهم وحساس يجب أن تتضافر العقول المخلصة لتحديد كيفية التعاطى فيه.

فلو فتشنا فى كل دفاترنا وبرامجنا وشعاراتنا، لن نجد عنواناً للوحدة والتكامل والتعاون مثل فلسطين، والعمل لتحريرها، ومواجهة المشروع الصهيونى الاستكبارى المنطلق من احتلالها.

لذلك أقول لكل العرب والمسلمين المخلصين: تعالوا نجمع كلمتنا ونحزم أمرنا، ونتسلح باليقين، ونتقدم بخطى ثابتة فى ساحة العمل والتضحية، متوكلين على الله تعالى، فهو ولينا وناصرنا، «ومن يتوكل على الله فهو حسبه»، «أليس الله بكاف عبده»، «ولينصرن الله من ينصره»، «وإن ينصركم الله فلا غالب لكم».

أكد أن «حزب الله» لبنانى أولاً:
حسن نصر الله
لـ «الوسط»: عدونا الحقيقى
هو أمريكا

رجل دين شاب لا تتناقض ممارسته مع التزامه الدينى، مقاوم شرس للاحتلال الإسرائيلى لأجزاء من لبنان، متلاحم مع المقاومين ومضح منهم بالأبناء والأقرباء والأصدقاء والممتلكات. إنه السيد حسن نصر الله الأمين العام لـ «حزب الله» الذى التقته «الوسط» فى ضاحية بيروت الجنوبية بعد تحرير أرنون وأجرت معه الحوار الآتى:

● ما هى قصة أرنون والتحرك الطلابى الذى حررها.. وما هو تقويمكم له؟

●● حسب المعطيات المتوافرة عن تحرك الطلاب الذين ذهبوا إلى أرنون ونزعوا الأسلاك الشائكة التى وضعها الإسرائيليون، هناك أكثر من قول.. فهناك من يقول إن فكرة اقتحام الشريط الشائك كانت بنت ساعتها عند بعض هؤلاء الطلاب الذين نفذوا هذه الخطوة الجريئة.. وهناك من يقول إنهم عندما قطعوا الشريط واقتحموا المكان لم يجدوا ألغاماً، مما شجعهم على متابعة العمل ودخول البلدة. نحن بحسب تجربتنا نعقد أن هناك الكثير من التحليلات السياسية لأحداث ووقائع تعطيها أكثر من حجمها على رغم الجهد الذى رافقها. المهم أن هؤلاء الطلاب ذهبوا إلى أرنون واقتلعوا الشريط الشائك وفتحوا الطريق ودخلوا القرية ودخل معهم الناس.

هناك ظروف أخرى ساعدت على استكمال هذا الإنجاز، منها أن الإسرائيليين أطلقوا النار فى الهواء ولكنهم لم يتجرأوا على إطلاق النار على الطلاب مباشرة، لأن ارتكاب

مجزرة من هذا النوع والاعتداء على المدنيين (وهم كانوا مدنيين) سيؤدى بما يعرفه الإسرائيليون أنفسهم أيضاً إلى رد قاس من قبل المقاومة، مشابه للرد الذى حصل بعد قتل العائلات فى جنتا أو الذى حصل بعد ارتكاب المجزرة فى صيدا. ولا أعتقد أن نتنياهو وحكومة العدو تتحملان حالياً رداً قاسياً على المستعمرات لأنه سيحرجها كثيراً. معادلة المدنيين على طرفى الحدود كانت حاضرة فى ذهن القرار الإسرائيلى وهو يتعاطى مع الطلاب.. وأقول إن الطلاب اجتاحوا الشريط الشائك ودخلوا أرنون وهم فى حماية الكاتيوشا ويجب ألا يغيب هذا الأمر عن بال أحد.

والأمر الثانى هو أن هذه الخطوة جاءت فى أجواء إثارة سياسية كبيرة واتصالات ووساطات لعل هذه الخطوة عجلت فى ترتيب معين لإنهاء هذه المسألة، وإن كنا قرأنا اليوم أن الأمريكيين لا يعتبرون مسألة أرنون انتهت وأن الملف مازال مفتوحاً.

● إسرائيل أعلنت أنه حصل إطلاق كاتيوشا. «حزب الله» والمقاومة يعلنا ذلك عندما يقومان به، وعندما ينفيان حصوله يصدقهما الناس. هل أطلقت صواريخ كاتيوشا فى رأيك؟ أم أن إطلاقها حكر على «حزب الله»؟

● ● هل حصل أم لا، تستطيع لجنة التفاهم التأكد منه.. ويبدو أنه أطلق بعض الكاتيوشا ووصل إلى الأرض الفلسطينية المحتلة.

النقطة الثانية، أن هذه الكاتيوشا أطلقت من الأراضى اللبنانية، وهذا أمر اتفقت عليه لجنة المراقبة.

والنقطة الثالثة: أن الذى أطلق الكاتيوشا ليس «حزب الله».

والنقطة الرابعة: أن المجموعة التى أطلقت الكاتيوشا، هل كانت تقصد فعلاً أن تصيب شمال فلسطين، أم أنها كانت تستهدف المواقع الإسرائيلية الحدودية، لكن خطأ تقنياً جعل مداها أبعد؟ أعنى هل كان هذا العمل مقصوداً من قبل المجموعة التى أطلقت الصواريخ؟ أى مجموعة لبنانية أن تستخدم سلاح الكاتيوشا فهو ليس حكراً على «حزب الله».

فى موضوع الكاتيوشا، «حزب الله» له مميزات، فهو عندما يرمى بقرار سياسى، لكن ليس المجاهدون فى الجنوب هم الذين يتخذون القرار بإطلاق الكاتيوشا. المجاهدون يتخذون قرارات بنصب كمين وزرع عبوة، ومهاجمة هذا الموقع أو ذاك، ولكن إطلاق

الكاتيوشا قرار تتخذه القيادة، وعندما تتخذ هذا القرار تأخذ في الاعتبار الحال الإسرائيلي والحاجة إلى ممارسة حالة ردع ضمن مجموعة معطيات وظروف في الزمان والمكان، لذلك نحن نستخدم الكاتيوشا في شكل محصور ودقيق ومفيد ولا نؤمن باستهلاك هذا السلاح.

الأمر الثاني أننا عندما نقصف بالكاتيوشا لا نخفي إنتماء هذا القصف إلينا. وثالثاً عندما نقصف بالكاتيوشا لا نطلق صاروخين أو ثلاثة بل العشرات، لأن القصف هدفه الردع. أما إطلاق الصواريخ لتقع في البر أو في البحر فليس له أي قيمة سوى الضجيج وإعطاء الدوافع لإسرائيل، وفي هذه الحال بالتأكيد لسنا نحن من أطلق الكاتيوشا.

● هل هناك احتمال بأن تكون الكاتيوشا أطلقت لإرباك الوضع ولإحراج «حزب الله»؟ وهل يمكن اعتبار الكاتيوشا سلاحاً فلسطينياً في لبنان، على رغم خروج منظمة التحرير من لبنان. وهل السماح بترك الكاتيوشا بين أيدي عناصر غير منضبطة وغير خاضعة لاستراتيجية واضحة متفق عليها بين المقاومة ولبنان وسوريا يشكل خطراً على المقاومة والبلد أم لا؟

●● في الوقت الذي أدعو فيه كل القوى التي ترغب في المشاركة في المقاومة إلى ممارستها، وكل من له تاريخ في المقاومة إلى العودة إلى ساحة المقاومة، اقترح عليهم أن يتركوا استخدام الكاتيوشا لنا. وأتمنى أن يقبلوا هذا الاقتراح، وأظن أن اللبنانيين عموماً من خلال متابعتهم لأداء «حزب الله» في مسألة الكاتيوشا، يدركون أن هذا الأداء دقيق ومحصور وحكيم وأعطى السلاح القيمة، وليس العكس..فنحن نرغب في أن يكون هناك تفاهم حول هذا الأمر وإن كانت حالات الاختراق محدودة جداً عملياً. ومن أطلق الكاتيوشا ينتمي إلى مجموعة لبنانية مقاومة كانت تستهدف موقعاً حدودياً وحصل خطأ فني، ولا أظن أنهم كانوا يريدون بلبلة الأوضاع أو إحراج «حزب الله».

تفاهم نيسان

● ألا تعتقد أن على الدولة اللبنانية وسورية والمقاومة أن تحتاط لكي لا يستعمل هذا السلاح خارج أطر محدودة؟

●● على مستوى القوى المعنية، حصلت اتصالات ولم نتحدث عن تفاهم على هذا المعنى،

ولكن صار هناك قرار بضرورة ضبط هذا الموضوع، فقصف الموقع الحدودي يجب أن يكون دقيقاً.

● يبدي بنيامين نتنياهو إنزعاج إسرائيل من «تفاهم نيسان» ويطالب ـ مع بعض الأطراف ـ بتعديل هذا الاتفاق مثل مارتن مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط، والانزعاج الإسرائيلي كما أبلغ إلى «مجموعة المراقبة» ناتج عن أن التفاهم حصن المدنيين في لبنان وأعطى الحركة لـ «حزب الله» بالمقاومة في حين أنه جيش غير نظامي حتى يردوا عليه، وهذا أدى إلى زيادة عدد خسائر الجيش الإسرائيلي وأثر على مستوى أدائه ومعنوياته. هل هذه التبريرات صحيحة، هل أنتم كمقاومة وكـ «حزب الله» متمسكون بتفاهم نيسان؟

● نحن متمسكون بتفاهم نيسان وحريصون، على رغم عدم فعالية لجنة التفاهم. وفي الحقيقة لا يجب أن نتوقع من لجنة التفاهم أكثر مما تقوم به، يعني هي لجنة اتصال لمنع انهيار الأوضاع، أما أن نتصور أن لجنة التفاهم لديها قدرة ردع فهذا أمر انتهى منذ اللحظة الأولى عندما تقرر أن تتخذ قراراتها بالإجماع.. انتهت لجنة التفاهم عندما حددت آلية اتخاذ القرار بهذا الشكل إسرائيل تدعي أن لجنة التفاهم وضعت قيوداً في أيدي محاربيها ونحن رضينا بهذه القيود لأنها منسجمة مع سياستنا. ولم تفرض علينا ومثلاً عندما يقال إنه يمنع استهداف المستعمرات في شمال فلسطين وبالتالي إطلاق الكاتيوشا عليها، فنحن أصلاً لم نكن نقوم به ابتداء. نحن ليس لدينا في المقاومة الإسلامية قصف مستعمرات، لكن قصف المستعمرات هو رد فعل رادع لعدوان إسرائيلي ويستهدف المستعمرات.. لكن عندما يأتي التفاهم ليحمي المدنيين عندنا نمتنع عن استخدام الكاتيوشا.

الأمر الثاني: أن عدم اطلاق النار وسط المدنيين وعدم استخدام المناطق الآهلة لإطلاق الصواريخ والقذائف على القوات الإسرائيلية هو قيد في يد المقاومة نحن وافقنا عليه لأنه ينسجم مع سياستنا، لأننا لا نضرب من المناطق الآهلة.. نحن ننفذ عمليتنا في العمق وإذا كنا نقصف فإننا نستخدم الوديان والجبال البعيدة عن السكان ونستهدف قوات الاحتلال.

في المقابل، الإسرائيليون يستهدفون مناطق عسكرية يتواجد فيها المقاومون، مثل

إقليم التفاح، وفى بعض المناطق الجغرافية فى البقاع الغربى يفتشون عن أى معسكر للتدريب، ويقومون بقصفه.. وأى مريض للمدفعية يستهدفونه فى الوديان والجبال.. إنهم لا يقصفون الأحجار بل هم يقصفون المجاهدين الذين يتحركون فى هذه المناطق. الشىء الأخير، يجب أن نحذر من الدخول فى هذه التفاصيل، لأن ذلك يعنى أننا نسلم بالأصل والمشكلة الحقيقية هى مشكلة الاحتلال.. يعنى لا يجوز أن ندخل فى تنظيم القتال الدائر. المسألة ليست مسألة قيود، بل المسألة هى حقنا فى المقاومة.

- فى الماضى، فى عهد الرئيس الياس الهراوى دعا وزير الخارجية السابق فارس بويد إلى التناغم بين المقاومة والسلطة، وكان هناك أكثر من رأى يعتبر أن هناك عدم جدية فعلية لتنفيذ هذه الدعوة. هل تعتبر أن التناغم، بل التعاون، أصبح حقيقة بين المقاومة والجيش والسلطة، هل أصبحوا كلهم فريقاً واحداً أم لا؟

- فى الماضى، كانت المشكلة ما هو المقصود من التناغم. إذا كانت العبارة أكبر من المقصود، لا تكون هناك مشكلة، أو العبارة مطابقة فيكون المقصود هو المشكلة. من البداية فى الاتصالات مع الوزير بويز تمت مناقشة هذا الموضوع، وكانت وجهة نظرنا هى على الشكل الآتى: أن خضوع قرار المقاومة للحكومة اللبنانية يضعف المقاومة ويهددها. فمن ميزات المقاومة فى لبنان أنها بانت مقبولة فى العالم، ففى لبنان خصوصيات من هذا النوع. هناك مقاومة شعبية لا تخضع لقرار الحكومة اللبنانية، والحكومة اللبنانية لا تستطيع فرض قرارها على هذه المقاومة، وتدخلها العسكرى لفرض قرارها قد يؤدى إلى حرب أهلية.

هذا الوضع المميز والاستثنائى هو نقطة قوة للبنان، وهو ما يجعلنا نطلق المقاومة لتكون جادة وفاعلة من دون أن تتحمل الحكومة اللبنانية تبعات واحراجات هذا العمل المقاوم. لكن ما نرفضه هو إخضاع عمليات المقاومة للقرار السياسى.. أى أن يقال مثلاً الرئيس جاك شيراك فى زيارة، فيا شباب أوقفوا العمليات،او الوزيره أولبرايت قادمه أوقفوا العمليات، الانتخابات البلديه استحقاقه كبير أوقفوا العمليات.. فنصبح عندئذ فى حاجة إلى إذن للمقاومة، ويفضل عندها المقاومون الذهاب إلى جامعاتهم وبيوتهم على خوض القتال. الآن أعتقد بأنهم تجاوزاً هذا الموضوع ولا أظن أن أحداً من المسؤولين يطلب هذا أو حتى يطرح هذا. هناك تفهم متبادل وتكامل فى الأدوار. وأعتقد أننا فى هذه

المرحلة ـ وأكثر من أى مرحلة مضت صار الجميع: دولة ومقاومة وشعب يشعرون بأنهم فريق واحد فى مواجهة الاحتلال.

● فى الماضى كانت لدى بعضهم، وأنتم منهم، شكوك، خصوصاً خلال عملية عناقيد الغضب، إذ أن طرح الدولة أثار اعتراضكم. الآن تعتبرون أن هذه المرحلة انتهت.

● لنسلم بأنه فى السنوات الأخيرة تطور الخطاب السياسى للرئيس الهراوى والرئيس الحريرى. فى السنوات الأولى كان الخطاب مختلفاً، لكن ما لاشك فيه أن الخطاب الحالى للعماد إميل لحود والرئيس سليم الحص أكثر تطوراً من خطاب العهد السابق.

● لوحظ منذ فترة أن قدرات المقاومة تنامت، واستطاعت أن تلحق خسائر بالعدو بعمليات نوعية جدا تدل على وجود إمكانات كبيرة، إلى ماذا ترد هذه الامكانات؟ هل هى تقنية، أو مزيد من الخبرة، أو مزيد من الاختراقات، خصوصاً بعدما أصبح اللبنانيون فى الأراضى المحتلة (فى الجنوب) يشعرون بأن الاحتلال الإسرائيلى هو بالفعل احتلال خلافاً لما كان عليه الوضع فى الماضى؟

● كل هذه العوامل موجودة. لاشك أن الخبرات تتنامى والمقاومة تسعى إلى تطوير امكاناتها، ومستوى التفاعل الشعبى العام معها يتحسن، والثقة بها تكبر. هناك شىء آخر لا يأخذه المحللون العسكريون والسياسيون فى الاعتبار، ونحن نشاهده لأننا نعيش فى الميدان، وهو ما نسميه بالامداد الإلهى الغيبى. نحن نعتقد بأمور من هذا النوع، وفى قتالنا مع العدو هذا العامل حاضر وبقوة ولنا فيه شواهد كثيرة. القتال اليوم الدائر فى الجنوب ليس قتال واحد زائد واحد، وموضوع البندقية والتفاعل الشعبى وتنامى الخبرة... فقبل هذا يوجد عامل الإيمان والتوكل والثقة والعزم والتصميم والاستعداد للتضحية.

هذا العامل الإنسانى لا يؤخذ عادة فى الاعتبار، بل هذا عامل يتنامى، وهو مؤثر جداً عندما نقول إن سرية معادية وقعت فى كمين للمجاهدين، وهؤلاء المجاهدون قاتلوا لوقت طويل بأسلحتهم المتواضعة، فى الوقت الذى تقوم فيه الطائرات الحربية والمروحيات بقصفهم. مثلاً فى بركة الجبور ماذا سأقول.. كانوا يحملون كلاشنيكوف وتحولوا إلى «إم ١٦».. ليس هذا هو العامل الحاسم.. العامل الحاسم هو العنصر الإنسانى، هم ثبتوا وقاتلوا حتى آخر طلقة وكانوا حاضرين للاستشهاد. وفى المقابل الإسرائيلى الذى كان

مزوداً بأسلحة متطورة جداً وكان يقاتل بإسناد خلفى كان مرتبكاً وخائفاً. الذى يحسم فى المعركة ليس نوعية السلاح الذى طاردته الطوافات وأطلقت النار عليه بغزارة، ثم جاء الطيران وقصفه بصاروخ ضخم، عاد إلى المنطقة المحررة على قيد الحياة. يعنى ما هو مستوى التدريب الذى يمكن أن يكون قد تلقاه، أو مستوى الخبرة التى يمكن أن يحصل عليها؟

● هناك حماس لدى بعض الناس، وهناك نيات أخرى عند البعض الآخر، يقال إن المرحلة الثانية للتحرك الطلابى بعد تحرير أرنون هى تحرير جزين. هل تعتقد بأن هذا النوع من التحرك ينجح فى جزين؟

● ● الوضع يحتاج إلى تأمل ولا يمكن إصدار أحكام قاطعة. مسألة أرنون لا أريد أن أقلل من أهميتها، نحن نؤيد ما حصل فيها بالكامل ونحن من دعاة المقاومة الشاملة وليس المقاومة المسلحة. نحن فخورون بهؤلاء الشباب والطلاب وبروح الإقدام والشجاعة التى تحلوا بها، وإن كان بعض الجهات حاول أن يعتبر ذلك بديلاً عن المقاومة المسلحة.. وأقول هذا ليس بديلاً، هذا مكمل للمقاومة المسلحة، لذلك أقول إنه عندما دخل الطلاب إلى أرنون كانت الكاتيوشا تحميم.

جزين هى منطقة محتلة، لكنها ليست أرنون لأن، الحسابات مختلفة، لا أستطيع أن أقول لا أو نعم، فالموقف بالنسبة إلى ليس واضحاً. طبعاً ليس هناك ضمير فى أن تكون هناك تجربة، ولكن الأمر بمعرفة هل هناك قرار بالانسحاب من جزين أم لا؟

● ما هى آثار الوضع فى الجنوب على إسرائيل، خصوصاً فى موسم الانتخابات العامة فيها؟ وما أثر الانتخابات الإسرائيلية على الوضع فى الجنوب؟

● ● فى الأسابيع الماضية قرأنا الكثير عن المقاومة فى الجنوب و «حزب الله». الصحف الإسرائيلية كتبت أنه الناخب الأول، الصحف الإسرائيلية كتبت أنه الناخب، وبعض الصحف الإسرائيلية قالت إنه من الناخبين الأساسيين.. حتى بعض الصحف العربية كتبت ذلك. بالتأكيد نحن من جهتنا لا نريد أن ندخل فى معادلة الانتخابات، ونريد أن نوضح أمراً يجب أن يحسمه المحللون السياسيون الذين يقرأون أداءنا فى الجنوب: عندما تخف العمليات، تقولون إن «حزب الله» خفف من عملياته وأنه يريد أن يتيح لنتنياهو فرصة النجاح ولا يريد أن يحرج نفسه. فجأة تأتى المقاومة الإسلامية لتقتل

قائد فرقة لبنان فى جيش الاحتلال، وهذا يحرج نتنياهو ويضعف فرصه.

الأداء الميدانى يؤكد أنه غير مرتبط بفهم سياسى معين أو قراءة سياسية معينة ترتبط بالانتخابات ومصلحة هذا أو ذاك. لكن مما لاشك فيه ـ سواء قصدنا أو لم نقصد ـ أن ما تقوم به المقاومة فى الجنوب له تأثيره على ما يجرى داخل المجتمع الإسرائيلى.. والدليل ما نسمعه من تصريحات ومواقف.

ليكود والعمل واحد

● نتنياهو متطرف فى العقل الغربى، وباراك معتدل، وفى حال فوز باراك وحزب العمل فى الانتخابات ستتحرك عملية السلام وستصل إلى نتائج إيجابية فى وقت غير بعيد؟

●● أعتقد فى الجوهر أن حزب العمل وليكود واحد، والمشروع واحد. هما يختلفان بالوسائل لتحقيق المشروع. فى الانتخابات السابقة بين بيريز ونتنياهو كنا نقول أن نتنياهو أوضح وابيريز قدرة أكبر على الكذب. ومازلنا عند هذه القناعة. باراك وحزب العمل حاضران فى تفكير الكثيرين والفرق بينهما فقط بالشكل وليس فى الجوهر، ومن المؤسف جداً أن يقدم الذين ارتكبوا مجازر فى لبنان وفلسطين وقادوا أكثر الحروب ضد العرب كمعتدلين أمام الرأى العام.

● فى مراحل المفاوضات الماضية قبل مجئ ليكود إلى السلطة، استطاعت جماعة الاعتدال أن تصل إلى اتفاقات سميناها انفرادية، ولكن على المسار السورى الذى هو ميزان التمسك بالحق، فإن المطلب السورى واللبنانى هو معاودة المفاوضات مع إسرائيل من حيث انتهت. هذا يعنى أن حصيلة التفاوض السورى مع العمال كانت معقولة اجمالاً.. إذا أكمل العمال بهذا الأسلوب هل تتوقع أن نكون أقرب إلى تسوية؟

●● ليس واضحاً لدى، لكن مما لاشك فيه أنه مع حكومة رابين حصل تقدم ما. المعلومات حتى الآن متضاربة. الإسرائيليون نفوا أنهم وافقوا على الانسحاب من الجولان وأعتقد أن هذه المسألة أساسية فى المسار السورى، لو أخذنا باراك وحزب العمل. الانسحاب من الجولان إلى خط الرابع من حزيران (يونيو)، لا يوجد حوله التزام معلن من قبل القيادة الرسمية. يوسى بيلين ليس قصة، هذا على المسار السورى. المسار اللبنانى غير حاضر سورى بشروط وترتيبات. الموضوع الفلسطينى القدس عاصمة أبدية لإسرائيل. وأكيد لن يعيدوا الضفة كلها، ربما ٤٠ أو ٥٠ فى المئة منها.

فى موضوع اللاجئين، موقف حزب العمل مثل موقف ليكود، والموقف الإسرائيلى لا يستطيع أن يتحمله، وفيما يتعلق بمشروع القانون الذى وافق عليه الكنيست بـ ٣ قراءات، صوت الكثيرون من نواب حزب العمل معه، وهو متعلق بالجولان. يعنى القضايا الرئيسية هى الأساسية. فى التفاصيل قد يكون هذا مرناً أكثر من ذلك، لكن فى المسائل الأساسية لا أعتقد أن هناك فرقاً.

● لندخل فى الوضع الداخلى اللبنانى: أيدتم العهد الجديد، والحكومة لم تعارضوها ولكن لم تعطوها الثقة. ما هو تقويمكم لأداء العهد والحكومة، وهل بالفعل الأداء والنتائج التى تحققت كانا منسجمين مع البيان الوزارى وخطاب القسم.. ذلك أنك تشعر بنوع من الخيبة لدى الناس، والحكومة اعترفت بنوع من الأخطاء؟

●● فى الحقيقة الفرصة الزمنية غير كافية لإجراء تقويم، نحن نعرف من نفسنا أن أى حزب يعقد مؤتمراً يلزمه شهر أو شهران أو ثلاثة ليقلع، فكيف بحكومة وهى أتت بشكل مفاجئ للبنانيين وللأطراف السياسيه وللمعنيين بالقضية، لا الرئيس الحريرى كان فى جو أن «يفل» ولا الرئيس الحص فى جو أن يستلم (الحكم). وقبل بضعة أيام من تكليفه قال الرئيس الحص أن هذا الموضوع غير مطروح وغير وارد. الوقت غير كاف للتقويم، ولكن طبعاً هناك علامات إيجابية مميزة. رئيس الحكومة يعترف بخطأ أعتقد أن هذا شيء ممتاز، فى الوقت الذى كان فيه عنوان المراحل السابقة المكابرة والحكومات المعصومة.

● الرئيس الحريرى اعترف فى أواخر عهده بارتكاب أخطاء.

●● (اعترف) بعد ست سنوات. الحص قالها بعد شهرين وهو مستعد للتصحيح بالمجموع. نحن من الجهات التى تنادى بإعطاء فرصة للعهد بعدم إصدار أحكام متسرعة أو مبتورة من حيث المقدمات على الأداء الحكومى.

● كان اللبنانيون يخافون أن تفتح ملفات الفساد والهدر والارتكاب لأسباب كيدية أو أن تفتح جزئياً أو لا تفتح لأنها قد تطال أعلى الرؤوس ولا أحد يعرف أين تصل، وقد تتجاوز الحدود. هل ما جرى حتى الآن فى موضوع ملف النفط فى رأيك نتيجة سياسية محددة لفتح الملفات، وضرب الفساد، أو أنها كرة ثلج تكبر ولم يعد ممكناً وقف تدحرجها؟

●● ليس لدى معلومات خاصة عن هذا الأمر، هل هى سياسة أم حكم فى واقعه ينحصر بهذا الملف، قيل الكثير فى موضوع النفط فى العهد السابق وأثيرت الكثير من الشبهات، وقيل أن هناك ملفات ومستندات ولكن لم تتح لى الفرصة من خلال الاتصالات، لأصل أنا والأخوة إلى تقويم أو معرفة إن كان هذا الذى يحصل هو واقعة بدأوا بتنفيذها وهى تعتبر حلقة من حلقات الاجرام. ليس لدى رؤية واضحة.

● لكن هناك فتح الملفات الآن مدعم بوثائق ومستندات.

●● نحن مع محاربة كل أشكال الفساد بأى مستوى من المستويات شرط أن يكون هناك عدل وإنصاف لأن محاسبة البعض وحماية البعض الآخر هو فساد. نحن مع مكافحة الفساد، خصوصاً فى مؤسسات الدولة. وكما قال العماد لحود يجب قطع يد هؤلاء.. نحن نوافق على هذا.

● الحكومة مطلوب منها الكثير: الإصلاح الإدارى الذى تعثر والذى قد يصحح، وتنظيم الحياة السياسية فى البلد من خلال قانون للأحزاب وقانون للانتخاب، ومعالجة الأوضاع الاقتصادية المتردية من خلال مشروع قانون الموازنة. هل تعتقد أن الحكومة ستستطيع التصدى لمشاريع كهذه بطريقة جدية؟ كيف يجب أن تكون فى رأيك قوانين الانتخاب والأحزاب والموازنة؟

ـ من بين العناوين الثلاثة، عنوانان لا مفر منهى، هما قانون الانتخاب والوضع الاقتصادى. قانون الأحزاب مهم وملح، ولكن إذا لم تتمكن الحكومة من إنجاز قانونى الانتخاب والموازنة تكون المشكلة كبرت.

قانون الانتخاب ـ هناك انتخابات فى العام ٢٠٠ ـ يجب إنجازه، والوضع الاقتصادى حالة يومية دائمة فى كل بيت.

فى موضوع قانون الانتخاب، لم نفهم بالضبط ماذا يفكرون فى دائرة الحكومة. حتى الآن هناك آراء شخصية واجتهادات.

نحن نميل من حيث المبدأ إلى فكرة إعادة تقسيم المحافظات واعتماد المحافظة دائرة انتخابية.. المحافظة التى هى أكبر من القضاء الحالى وأصغر من المحافظة الحالية، ونحن بصدد تحضير تصور حول المحافظات.

والنقطة الثانية فى قانون الانتخاب هى وحدة المعيار وألا تكون الدوائر الانتخابية فى مكان محافظتين وفى مكان محافظة وفى مكان قضاء.. الكل سواسية. وأظن أنه لو تبنينا فكرة الدائرة الوسطى، قد نتمكن من ترتيب الأمور بطريقة تعطى الإطمئنان للجميع وتحفظ رؤوس الجميع.. أما إذا كانت هناك خشية فى هذا النوع فهل ستستطيع الحكومة إنجاز هذا الموضوع؟

● هل تتمسكون بخفض سن الإقتراع؟

● ● نحن ندعو إلى هذا ونتمسك به. فى عهود الحكومات السابقة قيل لنا أثناء انتخابات ١٩٩٢ أن اعتماد سن ١٨ للاقتراع سيحصل. ولم يحصل وأعتقد أنه فى أغلب دول العالم ينتخبون فى سن ١٨ وفى إيران فى سن الـ ١٥. جيل شباب يحسم المعارك. وقيل أنه إذا عدنا إلى سن ١٨ فهناك تيارات شابة - منها «حزب الله» - قد تحسم المعارك الانتخابية. وقالوا إنهم إذا وضعوا القانون على القياسات يتجاوزون هذا الموضوع. لسنا من يفترض أن نطالب بهذا الموضوع، بل الشباب والمنظمات الطلابية حتى يشاركوا فى الحياة السياسية. وإذا كان سن الانتخاب فى بعض الدول ١٨ و ١٥، يجب أن ينتخب ابن العشرة فى لبنان.

● يقال إن الحكومة موجودة لتقوم بإجراءات غير شعبية وأن هذه الخطوات لابد منها، بعضها اقتصادى وبعضها الخصخصة وبعضها فرض ضرائب ورسوم جديدة، وعندما تنتهى من ذلك تستقيل. هل أنت مع هذا الرأى؟

● ● الطريقة التى خرج بها الرئيس الحريرى وجاءت منها هذه الحكومة لا تساعد على هذا التحليل، حتى لا نحمل الأمور أكثر مما تحمل. الجو الذى كان سائداً فى البلد أن الرئيس الحريرى سيشكل الحكومة الأولى فى عهد الرئيس لحود، لكن حصلت أوضاع أدت إلى التغيير الذى حصل. إذا كانت هناك افتراضات من هذا النوع، فإنها بدأت بعد مجئ الحكومة وليس قبلها.. ولا أظن أن الذين جاءوا بهذه الحكومة كانوا يفكرون بهذه الطريقة، هذا التفكير جاء بعد ذلك؟ ولا أستطيع أن أقول ذلك، لأن الوزراء الحاليين ليسوا حاضرين ليكونوا كبش محرقة للمرحلة المؤقتة، ولا أعتقد بأنهم مستعدون ليكونوا وزراء فى حكومة مطلوب منها إنجاز أمور لتذهب بعد ذلك.

لكن فى جميع الحالات، فإن أى حكومة ستأتى إذا كانت تريد مواجهة الأحوال الصعبة فى لبنان، فعليها أن تتخذ قرارات غير شعبية فى بعض المجالات.

حرب فييتنام
مستنقع أمريكا المرعب
نموذج مقاومة تاريخى

حرب فيتنام

فيتنام

أظن أن أول ما يتبادر إلى ذهن أى منا حين يُذكر أمامه اسم فيتنام هو الحرب التى دارت بين فيتنام والولايات المتحدة وخرجت منها الجيوش الأمريكية كسيرة الجناح تلملم جراحها وتداوى العقد النفسية لدى جنودها وأسرهم..

ورغم أن هذه المعلومة معروفة ومشهورة غير أن أغلبنا لا يعرف أى معلومة عن فيتنام أكثر من ذلك!

فلقد ظللت زمناً أتوهم أن فيتنام هذه دولة من دول أمريكا الجنوبية من شدة التصاق اسمها بأمريكا حتى اكتشفت بعد زمن من تأصل هذا الوهم أنها فى قارة آسيا وليست فى قارة أمريكا!

أما متى كانت هذه المعركة بين فيتنام والولايات المتحدة؟ ولماذا قامت؟ وماذا حدث فيها؟ وإلى أى شىء انتهت. كلها أسئلة يجمع بينها شىء واحد مشترك: إنها كلها بلا إجابة!

والحقيقة أن كثيرين منا إن حاولوا أن تذكر مصدر معلوماتهم عن حرب فيتنام مع الجيوش الأمريكية فلن يجدوا سوى الأفلام الأمريكية التى تناولت المعركة ضمن أحداثها على أنها جحيم ونار دون تفاصيل أكثر من ذلك.

إننا نسمع اليوم سؤال يتردد كثيراً عن العراق أيصير فيتناماً جديدة للجنود الأميريكييه؟ لكن كيف نجيب ونحن لا نعرف ما حدث أصلاً فى فيتنام ولا ندرى شيئاً عن تفاصيل الهزيمة الأمريكية.

ألا يثير فضولنا ـ مجرد الفضول ـ أن نعرف كيف استطاعت فيتنام وهى دولة فقيرة مصنفة من دول العالم الثالث مثلنا أن تهزم الجيوش الأمريكية وأن تجعلها تتجرع من كأس الهزيمة المر لسنوات طوال؟

والحقيقة أن هذا الأمر غريب، والأغرب منه أن يظل هذا الملف مغلقاً فى هذا التوقيت الذى تعسكر فيه الجيوش الأمريكية فوق أراضينا تتلفت بحثاً عن الفريسة التالية بعد العراق ونحن لا نجد ما نفعله إلا أن نضرب كفاً بكف قائلين: إنها أمريكا بجيوشها.. فمن ذا يقف أمامها!!

ألا يستحق الأمر أن نحاول اكتشاف كيف هُزمت أمريكا قبل ذلك لعلنا نستطيع أن نعيد هذه التجربة اليوم من جديد فى العراق أو فى غيره؟

ولكن حتى لا نقسو على أنفسنا أكثر مما نحتمل فإن الباحث عن الحقيقة باللغة العربية فى هذا الزمن بائس مهزوم لا نصير له ولا سند، فأمام عدد هائل من الكتب والمراجع الأجنبية التى تناولت هذه الحرب الهامة الحساسة من كل جوانبها وقتلتها بحثاً ودراسة ستكون محظوظاً لو عثرت على كتاب واحد بالعربية.

ويكفى أن أقول أننى فى محاولة منى للكشف عن تفاصيل مذبحة شهيرة حدثت أثناء المعركة فى قرية فيتنامية «ماى لاى» ـ سيرد ذكرها خلال المعركة ـ بحثت عنها فى صفحات الإنترنت بالعربية فلم يسفر البحث عن شىء، ولكننى عندما كتبت الاسم بالانجليزية فوجئت بعشرات المواقع تتحدث عن القرية وعن تفاصيل المذبحة وعن الجمعيات التى تكونت باسمها و.. و..

ومنذ منتصف الستينيات وخلال السبعينيات والثمانينيات حركت هذه التجربة ـ تجربة كفاح الشعب الفيتنامى المقاتل ـ سؤالاً مثيراً عند عدد من الكتاب العرب فتساءلوا: لماذا نجح أهل فيتنام فى إخراج الجيوش الغازية من بلادهم ولم ينجح العرب بعد فى أن يفعلوا مثل فعلتهم مع الصهاينة فى فلسطين؟؟

وفى محاولة للوصول إلى إجابة لهذا السؤال الحائر قام بعض من الكتاب العرب بكتابة عدد من الكتب بالعربية لتحليل أبعاد تجربة كفاح الشعب الفيتنامى ومقارنتها بكفاح العرب فى فلسطين، أذكر منهم على سبيل المثال على فياض سفير فلسطين فى فيتنام الذى

كتب كتابين من زاويتين مختلفتين لتقييم التجربة الفيتنامية، وكذلك المفكر السورى ياسين الحافظ. غير أنهما خاطبا أجيالاً تعرف أصلاً ماذا حدث فى فيتنام، لكننا اليوم نريد أن نعلم بداية ما الذى حدث فى هذه الحرب العجيبة بين أكبر قوة فى العالم ودولة فقيرة وصغيرة تبعد عن الأولى آلاف الأميال.

والحقيقة أن الذى بين يديك من صفحات هو عبارة عن تسلل لكمية ضخمة من الأحداث بصورة مختصرة ومضغوطة إلى أقصى درجة غير أنها ستفتح أمامك المجال لتبحث عن الاستزادة إن شئت من أى موضع آخر بعد أن تكون قد ألمت بالخطوط العريضة الأولية والمعلومات الأساسية للموضوع إجمالاً ببساطة وبدون تعقيدات سياسية أو تفاصيل عسكرية.

فإذا أردت أن تعلم ببساطة متى كانت هذه المعركة؟ ولماذا اشتعلت؟ وكيف سارت أحداثها؟ وكيف انتهت؟.. فتابع هذه الصفحات القليلة التى ستجد فى نهايتها مقارنة مبسطة بين التجربتين الفيتنامية والفلسطينية.

نسأل الله العلى القدير أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزدنا علماً، وأن يجرى الخير على أيدينا وأن يتقبل منا صالح الأعمال.. آمين.

رؤساء الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية:

فرانكلين روزفلت (١٩٣٣ ـ ١٩٤٥) ـ هارى ترومان (١٩٤٥ ـ ١٩٥٣)

دوايت ايزنهاور (١٩٥٣ ـ ١٩٦١) ـ جون كنيدى (١٩٦١ ـ ١٩٦٣)

ليندون جونسون (١٩٦٣ ـ ١٩٦٨) ـ ريتشارد نيكسون (١٩٦٨ ـ ١٩٧٤)

جيرالد فورد (١٩٧٤ ـ ١٩٧٧) ـ جيمى كارتر (١٩٧٧ ـ ١٩٨١)

رونالد ريجان (١٩٨١ ـ ١٩٨٩) ـ جورج بوش (١٩٨٩ ـ ١٩٩٣)

بول كلينتون (١٩٩٣ ـ ٢٠٠١) ـ جورج جورج بوش الإبن (٢٠٠١ ـ)

دولة فيتنام

تقع

تقع فيتنام فى جنوب شرق آسيا، على الساحل الشرقى لشبه جزيرة الهند الصينية، وهى عبارة عن شريط ضيق يمتد مسافة ألف ميل على شكل حرف S.

دول الجوار:

ليس لفيتنام غير ثلاث دول جوار: الصين من الشمال، ولاوس وكمبوديا من الغرب، أما حدودها الشرقية فتطل على ما يسمى ببحر الصين وهو جزء من المحيط الهادى.

وتشكل الدول الثلاث فيتنام، ولاوس، وكمبوديا معاً لساناً فى المحيط الهادى يُطلق عليه اسم «شبه جزيرة الهند الصينية».

العاصمة:

عاصمة فيتنام حالياً هى مدينة «هانوى» فى شمال البلاد.

المساحة وعدد السكان

مساحة فيتنام ٣٣٠ كم مربع (أى ما يزيد بقليل على ثلث مساحة جمهورية مصر العربية) ورغم صغر مساحة فيتنام إلا أن عدد سكانها يزيد على عدد سكان مصر، ويقدر عدد الفيتناميين بحوالى ٨١ مليون نسمة (تقدير عام ٢٠٠١). وشعب فيتنام شعب فلاح يعيش أساساً على الزراعة وبخاصة زراعة الأرز، وتحتل فيتنام المرتبة الخامسة لإنتاج الأرز فى العالم. وأغلب أهل فيتنام بوذيون مع وجود أقلية كاثوليكية بالإضافة إلى قلة من أتباع معتقدات أخرى غير مشهورة.

مقدمة تاريخية

ظل الجزء الشمالى من فيتنام والذى يُطلق عليه اسم مقاطعة «تونكين» جزءً من الصين لمدة ألف عام، وعندما انفصلت هذه المقاطعة عن الصين توسعت جنوباً وضمت إليها مساحات جديدة وبذلك تكونت دولة فيتنام بحدودها الحالية.

وبداية من القرن السادس عشر تعرضت البلاد لنشاط مكثف من البعثات التبشيرية من عدة دول أوروبية وبخاصة من فرنسا، وقد صاحبت البعثات التبشيرية عدة محاولات لإقامة مراكز تجارية.

فيتنام والاحتلال الفرنسى

وفى بداية القرن التاسع عشر أدت البعثة التبشيرية الفرنسية دوراً فى مساندة حاكم فيتنام فى ذلك الوقت مما جعل لفرنسا وضعاً متميزاً بحيث صار لها ممثلون دائمون فى فيتنام.

غير أن هذا الأمر لم يستمر طويلاً، نظراً لأن الطبقة الحاكمة الفيتنامية تنبهت بعد فترة إلى أن نشاط البعثات التبشيرية الفرنسية المتزايد ما هو إلا مقدمة لدخول الاستعمار الفرنسى. لذا قام الفيتناميون بمقاومة هذه البعثات مقاومة شديدة وضيقت على أفرادها الخناق ثم أجبرتهم على تجميد نشاطهم.

وبناء على ذلك اتهمت فرنسا السلطات الفيتنامية باضطهاد المسيحيين وهددت باتخاذ إجراءات تأديبية تجاه تلك السلطات إذا استمرت فى عملية التضيق على البعثات التبشيرية الفرنسية.

وفى عام ١٨٥٧ وصل الأمر إلى منتهاه عندما أغارت السفن الفرنسية على شواطئ فيتنام لتحتل أول ميناء فيتنامى. ونظراً للمقاومة الشديدة التى لاقاها الجيش الفرنسى من المقاتل الفيتنامى العنيد، فقد استغرقت الحروب سبعة وعشرين عاماً كاملة قبل أن تتمكن فرنسا من فرض سيطرتها على البلاد بكاملها. وفى عام ١٨٨٤ أصبحت فيتنام محمية فرنسية. كما نجحت فرنسا فى ضم دولتى لاوس وكمبوديا المجاورين لفيتنام من جهة الغرب، وبذلك نجحت فرنسا فى تكوين ما يعرف باسم «اتحاد الهند الصينية الفرنسى».

ومارس (آزار) اتبعت فرنسا السلوك الاستعمارى فى فيتنام؛ فحرصت على الإبقاء على الطبيعة الزراعية للبلاد لتظل مصدراً للمواد الخام لها وسوقاً للمنتجات الفرنسية، كما عملت على تقسيم فيتنام إلى ثلاث مقاطعات منفصلة لا لشىء إلا لتفتيت قوى البلد

الواحدة، كما أنها غضت الطرف عن دخول الأفيون والمسكرات إلى البلاد..

وفي المقابل بدأت تظهر حركات للمقاومة الوطنية السلميه ضد الاستعمار الفرنسي وكانت أول الأمر قاصرة على طبقة المثقفين، إلا أنهم لم يتمكنوا من تحقيق إنجاز واضح ونجح المحتل الفرنسي في إخماد حركتهم.

هوشي منه Ho Chi Minh

بعد سنوات من المقاومة السلميه للشعب الفيتنامي لمع اسم زعيم فيتنامي ثائر، هذا الزعيم أطلق على نفسه اسم «هوشي منه» «Ho Chi Minh» أو كما كان يحلو لأهل فيتنام أن ينادونه بالعم «هو».

ويعتبر هذا الرجل من أشهر زعماء العالم الثالث خلال القرن العشرين، وهو رغيم شهرته الفائقة فالحقيقة أن أجيالنا لا يكاد اسمه يصل إلى مسامعها.

مطالب فيتنامية أمام مؤتمر فرساى

وانتقل هو شي منه من فيتنام إلى فرنسا، وقد شهدت الأخيرة في ذلك الوقت عقد مؤتمر شهير عقب إنتهاء الحرب العالمية الأولى هو «موتمر فرساى» المعروف باسم.

«مؤتمر الصلح». وكانت العبارات الرنانة عن الحرية والعدالة تتردد على ألسنة الزعماء والقادة في أوربا وأمريكا مما أغرى هو شي منه بأن يقدم مطالب شعبه المقهور إلى أعضاء المؤتمر.

«كان الفيتنامي الأول والأخير الذي وقف في باريس بشجاعة ليقدم مطالب بلاده وهو يواجه الاستعمار الجشع. وقد تقدم بتلك المطالب بالنيابة عن عدد من المواطنين الفيتناميين - إلى مؤتمر فرساى والجمعية الوطنية الفرنسية والمنظمات الديمقراطية التقدمية الفرنسية، واستطاع أن ينشرها في صحيفة لو بيل (الشعب) وهي لسان الحزب الاشتراكي الفرنسي».

(هو شي منه الزعيم الأسطوري - جورج عزيز).

وقد ظن هو شي منه أنه بذلك سيحقق نصراً مادام القوم ينادون بالعدالة، غير أنه لم يجد منهم آذاناً صاغيه.

وفي فرنسا قضى هو شي منه خمسة أعوام، اشترك خلالها في الحزب الاشتراكي الفرنسي، وأسس من خلاله رابطة أطلق عليها اسم «جماعة الفيتناميين الوطنيين المقيمين

فى باريس».

وكان الفكر الشيوعى فى ذلك الوقت يحظى بإعجاب أعداد غفيرة من مختلف الأجناس والفئات فى العالم كله وسط الأمانى الاشتراكية البراقة بالحياة الأفضل لجميع فئات المجتمع واختفاء الفقر وزوال الطبقية فى ظل النظام الإشتراكى الشيوعى باعتباره فى تقديرهم الجنه الموعودة والمهرب الوحيد من النموذج الرأسمالى الذى يزيد الأغنياء غنى ويزيد من فقر الفقراء.

وتطلع هو شى منه إلى النجاح الذى حققته الحركة الشيوعية فى الصين وأراد أن يسير على خطاها، فانتقل إلى الصين بحيث يكون قريباً من فيتنام.

نواة الحركة الشيوعية فى فيتنام

وفى عام ١٩٢٥ قام «هو شى منه» «بتأسيس منظمة لتكون نواة الحركة الشيوعية فى فيتنام عُرفت باسم «منظمة الشباب الثورى الفيتنامى» وقد قام بإدارتها من مدينة كانتون الصينية، ونشطت المنظمة فى جذب الأنصار إليها..

«وقد عملت هذه المنظمة على تدريب الشباب الفيتنامى وإرسالهم إلى باقى أقاليم فيتنام لمارسه عملهم الثقافى والفكرى والتنظيمى بين صفوف الفلاحين والعمال..».

(موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر ـ د. ميلاد أ. المقرحى).

وقد ظلت المنظمة تدعو للمقاومة وحرب العصابات ضد المحتل تحت لواء الحركة الشيوعية مما مهد لقيام حزب شيوعى فى فيتنام. وفى عام ١٩٣٠ كانت المنظمة قد نجحت بالفعل فى جذب أعداد كبيرة من المناصرين، وتم تأسيس «الحزب الشيوعى» الذى انضوت تحت رايته مختلف الحركات الوطنية الفيتنامية.

فيتنام والجيوش اليابانية

ظلت فيتنام تابعة لفرنسا لما يقرب من خمسين عاماً متصلة حتى قيام الحرب العالمية الثانية خريف عام ١٩٣٩ عندما هاجمت اليابان أراضيها فى منتصف عام ١٩٤٠ مستغلة هزيمة فرنسا فى الحرب وسقوط باريس فى يد الألمان. وتمكنت الجيوش اليابانية من اجتياح فيتنام وما لبث إن بسطت سيطرتها عليها وعلى باقى دول الهند الصينية (لاوس

وكيمبوديا)، وقامت الجيوش اليابانية بإلقاء القبض على القادة الفرنسيين معلنين إنهاء الاحتلال الفرنسى لفيتنام.

وبهذا تكون أرض فيتنام خلال هذه الفترة قد ضمت كل من القوات الفرنسية واليابانية فى صراع للفوز بها.

المقاومة الفيتنامية «فيت منه»

كانت المقاومة الفيتنامية تحارب الجيوش الفرنسية، وبدخول اليابانيين أصبح على تلك المقاومة أن يحرروا بلادهم من الفرنسيين واليابانيين معاً، وفى عام ١٩٤١ استطاع الزعيم هو شى منه أن يوجد مختلف القوى الوطنية بتكوين رابطة للمقاومة عُرفت باسم «فيت منه» ومعناها عصبة استقلال فيتنام vietnam independce League.

وفى ديسمبر (كانون أول) عام ١٩٤٤ تمكنت قوات «الفيت منه» من تأسيس جيش خاص بها ولاسيما بعد حصولها على كمية كبيرة من الأسلحة التى أمدها بها الحزب الشيوعى الصينى. وقد ظلت فيتنام لسنوات طويلة تحتفل فى ديسمبر (كانون أول) من كل عام بالعيد السنوى لتأسيس الجيش الفيتنامى.

وبدخول القوات اليابانية إلى الأراضى الفيتنامية بدأ دور الولايات المتحدة يظهر فى فيتنام كما سنرى.

الحرب العالمية الثانية
والتدخل الأمريكى فى فيتنام

كانت الولايات المتحدة فى بداية القرن العشرين تتبع سياسة العزلة أو ما عُرف باسم «سياسة الحياد» ومعناها ـ كما هو واضح من اسمها ـ عدم التدخل فى ما يجرى خارج حدود أراضيها فى مقابل ألا تتدخل أى دولة كذلك فيما يخص الشئون الأمريكية. وهى السياسة التى عُرفت باسم «مبدأ منرو» نسبة إلى الرئيس الأمريكى جيمس منرو ـ خامس رؤساء الولايات المتحدة ـ الذى أعلن فى عام ١٨٢٣ أن الولايات المتحدة لا تتدخل فى شئون الدول الأخرى كما أنه لا يحق لأى دولة أن تتدخل فى شئون العالم الأمريكى..

وقد ظلت الولايات المتحدة متمسكة بهذه السياسة حتى بعد أن قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) غير أنها اضطرت إلى التراجع عنها بعد أن تعرضت مصالحها

الاقتصادية للضرب من قبل الألمان أثناء الحرب، فقد بدأ الألمان فى قصف الغواصات والسفن الأمريكية، كما حاصروا الشواطئ الأوربيج مانعين بذلك حركة الملاحة التجارية الأمريكية مما تسبب فى خسارة اقتصادية ضخمة للولايات المتحدة.

وقد نتج عن ذلك أن تدخلت الجيوش الأمريكية فى الحرب، وبتدخلها تغير مسار المعركة لصالح الحلفاء وانتهى الأمر بالهزيمة المرة للألمان وانتصار الحلفاء عليهم، غير أن بانتهاء الحرب العالمية الأولى عادت الولايات المتحدة لعزلتها مرة أخرى.

وفى مطلع سبتمبر (أيلول) ١٩٣٩ قامت الحرب العالمية الثانية، وكانت الولايات المتحدة لاتزال على حيادها لكن سياسة الرئيس الأمريكى روزفلت وقتها كانت لا تتفق مع مبدأ منرو الذى يفرض الحياد التام.

«كانت سياسة الرئيس روزفلت تميل إلى أن على الولايات المتحدة أن تمارس (آزار) دوراً بوليسياً لحفظ النظام الدولى يستند على قوة عسكرية تستطيع أن توفر مستلزمات هذا الدور[١]..».

وفى مارس (آزار) ١٩٤١ أى بعد عام ونصف العام على بداية الحرب العالمية الثانية قدم الرئيس الأمريكى روزفلت للكونجرس مشروعاً بهدف الإفلات من القيود الباقية من تشريع الحياد يطلق عليه اسم «مشروع الإعارة والتأجير» وذلك لاستغلال ظروف الحرب الدائرة فى أوربا من أجل تحقيق مزيد من المكاسب الاقتصادية للولايات المتحدة.

«وبعد نقاش مستطيل أقر الكونجرس المشروع وبمقتضى مواده بدأ يتدفق إلى بريطانيا وحلفائها سيل من الطائرات والدبابات والخامات والمواد الغذائية وغيرها.. وأعقب ذلك إجراءات غير حيادية أخرى كالاستيلاء على سفن المحور وتجميد أموال المحور ونقل ملكية ناقلات النفط لبريطانيا.. ثم الأمر الرئاسى الأمريكى بإطلاق النار على أية غراصات للعدو بمجرد رؤيتها[٢]..».

---

(١) (مبادئ الرؤساء الأمريكان ـ سليم الحسنى).

(٢) (موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ الأن نيفيتر، هنرى ستيل كوماجر).

وبذلك صارت الولايات المتحدة رسمياً حليفاً ومسانداً لكل من إنجلترا وفرنسا ضد دول المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان)، ولكن الموقف تطور سريعاً ففى ديسمبر (كانون أول) ١٩٤١ أعلنت الولايات المتحدة دخولها الحرب رسمياً إثر هجوم يابانى على قاعدة أمريكية شهيرة تسمى «بيرل هاربر» بعد أن تسبب الهجوم فى مقتل ثلاثة آلاف أمريكى وتحطم عدد كبير من الطائرات والسفن الأمريكية.

وغدت الولايات المتحدة طرفاً فى الحرب العالمية تتعامل مع الجيوش اليابانية معاملة العداء فى معركة طاحنة يهدف كل طرف إلى إبادة الطرف الآخر والقضاء عليه.

بداية الدور الأمريكى فى فيتنام

ورغم أن الولايات المتحدة لم تكن قد دخلت الحرب رسمياً بعد عندما دخلت الجيوش اليابانية إلى فيتنام ودول الهند الصينية غير أنها كانت تقف إلى جانب الحلفاء ولذلك فقد أجرت السلطات الأمريكية اتصالاتها لأول مرة بالقيادات الفيتنامية فى هذه الفترة لتدعمها في حربها ضد القوات اليابانية، كما قامت بالمشاركة بعد ذلك فى عمليات إسقاط كميات كبيرة من الأسلحة من الجو ليلتقطها أهالى فيتنام.

وعندما انهزمت اليابان فى الحرب كان إلزاماً عليها أن تنسحب بجيوشها إلى داخل حدودها، وفى أغسطس (آب) ١٩٤٥ وصلت إلى العاصمة الفيتنامية هانوى أول بعثة أمريكية للاشراف على انسحاب القوات اليابانية من فيتنام ومن سائر الدول التى احتلتها القوات خلال الحرب.

.وتقدمت قوات «فيت منه» لتفرض سيطرتها على أجزاء من الشمال الفيتنامى، وسرعان ما قام هو شى منه بإعلان قيام «جمهورية فيتنام الديمقراطية» فى المنطقة الشمالية التى تسيطر عليها الفيت منه، وشكل حكومة مؤقتة تولى فيها رئاسة الوزراء ووزارة الخارجية وأعلن الاستقلال، مما أجبر الإمبراطور الفيتنامى واسمه «باوداى» على التنازل عن العرش.

وكان هذا الإعلان فى نهاية شهر أغسطس (آب) ١٩٤٥ بعد أيام من إلقاء الولايات المتحدة القنابل الذرية على مدن اليابان معلنة نهاية الحرب العالمية التى دامت ست سنوات.

وبسبب المساعدات التى شاركت الولايات المتحدة فى تقديمها لفيتنام أثناء الحرب العالمية واستناداً إلى المبادئ التى أخذت تتردد على ألسنة القادة الأمريكيين كنشر السلام،

وحق الشعوب فى الحرية، اعتبرت الحركة الفيتنامية الولايات المتحدة حليفاً لهم وطرفاً تسعى الحركة لكسبه إلى جانبها.

«أخذ هو شى منه يعمل على كسب تأييد الحلفاء لحكومته على اعتبار أنها الحكومة الشعبية، وفى هذا الاتجاه أقيمت جميعة الصداقة الأمريكية الفيتنامية على أمل أن تفى الحكومة الأمريكية بوعودها خلال الحرب بمساعدة الشعوب المستعمرة فى تقرير مصيرها..[1]»

غير أن الولايات المتحدة لم تستمر طويلاً فى دعمها للشعب الفيتنامى، حيث لم تعترف بداية بالدولة الجديدة التى كونها الفيت منه فى الشمال وأكثر من ذلك سعت الولايات المتحدة جاهدة لعودة السيطرة الفرنسية على فيتنام. ذلك أن القادة الأمريكيين رأوا أن من المصلحة أن يعود الاحتلال الفرنسى لإحكام سيطرته على فيتنام وباقى دول الهند الصينية خوفاً من المد الشيوعى وهو ما يحتاج منا لشىء من التفصيل البسيط.

لماذا فيتنام؟

تبعد فيتنام عن الولايات المتحدة آلاف الأميال ولا تشكل خطراً عليها من أى نوع كما إنها لم تتورط فى أى شىء يمس الولايات المتحدة من قريب أو من بعيد وكذلك الحال بالنسبة لباقى دول الهند الصينية فلماذا هذا الاهتمام الأمريكى الشديد بفيتنام؟ ولماذا تدخلت الولايات المتحدة فى شئون فيتنام لتفرض عليها الاحتلال الفرنسى ثم ليصل الأمر بعد ذلك إلى إشعال فتيل حرب دامت لأكثر من عشرين عاماً؟

الإجابة على هذا السؤال تتلخص فى كلمتين اثنين: (نظرية الدومينو).

نظرية الدومينو

«كان المسيطرون على السياسة الخارجية الأمريكية قد اعتنقوا نظرية الدومينو، وهى النظرية القائلة بأنه إذا سقطت إحدى دول جنوب شرق آسيا فى أيدى الشيوعيين فإن كافة دول المنطقة حتى أقصاها أى إندونيسيا وماليزيا وحتى الهند كذلك ستتهاوى كقطع الدومينو. وهذا ما اقتنع به الرؤساء الأربعة إيزنهاور وكينيدى وجونسون ثم نيكسون[2]...».

(١) (التجربة العسكرية الفيتنامية ـ على فياض).

(٢) (موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ آلان نيفيتر. هنرى ستيل كوماجر).

وفي منطقة جنوب شرق آسيا كان رجال السلطة في الولايات المتحدة يؤمنون إيماناً طاغياً بنظرية الدومينو، وكانت فيتنام هي البوابة التي تصوروا أن سقوطها يعني سقوط باقي الدول بصورة تلقائية.

ولذلك كان السبب الرئيسي وراء التدخل الأمريكي في هذه الدولة الصغيرة هو منع الشيوعيين من السيطرة عليها وكذلك حماية باقي الدول المحيطة.

الولايات المتحدة والخوف من الشيوعية:

يقول جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة في خمسينيات القرن العشرين في كتابه حرب أو سلام[1]:

«لقد بسطت الشيوعية السوفييتية في الوقت الحاضر نفوذها على أكثر من سبعمائة مليون شخص، وبمعنى آخر على ثلث العنصر الإنساني. حدث هذا خلال الأعوام الثلاثة والثلاثين الأخيرة، ولم يسبق لأية دولة من قبل إن كسبت نفوذاً كهذا بمثل هذه السرعة. ومن شأن هذه الانتصارات أن تفقد أصحابها وعيهم وتحملهم على أن يتصرفوا بلا روية[2]..»

ويقول في موضع آخر:

«إن العدو الحقيقي لنا يتمثل في تلك الفئة المتعصبة من الحزب السوفياتي فهي وحدها مصدر القرارات التي تفرض الطاعة العمياء على سائر أعضاء الحزب في جميع أنحاء العالم..[3]».

والحقيقة أن الساسة الأمريكيين كانوا يراقبون في قلق مدى انتشار كتاب ستالين المسمى «القضايا اللينينية» «problems of Leninsm» الذي يعتبر دستور الشيوعية الذي تُرجم وقتها في فترة وجيزة – حسب ما قال وزير الخارجية الأمريكي دالاس وقتها – إلى حوالي ٣٥ لغة، وتم توزيع حوالي ١٨ مليون نسخة منه تناولها أتباع الشيوعية على أنها القواعد التي يعيشون عليها في حياتهم، كما كان المسئولون الأمريكيون ينظرون بذهول لانسياق الدول الشيوعية انسياقاً تاماً للاتحاد السوفييتي.

(١) (حرب أو سلم – جون فوستر دالاس). (٢) توفي دالاس في مايو (أيار) ١٩٥٩.

(٣) المرجع السابق.

يقول الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون واصفاً الدول التى تنتمى إلى الشيوعية:

«عندما كانت موسكو تطلب إليهم أن يقفزوا كانوا يسألون فقط إلى أى ارتفاع يجب عليهم القفز! لقد كانت هذه البلاد واقعة تحت السيطرة العسكرية لحلف وارسو الذى تسيطر عليه موسكو والذى يجيز وجود ٨٠٠ ألف جندى سوفييتى فى أراضى أوربا الشرقية[١]..».

ولذلك كان الخوف من الشيوعية هو الحافز الخفى وراء معظم قرارات الخارجية الأمريكية وكانت تصريحاتهم تُظهر ذلك بوضوح..

«كان أهم ما يشغل صانعى القرار الأمريكى هو منع انتشار الفكر الشيوعى فى العالم تحت شعار (الروس قادمون)[٢]...»

وكان هذا الفزع من الشيوعية عاملاً مشتركاً بين الأمريكيين وحلفائهم فى أوربا، وكما صرح بذلك رجل له وزنه مثل رئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل عندما قال:

«من المؤكد أن أوربا كانت ستصبح شيوعية مثل تشيكوسلوفاكيا، ولكانت لندن قد ضُربت لولا امتلاك الولايات المتحدة للقنبلة الذرية[٣]».

وقد تعاقب على الحرب الفيتنامية كما سنرى أربعة روساء أمريكيين ساروا كلهم فى طريق واحد يسير فيه الواحد منهم ثم يكمله خلفه وهكذا؛ فالرئيس إيزنهاور وإن كان قد رفض مبدأ الحرب إلا أنه بدأ الصراع عندما أرسل المستشارين العسكريين إلى فيتنام لمساندة الجنوب الفيتنامى، ثم تبعه كنيدى الذى صعد القتال، ثم جونسون الذى بدأ المعركة بصورتها الرسمية التى دامت حوالى عشر سنوات أى طوال مدة حكمه هو وخلفه نيكسون.

السلاح الأمريكى يدخل إلى فيتنام

عندما أعلن هو شى منه قيام «جمهورية فيتنام الديمقراطية» فى الشمال الفيتنامى اعترفت الدول الشيوعية بقيادة الصين الشعبية والاتحاد السوفييتى بدولته الجديدة، أما فى الجنوب فقد ساندت فرنسا الإمبراطور الفيتنامى ليكون على رأس حكومة فيتنامية موالية

(١) (أمريكا والفرصة التاريخية ـ ريتشارد نيكسون).

(٢) (مبادئ الرؤساء الأمريكان ـ سليم الحسنى).

(٣) (نقلاً من كتاب حرب أو سلم ـ جون فوستر دالاس).

لها، وبذلك قامت حكومتان على أرض فيتنام فى وقت واحد.

أما الولايات المتحدة ففى الوقت الذى لم تعترف فيه بحكومة الشمال فإنها اعترفت بحكومة الإمبراطور فى الجنوب بل قامت كذلك بمساندة فرنسا بكل قوة للوقوف أمام المقاومة الفيتنامية الضارية، وفى يونيو (حزيران) ١٩٥٠ تسلمت القوات الفرنسية فى فيتنام أول دفعة من السلاح الأمريكى على سبيل المساعدة من الولايات المتحدة.

«وفى السنتين التاليتين ١٩٥١ - ١٩٥٢ تدفقت المساعدات العسكرية الأمريكية من أسلحة وعتاد وأموال، وفى عام ١٩٥٣ توالت البعثات الإدارية والاقتصادية إضافة إلى العسكرية، وبدأت المشاركة الأمريكية للفرنسيين فى الخطط العسكرية الميدانية[1]..» .

«دعمت الولايات المتحدة المجهود الحربى الفرنسى بين عامى ١٩٥١ وعام ١٩٥٤ بمساعدات بلغ مجموعها ما قيمته ٩٤٠ بليون فرنك فرنسى مما غطى فى حينه ٨٠٪ من المصاريف الحربية للقوة الفرنسية المستعمرة[2]..».

«بدأت الولايات المتحدة مساعداتها العسكرية غير المباشرة لفرنسا فى الهند الصينية فى نهاية عام ١٩٥٠. وفى سبتمبر (أيلول) عام ١٩٥١ وقعت الولايات المتحدة اتفاقاً يقضى ببذل المساعدة الاقتصادية المباشرة إلى فيتنام، وفى أكتوبر (تشرين أول) ١٩٥٢ وصلت السفينة الأمريكية رقم ٢٠٠ التى تحمل المساعدات العسكرية إلى سايجون[3]..».

لقد كان السبب وراء كل هذا الدعم من الولايات المتحدة لفرنسا كما قلنا هو مساعدة فرنسا على الصمود أمام القوى الشيوعية التى تتمثل فى قوات «الفيت منه» خوفاً من اجتياح المد الشيوعى لفيتنام وما حولها من الدول.

هزائم فرنسية

واستمرت المقاومة الوطنية الفيتنامية - بعد أن صارت لها حكومة - فى صراعها لمواجهة القوات الفرنسية التى اعترفت بالإمبراطور الفيتنامى المخلوع «باوداى» كحاكم رسمى للبلاد.

(١) (التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض).

(٢) (معجم الحروب - د. فردريك معتوق).

(٣) (غطرسة القوة - السيناتور وليام فولبرايت).

وأشعلت الحرب ضارية بين قوات الفيت منه والقوات الفرنسية، وفى ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٧ أنزلت القوات الفيتنامية التابعة للحكومة الفيتنامية الجديدة أول هزيمة بالقوات الفرنسية.

واستماتت المقاومة الفيتنامية أمام الجيوش الفرنسية المدعومة من الولايات المتحدة، واشتهر رجال المقاومة بالبراعة فى استعمال تكتيك عسكرى معين يقومون فيه بتطويق مواقع الأعداء تطويقاً كاملاً لقطع الطريق على الإمدادات ثم الهجوم على الموقع المطوق لإبادة من فيه.

وبهذا التكتيك نجحت قوات المقاومة فى تطويق القوات الفرنسية فى قلعة تقع فى سهل يُعرف باسم «ديان بيان فو» بقرب الحدود الفيتنامية مع لاوس شمال غرب فيتنام وكان ذلك فى منتصف مارس (آزار) ١٩٥٤ وكانت القوات الفرنسية قد احتلت هذه القلعة وتحصنت بها ست كتائب فرنسية قبل عدة أشهر مضت.

مؤتمر جنيف وهزيمة «ديان بيان فو»

سعياً لحل المشكلة الفيتنامية دولياً عُقد مؤتمر فى جنيف لبحث الخلاف الدائر فى فيتنام وقد بدأ المؤتمر فى ٢٦ إبريل (نيسان) ١٩٥٤ وحضره مندوبون من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وفرنسا وإنجلترا والصين الشعبية بالإضافة إلى ممثلين عن فيتنام الشمالية والجنوبية.

وعندما بدأ المؤتمر كانت القوات الفرنسية لاتزال محاصرة فى الشمال الفيتنامى.

وفى أثناء انعقاد المؤتمر وتحديداً فى ٨ مايو (أيار) ١٩٥٤ استسلمت القوات الفرنسية لقوات الفيت منه بعد حصار دام ٥٤ يوماً خسرت فيه القوات الفرنسية حوالى ١٥٠٠ قتيل من جنودها بخلاف ٤ آلاف جريح.

وقد عرفت هذه المعركة الفاصلة باسم «ديان بيان فو» Dien Bien phu نسبة إلى اسم السهل الذى وقعت فيه.

وبناء على هذه الهزيمة المنكرة تأكدت الحكومة الفرنسية من عجزها عن الصمود فى فيتنام والبلدان المجاورة واضطرت لإعلان انسحابها وأعلنت استقلال كل من فيتنام ولاوس وكمبوديا فى يونيو (حزيران) ١٩٥٤.

ومن الغريب أن نعلم أن الجيوش الفرنسية التى خاضت هذه المعارك مع القوات

الفيتنامية كانت تضم بين صفوفها أعداداً كبيرة من العرب من دول المغرب العربى ممن استعملتهم فرنسا ضمن جيوشها فيما عُرف باسم «الفرقة الأجنبية» حيث كانت بلاد المغرب العربى واقعة تحت الاحتلال الفرنسى فى ذلك الوقت، وقد سقط عدد غير قليل من الضحايا المغاربة خلال هذه الحروب وبخاصة فى المعركة الأخيرة «ديان بيان فو».

تقسيم فيتنام

وبعد إعلان فرنسا خروجها من الهند الصينية استمرت المداولات الطويلة فى «مؤتمر جنيف» حول مصير فيتنام، وانتهى المؤتمر إلى قرار بتقسيم فيتنام إلى قسمين.

وبعد جملة من المفارقات حول من يسيطر على كل قسم استقر الأمر على أن يترك الجزء الشمالى للحكومة الشيوعية، أما الجنوب فقد ساندته الولايات المتحدة.

وقد تم الاتفاق على التقسيم بحيث يفصل خط العرض ١٧ البلدين عن بعضهما البعض على أن تجرى انتخابات عامة فى فيتنام بكاملها للنظر فى أمر إعادة توحيد المنطقتين فى مدة أقصاها سنتين مما أعطى صورة للتقسيم أنه أمر مؤقت.

وبذلك تحولت فيتنام الموحدة إلى دولتين اثنين بموجب مؤتمر جنيف: إحداهما فى الشمال وعاصمتها هانوى والأخرى فى الجنوب وعاصمتها سيجون.

«والتجزئة واحدة من أساليب الاستعمار الجديد الذى يعمل على توهين القوى الحديثة عن الاستقلال عن طريق تفتيت أراضيها.. وفى فيتنام كان التقسيم أبشع وسيلة نفذت فى هذا البلد الصغير لإخضاعه لظروف قاسية تبقيه بعيداً عن إمكانيات التطور والتقدم. والتجزئة تكاد أن تصبح سياسة عامة بعد الحرب العالمية الثانية، فقد قسمت ألمانيا إلى شرقية وغربية وقسمت كوريا إلى شمالية وجنوبية وتقسيم وادى النيل إلى مصر والسودان(١)..».

(١) (تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ـ د. عبد العزيز سليمان نوار، د. محمود محمد جمال الدين)

الله موجود فى الجنوب

وبخلاف التقسيم إلى دولتين نصت قرارات مؤتمر جنيف على وقف إطلاق النار والسماح للسكان الراغبين فى التنقل عبر خط ١٧ الفاصل بين البلدين بالانتقال على أن يكون ذلك خلال ٣٠٠ يوم من الاتفاقية.

وقد تكفلت الولايات المتحدة بعملية نقل مليون مواطن فيتنامى من المسيحيين الكاثوليك ـ نتاج العمليات التبشيرية لعشرات السنين فى فيتنام ـ من الشمال التابع للشيوعيين إلى الجنوب ذى النظام الموالى للولايات المتحدة عبر خط ١٧ الفاصل..

«بعد اتفاقيات جنيف رحل مسيحيو الشمال إلى الجنوب تحت شعار «الله موجود فى الجنوب» وقد قامت الولايات المتحدة بتغطية نفقات تلك الحملة التى شملت مليون مواطن استغرقت ١٠٠ يوم واستخدمت فيها ١٩ طائرة و ٤١ سفينة وتكلفت ١١٢ مليون دولار[١]».

وكذلك نص «مؤتمر جنيف» على بعض القواعد لمنع اشتعال الحرب فى فيتنام كان منها تحريم إقامة قواعد عسكرية لأى دولة أجنبية أو الانضمام إلى أحلاف عسكرية وكذلك دخول أية قوات جديدة أو ذخائر أو معدات حربية إلى فيتنام.

ولكن الولايات المتحدة التى اعتبرت فيتنام الجنوبية بمثابة الحاجز الذى يصد الشيوعية ويمنع انتشارها فى جنوب شرق آسيا لذا فقد امتنعت الولايات المتحدة عن التوقيع على قرارات المؤتمر وأقدمت على خرق كل هذه القواعد على الرغم من وضوحها واعتمادها فى وثيقة دولية لها ثقلها. وكانت الخطوة الأمريكية الأولى هى إقامة تحالف لدول جنوب شرق آسيا ووضع فيتنام الجنوبية تحت حمايته بما يخرق نصوص الاتفاقية بصورة صريحة..

«قبل انتهاء عام ١٩٥٤ أقامت الولايات المتحدة منظمة معاهدة جنوب شرق آسيا (سياتو) وهو تحالف مناهض للشيوعية وضمت المعاهدة استراليا بريطانيا وفرنسا ونيوزلاندا وباكستان والفلبين وتايلاند والولايات المتحدة الأمريكية[٢]...».

---

(١) (التجربة العسكرية الفيتنامية ـ على فياض).

(٢) (تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ـ د. سليمان نوار).

الانقلاب الفيتنامى الموالى
للولايات المتحدة فى الجنوب

كانت الدولة الفيتنامية فى الجنوب يحكمها الإمبراطور الفيتنامى باوادى، لكن الولايات المتحدة ساندت انقلاباً عسكرياً ضده قاده رئيس الوزراء فى حكومة باوادى «نجو ديم» الموالى للولايات المتحدة. فاستولى على الحكم وأعلن نفسه رئيساً لجمهورية فيتنام الجنوبية.

وعلى إثر قيام حركة موالية لها أقدمت السلطات الأمريكية على تسليح فيتنام الجنوبية فى العلن.

«قدمت الولايات المتحدة إلى حكومة الرئيس ديم من المساعدة العسكرية مبلغ ملياران و ٧٠٠ مليون دولار، وأرسلت إلى فيتنام الجنوبية عدة مئات من الأطنان من الأسلحة والمواد الحربية وعدداً كبيراً من الطائرات.. ودربت واشنطن خلافاً لاتفاقات جنيف جيشاً كبيراً لحكومة ديم..[1]».

وساندت الولايات المتحدة نظام الحكم فى الجنوب بكل قواها وكان من مصلحتها أن تبقى فيتنام الجنوبية قوية ومستقرة لتستطيع التصدى للفكر الشيوعى فى الشمال، وأن تختفى تماماً أى بوادر لأى حركة ثورية فى البلاد.

ورغم مرور العامين المقررين لإجراء الانتخابات فى الشمال والجنوب إلا أن حكومة الجنوب رفضت إجراء الانتخابات العامة خوفاً من فوز الحزب الشيوعى الذى تزايد عدد أنصاره، واكتفت بعمل انتخابات فى الجنوب فحسب..

«قامت الولايات المتحدة ونظام ديم فى جنوب فيتنام فى الرابع من شهر مارس (آزار) ١٩٥٦ بخرق جديد لاتفاقية جنيف. تم فى فيتنام الجنوبية تنظيم انتخابات انفصالية، وأعربت حكومتنا واشنطن وسايجون (عاصمة فيتنام الجنوبية) عن مخاوفهما من نتائج الانتخابات العامة، وعرفا بشكل مسبق أن نظام سيجون سيفشل ويهزم فى هذه الانتخابات[2]..»

(١) (فيتنام الجنوبية تواجه العاصفة ـ محيى الدين فوزى، إبراهيم عارف).

(٢) (الأخوة كنيدى ـ أ. جروميكو، أ. كو كوشين).

جبهة التحرير الوطنية «الفيت كونج»

كان التواجد الأمريكى فى الجنوب بمثابة احتلال جديد للبلاد، ولذلك تعالت أصوات الثائرين فى الجنوب الفيتنامى الرافضين للاحتلال الأمريكى الذى حل محل الاحتلال الفرنسى وطالب الثائرون بتنفيذ بنود مؤتمر جنيف.

وأخذت المقاومة مظهراً سلميا فى البداية غير أن تردى الأحوال وتأزم الموقف دفعا المقاومة المسلحة للظهور.

وبالفعل تكونت فصائل من المحاربين لمجابهة الاحتلال الأمريكى الجديد، ومع بداية عام ١٩٦٠ استطاعت المقاومة الفيتنامية فى الجنوب تحقيق انتصارات متتالية كما تمكنت من أن تبسط سلطانها على بعض المناطق الريفية.

ومع نهاية العام عقدت قيادات الحركة الشعبية فى الجنوب مؤتمراً كان من نتائجه الإعلان عن قيام منظمة جديدة ضمت مختلف القوى والأحزاب الوطنية فى خطة عمل موحدة للمقاومة الشعبية، وقد عرفت هذه المنظمة باسم جبهة التحرير الوطنية كما عرف جيشها باسم «جيش التحرير» غير أنها اشتهرت باسم آخر هو «الفيت كونج».

ولعل من الغريب أن بعض المصادر قد ذكرت أن الأمريكيين كانوا يطلقون هذا الاسم على سبيل السباب لكل ثائر على النظام الموالى لهم فى الجنوب وأن معناها اللغوى هو «الفيتنامى القذر»! وعلى الرغم مما يحمله الاسم من تحقير وسب فإنه التصق بالمنظمة الجديدة ونسى الناس معناه، وبمرور الوقت وكثرة تداوله صار الجميع يظنون أنه الاسم الرسمى للمنظمة.

وقادت جبهة التحرير الوطنية «الفيت كونج» حرب العصابات ضد الحكومة الموالية للاحتلال الأمريكى مما دفع الولايات المتحدة إلى التحرك لمواجهتها.

الرئيس كيندى يصعد الموقف

وفى يناير (كانون ثانى) ١٩٦١ تسلم الرئيس الأمريكى جون كنيدى إدارة البيت الأبيض خلفاً للرئيس إيزنهاور، وقد أمر بسرعة تشكيل لجنة خاصة بفيتنام لوضع التصورات لبرنامج الأعمال السرية الأمريكية بفيتنام كما بادر بإرسال نائبه ليندون

جونسون (١). ممثلاً شخصياً عن الرئيس الأمريكي إلى جولة في الهند الصينية يبدأها بفيتنام ليطلع الرئيس الفيتنامي على التصور الأمريكي للتصدي للعصابات الشيوعية.

وفي ١٣ مايو (أيار) ١٩٦١ صدر بيان مشترك بين البلدين - فيتنام الجنوبية والولايات المتحدة - تضمن النقاط التي اتفق عليها الطرفان وعلى رأسها شرعية التدخل الأمريكي..

«وهكذا حصل الأمريكيون على موافقة مباشرة من أعلى سلطة دستورية في فيتنام الجنوبية على تحويل أراضيها إلى حقل تجارب لتكتيكات الجيش الأمريكي في الحرب المضادة للعصابات أو حقل تجارب ميدانية على حد تعبير الجنرال هاركيتر المشرف على المساعدة العسكرية الأمريكية لفيتنام».

فيتنام.. قاعدة عسكرية أمريكية:

وفي مواجهة حرب العصابات الفيتنامية قامت السلطات الأمريكية بتعزيز قوات حكومة الجنوب الفيتنامي، بالدعم المادي، والتقنية التكنولوجية لتمكينها من التصدي للثوار، وكانت الخطوة الأولى المتفق عليها هي زيادة عدد أفراد الجيش الفيتنامي وقوات البوليس في الجنوب.

ورغم أن عدد المستشارين العسكريين الأمريكيين بلغ في نهاية عام ١٩٦٠ ألفي شخص إلا أن هذا العدد لم يعد كافياً للقيام بالمهمة، وبذلك تحولت فيتنام بصورة صريحة إلى قاعدة عسكرية أمريكية. وعلى ذلك فقد تم إرسال أعداد مضاعفة من المستشارين والخبراء والمدربين الأمريكيين، بالإضافة إلى القوات التي طلبتها الولايات المتحدة من الدول الحليفة لها لتقديم العون لها..

«وفي عام ١٩٦٢ كان عدد العسكريين الأمريكيين العاملين في فيتنام الجنوبية قد ارتفع من أربعة آلاف في أوله إلى ٨,٥ ألف في أواسطه إلى ١٢ ألف في نهايته حسب البيانات الأمريكية(٢)...».

واجتذبت هذه الأحداث المتدفقة التي تجري على أرض فيتنام أعداداً كبيرة من الصحفيين الباحثين عن الخبر والمعلومة سعياً وراء السبق الصحفي، وكان من هؤلاء

(١) صار جونسون رئيساً للولايات المتحدة بعد أن اغتيل كنيدي في ٢٢ نوفمبر (تشرين ثان) عام ١٩٦٣.
(٢) (التجربة العسكرية الفيتنامية - علي فياض).

الصحفيين صحفى شاب ـ نيوزلندى المولد ـ يعمل كمراسل صحفى لوكالة الأسوشيتدبرس الأمريكية جاء بحثاً عن الجديد من أخبار هذه الحرب العجيبة التى تخوضها جيوش الولايات المتحدة فى الخفاء على بعد آلاف الأميال من بلادهم.

هذا الصحفى اسمه بيتر أرنيت، وقد وصفته كثير من المصادر الغربية بأنه أشهر مراسل عسكرى فى القرن العشرين على الإطلاق.

وقد وصل أرنيت إلى فيتنام فى عام ١٩٦٢ ولم يكن فى نيته أن يمكث بها طويلاً لكنه فى الحقيقة بقى بها لأكثر من عشر سنوات حتى شهد بنفسه المشهد الأخير من المعركة[1].

يقول أرنيت فى مذكراته:

«عندما ذهبت إلى فيتنام فى عام ١٩٦٢ كانت أمريكا فى ذلك الوقت تنفق ما يزيد على مليون دولار يومياً فى محاولة لكسب حربها هناك، وكان التفاؤل يسود الأمريكيين الذين كانوا يحدثون أنفسهم بأنهم سيكسبون الحرب فى نهاية عام ١٩٦٤ لكن عندما تحدثت إلى بعض العسكريين المتخصصين فى الشئون الاستراتيجية الذين كانوا فى سايجون فى ذلك الوقت وجدتهم مقتنعين بأن الحرب المكلفة التى تخوضها أمريكا فى فيتنام قد تنقلب إلى حرب على نطاق أوسع بكثير مما هى عليه».

ولكن الساسة فى واشنطن لم يكونوا على وعى كامل بما يحدث فى فيتنام..

«ظن كنيدى أن إنهاء الحرب لصالحه يكمن فى المزيد من القوات، ووفق هذا التصور زاد حجم القوات الأمريكية فى فيتنام فازدادت المشكلة تعقيداً لتصبح فيتنام بعد ذلك كابوس البيت الأبيض الثقيل[2]..».

أما هذا العدد من المستشارين والعسكريين فقد كان منوطاً به أن يقوم بمهمة محددة وهى ما أطلقت عليه الولايات المتحدة اسم «الحرب الخاصة» The Special War ولنتعرف الآن على ملامح هذه الحرب الأمريكية الخاصة جداً.

---

(١) حصل أرنيت على جائزة «بوليتزر» لتغطية الحرب الفيتنامية، ومن الطريف أن نذكر أن أرنيت ارتبط بأهل فيتنام حتى إنه تزوج من فيتنامية. واستمر أرنيت من بعدها يتبع الجيوش الأمريكية فى حروبها، فكان من القلائل الذين قاموا بتغطية الضربة الأمريكية الأولى على العراق أوائل التسعينات، ثم أخيراً حرب احتلال العراق عام ٢٠٠٣.

(٢) (مبادئ الرؤساء الأمريكان ـ سليم الحسنى).

العمليات العسكرية الأمريكية
فى الجنوب الفيتنامى

هدفت العمليات العسكرية للقوات الأمريكية فى الجنوب الفيتنامى إلى سحق المقاومة الفيتنامية وتصفية الجيوب الموالية لها وبخاصة فى القرى الفيتنامية.

وكان وزير الدفاع الأمريكى يقوم بنفسه بمهمة الإشراف على هذه العمليات العسكرية التى أطلق عليها اسم عمليات التنظيف «Mopping up operation».

وقد استخدمت الفرق الأمريكية لتنفيذ العمليات الطائرات والآليات الحديثة والمتفجرات كما استخدمت كذلك الغازات السامة والكيماويات.

وكانت عمليات التنظيف تتم بحيث تقوم القوات الأمريكية بالتعاون مع قوات الحرس المدنى الفيتنامى بمهاجمة القرى التى يعرف عنها الولاء للمقاومة الشعبية فيهدمون البيوت ويجمعون القرويين تمهيداً لترحيلهم إلى ما يشبه معسكرات الحرب التى يطلق عليها اسم القرى الاستراتيجية Strategic Hamlets وكانت بريطانيا قد سبق لها أن استخدمت هذه الطريقة فى ماليزيا، وهى عبارة عن أماكن واسعة محاطة بالأسوار والأسلاك الشائكة يتم ترحيل القرويين إليها وتجميعهم فيها تحت السيطرة بعد ترويعهم وتخويفهم، بحيث يصبح الخروج خارج الأسلاك هو تهمة فى حد ذاته تستحق الإطلاق الفورى للنار من غير استفسار ولا تمهل.

وعلى مدى عام ١٩٦٢ تكررت هذه العملية بمنتهى القسوة والعنف فى مئات القرى الفيتنامية بخلاف العمليات العسكرية الأخرى، وربما كانت أرقام الضحايا هى أكثر ما يدل على حجم هذه العمليات ووحشيتها.

«العمليات الكثيفة والمتلاحقة التى تعرضت لها المناطق المحررة وشبه المحررة فى الجنوب أدت إلى خسائر فادحة بشرية واقتصادية ومادية بين السكان وكانت أقرب إلى حملات التصفية العقاب الجماعى، بحيث خلفت وراءها حوالى ٨٠ ألف قتيل و ٢٣ ألف جريح، ٢٧٥ ألف معتقل وموقوف موزعين على ٨٧٤ معتقل ومركز احتجاز.. إلا إن القيادة الأمريكية لم تعترف سوى بمقتل ثلاثين ألف فيتنامى حتى نهاية عام ١٩٦٢»[١].

(١) (التجربة العسكرية الفيتنامية – على فياض).

ولم تكتف الولايات المتحدة بإرسال المحاربين إلى فيتنام ولكنها أرسلت كذلك ذوى الخبرات الخاصة، ففى معسكرات خاصة تلقت مجموعات من الجنود تدريبات من نوع خاص للقيام بمهمات غير معتادة تتناسب مع المعركة.

«تلقى مئات الجنود تدريبات خاصة على الحرب التخريبية، وتعلموا كيفية الاندماج بالسكان وصولاً إلى تغيير آرائهم وأثارهم ضد العدو.. وقام كنيدى بزيارتهم وقلدهم بنفسه «القبعة الخضراء» التى دخلت التاريخ منذ ذلك الحين.(١)»

«وأصدر كنيدى أوامره السرية بإرسال خمسمائة رجل من ذوى الباريهات الخضراء إلى فيتنام، وهم مجموعة من المقاتلين ذوى الكفاءة العالية المدربين على سحق الثوار(٢)»

أما أرنيت الذى أتيحت له فرصة قضاء عدة أيام برفقة وحدة من كتيبة ذوى الباريهات الخضراء فيقول عنها:

«بدأت أعمالها القتالية ذات الطبيعة الخاصة والسرية تحت إشراف وكالة الاستخبارات الأمريكية سى آى إيه، وكانت مستقلة بشكل عام لا تتبع أى سلطات عسكرية أو مدنية.. كانت كتيبة ذوى الباريهات الخضراء مصدر زهو لإدارة الرئيس الأمريكى كنيدى الذى قام بدعمها بالمال لقيامها بعمليات قتالية باستخدام الطائرات المحورية فى الإنزال بالمظلات، وببعض العمليات العسكرية الأخرى غير التقليدية(٣)..»

أما فيما يخص المساعدات الخارجية فقد استجابت كل من بريطانيا وتايوان والفلبين كما أوفدت استراليا ونيوزلندا بعد ذلك عدداً من المستشارين العسكريين..

وكانت الولايات المتحدة فى ذلك الوقت تعتبر أن إحراز أى نصر فى فيتنام فى حد ذاته هو هدف للقيادة الأمريكية.

«وقال الرئيس كنيدى بعد لقائه بالرئيس خروتشوف فى جنيف ١٩٦١ لأحد الصحفيين المقربين إليه وهو جيمس ريسون أنه يرغب فى عرض عضلات أمريكا القوية فى فيتنام. وأيد الجهاز الحكومى فكرة الرئيس، وقام عضو مجلس الأمن القومى روبيرت كومير

(١) (تاريخ العالم المعاصر - بيار ميكال).

(٢) (موجز تاريخ الولايات المتحدة - آلان نيفيتر. هنرى ستيل كوماجر).

(٣) (مذكرات بيتر أرنيت).

بتحضير خطة لتوسيع نطاق التدخل الأمريكى فى فيتنام. وقال هذا المسئول: إنه من المهم بالنسبة للإدارة الأمريكية الجديدة إحراز نصر ساحق على الشيوعية فى فيتنام[1]..».

وفى المقابل تصدت قوات جيش التحرير الجنوبى ـ الفيت كونج ـ لهذه الهجمة الشرسة بكل ما تملك من قوة.

«لجأ العسكريون الفيتناميون فى هذه المرحلة الدفاعية إلى تكتيكات مختلفة منها الإكثار من الكمائن المتعددة الأحجام على السواحل ومفارق الطرق والممرات الإجبارية، والاعتماد بشكل كبير على الفخاخ والمصائد والخوازيق البامبو والألغام عندما تتوفر[2]..»

وكانت سياسة جيش التحرير ـ الفيت كونج ـ فى القتال تعتمد أول الأمر على الكر والفر، فكانوا يشنون الهجوم المباغت ثم يرتدون سريعاً إلى مواقعهم.

عملية «آب باك»

وفى يناير (كانون ثانى) ١٩٦٣ قامت القوات الفيتنامية التابعة للجيش بصحبة الضباط المستشارين الأمريكيين بهجوم على موقع من مواقع جيش التحرير يسمى «آب باك» للاستيلاء عليه وأشترك فى القتال ١٥ طائرة غير أن الهجوم أسفر عن كارثة موجعة عندما قتل أفراد كتيبة جيش التحرير ثلاثة من الأمريكيين وأوقعوا بمائة من أفراد القوة الفيتنامية التابعة للجيش كما أصابوا ١٤ طائرة أمريكية، أى أن طائرة واحدة هى التى نجت من المعركة! وكانت صفعة شديدة أصابت القادة الأمريكيين فى مقتل.

وقد شهد المراسل أرنيت أن الجنرالات الأمريكيين أعترفوا بأن قوات جيش التحرير نجحوا فى تسجيل أول صمود لهم على أرض المعركة وردوا بالمثل على النيران المصوبة إليهم. وقد عُرفت هذه العملية باسم «آل باك».

ونشطت حركة المقاومة، وزاد عدد المناصرين لها، وكان من العوامل التى ساعدت على نمو حركة الفيت كونج أن الجنوب الفيتنامى تعرض لفترة من الاضطراب مما شغل الحكومة عن ملاحقتهم.

---

(١) (الأخوة كنيدى ـ أ. جروميكو، أ. كو كوشين).

(٢) (التجربة العسكرية الفيتنامية ـ على فياض)

الاضطرابات الداخلية
فى فيتنام الجنوبية

كانت الولايات المتحدة تقدم لحكومة الجنوب الفيتنامى كل ما يمكنها من صور الدعم لتضمن لها الاتستمرار والاستقرار غير أن الحكومة الفيتنامية على الرغم من ذلك كله لم تتمكن من تحقيق الاصتقرار الداخلى للبلاد؛ فقد كان الحاكم ديم مسيطراً على الدولة بصورة متعسفة، وكان يشغل منصب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وقائد الجيش ففى آن واحد، أما الوظائف الكبرى فقد قصرها على أهله والمقربين منه.

ومما زاد الأمور سوءً أنه كان يعتنق هو وأسرته المسيحية الكاثوليكية على خلاف أغلبية الجنوب الفيتنامى الذين يتبعون البوذية (٧٠٪ بوذيين مقابل ١٠٪ كاثوليك)، وقد قام باضطهاد الأغلبية البوذية ومنعهم من ممارسة طقوسهم أو الاحتفال بأعيادهم وأغلق معابدهم كما أعتقل كل من اعترض منهم.

وفى ظل استخدام القمع مع البوذيين بدأ الرهبان البوذيون فى مارس (آزار) نوع غريب من الضغط على الرأى العالمى؛ فقد قام عدد منهم – وكان منهم راهبة – بإحراق أنفسهم أحياء فى الميادين الكبرى أمام جموع الناس وكاميرات الصحفيين احتجاجاً على منعهم من ممارسة الشعائر البوذية.

وعلى الرغم من أن هذه الطريقة لم تفلح فى وقف أعمال القمع التى تمارسها الحكومة ضد البوذيين بل أججتها إلا إنها أشعلت مظاهرات الاحتجاج فى الشوارع كما نجحت فى جذب أنظار العالم إلى ما يحدث فى فيتنام الجنوبية مما أدى فى النهاية إلى استنكار دولى واسع المدى.

الانقلاب الفيتنامى الثانى فى الجنوب

وفى أول نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٦٣ حدث الانقلاب الثانى فى الجنوب على الرئيس الفيتنامى «ديم»[١] وأيدت السلطات الأمريكية الانقلاب الجديد، وقررت دعم الحكومة الجديدة فى الوقت الذى اتهمتها أكثر من جهة بتدبير الانقلاب فى الخفاء، فقد وصل التوتر بين الولايات المتحدة وحكومة ديم إلى منتهاه، وكانت جميع التصريحات الأمريكية قبيل هذا الانقلاب تنتقد النظام الفيتنامى وتهدد حكومة الرئيس ديم بتخفيض حجم المساعدات الأمريكية لسايجون لدرجة أن إدارة الرئيس الأمريكى كيندى أعلنت عن البدء بسحب الألف الأولى من المستشارين الأمريكيين كمقدمة لانسحاب كلى للمدد الأمريكى[٢].

أما هذا الإنقلاب فقد كان بمثابة المقدمة، ثم توالت بعده الانقلابات فى الجنوب الفيتنامى بعد ذلك حتى بلغ عددها سبعة انقلابات حتى منتصف عام ١٩٦٥.

وقبل أن ينتهى شهر نوفمبر (تشرين ثان) اغتيل الرئيس الأمريكى كنيدى، وتولى نائبه ليندون جونسون رئاسة الدولة خلفاً له.

الرئيس جونسون والبداية الرسمية للمعركة

كانت القوات الأمريكية قد أعلنت الحرب بالفعل فى الجنوب الفيتنامى فى فترة رئاسة كنيدى رغم محاولتهم إخفاء هذه الحقيقة. وكما يقول المراسل الصحفى بيتر أرنيت:

«وبالرغم من أن المسئولين السياسيين الأمريكيين فى عام ١٩٦٢ كانوا قد اتفقوا على صحة قرار الدخول فى حرب فيتنام إلا أننا فى تغطيتنا الإخبارية للحرب كان علينا أن نتفهم أن إدارة الرئيس الأمريكى كنيدى بدأت الحرب فى فيتنام الجنوبية دون الإعلان عن ذلك فى محاولة من الحكومة الأمريكية لإخفاء التصعيد فى عدد القوات والمعدات التى تسافر إلى الحرب وللتمويه على الأعباء الثقيلة المتزايدة التى كان على الولايات المتحدة أن تحملها على عاتقها من أجل أن يكون أداؤها على الوجه الأكمل[٣]..»

---

(١) «يصعب استبعاد وجود أصابع أمريكية خلف هذا الانقلاب وبخاصة بعد أن أوردت وكالات الأنباء خبر زيارة خاطفة قام بها صباح يوم الانقلاب القائد العام للقوات الأمريكية فى المحيط الهادى لديم».

(٢) (فيتنام الجنوبية تواجه العاصفة ـ محيى الدين فوزى، إبراهيم عارف).

(٣) (مذكرات بيتر أرنيت).

وبينما كان حجم الجيوش الأمريكية يتضخم فى الجنوب الفيتنامى يوماً بعد يوم فقد كان للولايات المتحدة أكثر من مدمرة فى المحيط الهادى تطوق الشواطئ الفيتنامية شمالاً وجنوباً، وطائراتها تحوم فى سماء فيتنام فى حالة من التأهب كأنما تبحث عن مبرر ـ كاف أو غير كاف ـ لتنقض على فيتنام الشمالية الموالية للشيوعية، وسرعان ما اشتعل الفتيل بالفعل..

فقد دخلت مدمرة أمريكية إلى المياه الإقليمية لفيتنام الشمالية فى تحرش واضح بالقوات الفيتنامية التى أطلقت بدورها على المدمرة طوربيداً فيما عُرف بعد ذلك باسم «حادثة تونكين» وذلك لأنها وقعت في الخليج المعروف باسم «خليج تونكين».

وكانت هذه هى البداية الرسمية للمعركة فى فيتنام والتى ظن جنرالات البنتاجون أنهم سيحسمونها فى عدة أسابيع أو قد تمتد إلى بضعة أشهر على الأكثر غير أنها فى الحقيقة استمرت لسنوات طوال.

معركة الجيوش الأمريكية في فيتنام

كانت

حادثة تونكين ٤ أغسطس (آب) عام ١٩٦٤ هي البداية الحقيقية للمعركة، وبعدها بدأ القصف الجوي والغزو البري والهجوم البحري و.. و..

وفي أعقاب حادثة تونكين حصل الرئيس الأمريكي على قرار من الكونجرس بتفويضه في الرد على أية أخطار تتعرض لها البواخر الأمريكية في المنطقة الآسيوية باعتبار أنها حالة من الطوارئ تستدعي السرعة في التصرف. وكما يقول السيناتور الأمريكي وليام فولبرايت:

«لقد كان قرار السابع من أغسطس (آب) عام ١٩٦٤ بمثابة شيك على بياض وقعه الكونجرس في جو من العجلة والأهمية القصوى حال دون المناقشة في ذلك الوقت. ومنذ إصداره حولت حكومة جونسون الصراع الفيتنامي من حرب أهلية اشترك فيها بعض المستشارين الأمريكيين إلى حرب عالمية كبيرة قواتها المقاتلة الأساسية هي الجيش الأمريكي بمئات الآلاف من جنوده. وكلما قدم أعضاء الشيوخ الأسئلة للحكومة حول التصعيد المتتابع للحرب لوحت في وجوهنا بالشيك الموقع على بياض في ٧ أغسطس (آب) ١٩٦٤ كدليل على التأييد المطلق من جانب الكونجرس[١]..».

معركة لم تعلن رسمياً

لأننا لا نعيش في الغابة ولا تحكمنا شرائعها فمن الطبيعي أن أي دولة تخرج جيوشها من حدود بلادها وتقتحم حدود دولة أخرى تصول فيها وتجول، وتضع خططاً حربية وتقصف أهدافاً وتشن حروباً و.. و.. فإنه يتحتم عليها قبل أن تفعل كل هذا أن تعلن الحرب على هذه الدولة بصورة رسمية على أن ترفق بهذا الإعلان أسباب معلنة أمام العالم حتى ولو كانت هذه الأسباب «غير وجيهة» في نظر البعض أو حتى في نظر الجميع

(١) (غطرسة القوة ـ السيناتور وليام فولبرايت)

لكن الحقيقة أن الولايات المتحدة رغم قصفها لفيتنام الشمالية عقب واقعه خليج تونكين فإنها لم تعلن الحرب رسمياً عليها واكتفى الرئيس الأمريكى جونسون بالموافقة التى حصل عليها من الكونجرس بشأن اتخاذ الإجراءات التى تراها الحكومة ضرورية للرد على أى عدوان على بواخرها، وكان مما تردد بعد ذلك ونشرته الصحف أن الرئيس الأمريكى لم يشأ أن يعلن الحرب بصورة صريحة لأنه كان يخشى أن يؤدى ذلك إلى رد فعل قوى سواء من الاتحاد السوفييتى أو من الصين أو من كلاهما معاً.

وبناء على هذه الموافقة السابقة من الكونجرس صدر الأمر فى اليوم التالى بقصف شواطئ فيتنام الشمالية من غير إعلان رسمى للمعركة أمام العالم، لكن الأمر لم يقتصر على القصف الجوى للشواطئ فحسب.

«وبعد ثلاثة أشهر ونصف بدأت طائرات ب ٥٢ العملاقة تغير على عمق البلاد، على عاصمة جمهورية الشمال (هانوى) وعلى مدنها الرئيسية[1]..».

وقام الرئيس الأمريكى جونسون باستبدال القائد العام فى فيتنام وعين مكانه الجنرال.

«وليم ويستمورلاند» قائداً للمعركة، وكان هذا الجنرال قد بزغ نجمه أثناء الحرب العالمية الثانية كقائد لفرقة المظليين، وفى تقييم الاختيار اعتبر البعض أن الولايات المتحدة أرسلت إلى فيتنام أفضل محارب لديها.

رد الفعل الشيوعى

كان الرئيس الأمريكى يخشى إن هو أعلن الحرب رسمياً على فيتنام الشمالية أن يعلن الإتحاد السوفييتى أو الصين الحرب على الولايات المتحدة، ولكنه وإن لم يعلن الحرب رسمياً فقد أعتدى بالفعل على دولة شيوعية، ورداً على هذا العدوان تعالت أصوات كل منهما لمناصرة فيتنام الشمالية..

وسنرى بعد ذلك أن كلا منهما قد نفذ تهديده وأصر عليه حتى النهاية.

---

(١) (معجم الحروب ـ د. فردريك معتوق).

«أدى العدوان الأمريكى الأخير ضد فيتنام إلى تأزم الوضع الدولى. فقد أشار رئيس مجلس الوزراء السوفييتى إلى أن الاتحاد السوفييتى سيقدم إلى حكومة هانوى المساعدات اللازمة فى حال تعرض جمهورية فيتنام الديمقراطية إلى اعتداءات أمريكية جديدة، وأعلنت حكومة الصين الشعبية بعد عدة أيام من هذا التصريح عن تأييدها الكامل لحكومة هانوى ضد العدوان الأمريكى..».

الجيوش الأمريكية تفتح نيرانها على الشمال الفيتنامى

«وفي فبراير (شباط) ١٩٦٥ أمر الرئيس الأمريكي جونسون بالقصف الجوى المتواصل لفيتنام الشمالية، ومع منتصف ١٩٦٦ وصل عدد الغارات الجوية إلى مائة غارة يومياً خلفت دماراً مادياً وبشرياً رهيباً، كما ارتفع عدد القوات الأمريكية فى البر الفيتنامى إلى حوالى ٢٣ ألف جندى إلا إن هذه القوات لم تتمكن من الصمود أمام هجمات الفيت كونج المدعومة بقوات فيتنام الشمالية[1].».

«وبعد أن صرح الرئيس بقوله: إننا لا نسعى لتوسيع دائرة الحرب إذا بالغارات الجوية المجنونة تتواصل على مدى ثلاثة أعوام متتالية. وأصبح العديد من المناطق السكنية الضخمة فى فيتنام الجنوبية مناطق مستباحة من حق الطيران الأمريكى أن يقصف فيها أى شىء «يتحرك».. وقد صرح أحد مساعدى وزير الدفاع الأمريكى بقوله: كنا نواصل القصف ملتزمين بشعار أنه لكى نقضى على قوات الفيت كونج فإنه يلزم دك كل القرى وسحق كل الغابات، ثم يستوى بعد ذلك سطح أرض فيتنام كلها بالأسفلت[2]».

«استخدمت الطائرات الأمريكية الأسلحة الجرثومية وكذلك النابالم وبلغت طلعات الطائرات الأمريكية ٣٦٠٠ فوق أرض فيتنام الشمالية بشهر إبريل (نيسان) ١٩٦٥.. إلى ٤٨٠٠ طلعة بشهر يونيو (حزيران)..».

(الصراع على العالم ـ جان النشتاين).

وكانت المقاومة الفيتنامية التى تزودت بالسلاح السوفيتى والعتاد الصينى تقاتل فى صلابة وترد الصاع صاعين للقوات الأمريكية..

«الشهور الأولى من عام ١٩٦٥ شهدت تصعيداً ناجحاً فى عمليات الثوار حيث بلغت نشاطاتهم العسكرية حوالى أربعة آلاف وثلاثمائة اشتباك وهجوم.. وكما جاء فى بيان القيادة العسكرية للجبهة فإن ١١١ طائرة دمرت أو أسقطت[3]».

كما نجح الثوار فى مهاجمة عدد كبير من القرى الاستراتيجية التى احتجز فيها الأمريكان القرويين الفيتناميين وقاموا بتدميرها..

(١) (موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر ـ د. ميلاد أ. المقرحى).

(٢) (موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ آلان نيفيتر. هنرى ستيل كوماجر).

(٣) (التجربة العسكرية الفيتنامية ـ على فياض).

السعى الأمريكى للمفاوضات

ومع توالي انتصارات الثوار وزيادة عدد الضحايا الأمريكان بصورة مستمرة تزايد الجدل فى الولايات المتحدة حول جدوى الاستمرار فى المعركة مما دفع الرئيس الأمريكى جونسون إلى وقف القصف الجوى لفيتنام الشمالية فى ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٥ ـ أى بعد عام ونصف تقريباً من بداية المعركة ـ فى محاولة لإجراء مفاوضات غير أن حكومة فيتنام الشمالية وجبهة التحرير الوطنية (الفيت كونج) لم يرحبا بالمبادرة لعدم جدوى المفاوضات إلا بشروط أربعة:

«استقلال ووحدة فيتنام وانسحاب القوات الأمريكية، امتناع فيتنام الشمالية والجنوبية عن المشاركة فى حلف عسكرى مع بلد أجنبى، تسوية شئون فيتنام الجنوبية بواسطة شعب هذا البلد، إعادة توحيد فيتنام بواسطة طرق سلميه من قبل شعب المنطقتين دون تدخل أجنبى[1]..».

وقد كانت هذه الشروط الأربعة بمثابة رفض للدخول فى مفاوضات عقيمة، وفى نفس الوقت شددت قوات الفيت كونج من هجماتها فى الجنوب، كما قامت فرق الكوماندور الفيتنامية بتدمير الطائرات الأمريكية القابعة فى قواعدها بالقنابل اليدوية.

فما كان من الولايات المتحدة إلا أن عاودت القصف من جديد بعد أقل من شهرين فقط على وقف القصف وبصورة أشد ضراوة من ذى قبل.

«وعادت أخبار القصف المدفعى تهدر عبر موجات الإذاعة فى العالم اعتباراً من ٣١ يناير (كانون ثانى) ١٩٦٦ ارتفعت حدة الاحتجاجات، وأبدى نصف أعضاء مجلس الشيوخ استياءهم من استمرار الحرب، واقترح روبرت كنيدى شقيق الرئيس السابق التفاوض مع الشيوعيين، وتزايدت عمليات رفض الخدمة العسكرية والفرار من الجندية فى أوساط الطلاب الذين كانوا يلجئون إلى كندا والسويد[2]..».

وأعلن الرئيس الأمريكى عن عدد من الامتيازات للجنود والضباط المشاركين فى المعركة غير أن المشكلة كانت أكبر من أن تحلها مثل هذه الامتيازات، وكان من أكثر

(١) (التاريخ الدبلوماسى ـ ج. ب. دروزيل).
(٢) (تاريخ العالم الحديث ـ بيار ميكال)

التعليقات طرافة ما قاله جندى أمريكى شاب برتبة عريف رداً على هذه الامتيازات المغرية: «كل ما أتمناه أن أعيش حتى يمكننى إنفاق ما سأدخره من نقود![1]».

ولم يكن الاحتجاج الأمريكى مقصوراً على الجنود فحسب، وإنما كان الخلاف محتدماً داخل الإدارة الأمريكية ذاتها، فقد دفعت هذه السياسة مساعد الرئيس الأمريكى - إيريك جولد مان - إلى تقديم استقالته فى يونيو (حزيران) ١٨٦٦ احتجاجاً على الحرب الأمريكية فى فيتنام، ولم تكن استقالته هى الوحيدة خلال سنوات الحرب فقد استقال كذلك أكثر من واحد من رجال السلطة الأمريكية إما احتجاجاً على نزيف الأموال والدماء الأمريكية بلا طائل فى أرض بعيدة عن وطنهم وإما للشعور بالفشل فى معركة لا نهاية لها..

وعلى الرغم من كل هذه الاحتجاجات فقد ألقت القوات الأمريكية بثقلها كله على فيتنام خلال عام ١٩٦٧ رغبة فى تحقيق النصر..

«قام الأسطول الجوى بحوالى ٦٠ ألف طلعة جوية خلال عام ١٩٦٧ فقط ألقى خلالها مليون و ٤٤ ألف طن من القنابل[2]..».

لكن النصر الأمريكى المرتقب لم يأت رغم كل شىء؛ وفى المقابل كثف رجال المقاومة الفيتنامية عملياتهم حتى صارت هجماتهم شبه يومية على المعسكرات الأمريكية والمطارات والقواعد العسكرية، وكبدت هجماتهم القوات الأمريكية خسائر كبيرة سواء فى الأرواح أو فى المعدات الحربية كما أربكت خططهم مما دفع وزير الدفاع الأمرسكى - روبرت ماكنمارا - إلى تقديم استقالته هو الآخر من منصبه ف نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٦٧.

محمد على كلاى

وفى يونيو (حزيران) ١٩٦٧ حدثت واقعة اهتزت لها الأوساط الرياضية، فقد تم اعتقال بطل العالم الأمريكى للملاكمة محمد على كلاى (كان اسمه قبل سنوات من هذه الواقعة كاسيوس كلاى ثم أسلم وأطلق على نفسه اسم محمد على) وكان عمره وقتها ٢٥ عاماً، وذلك بسبب رفضه الالتحاق بالخدمة العسكرية ضمن القوات الأمريكية فى فيتنام احتجاجاً على هذه المعركة غير العادلة.

(١) (نقلاً عن مذكرات بيتر أرنيت).

(٢) (الصراع على العالم - جان النشتاين).

وأصدرت محكمة تكساس الأمريكية حكماً عليه بالسجن لمدة خمس سنوات كما قررت هيئة الملاكمة بنيويورك شطبه وتجريدة من لقب بطل العالم الذى كان قد فاز به قبل ثلاث سنوات، غير أن محكمة الاستئناف ألغت الحكم فيم بعد، وإن ظل موقوفاً عن اللعب حتى عام ١٩٧٠.

الجحيم الفيتنامى

ومع مطلع عام ١٩٦٨ لم يعد يمر يوم من غير هجمة للقوات الفيتنامية، ففي اليوم الأول من العام أسقطت المدفعية الفيتنامية قاذفة قنابل أمريكية وبعد ثلاثة أيام قصفوا بالصواريخ قاعدة عسكرية أمريكية ضخمة فأصابوا ثمان طائرات، وتوالت أخبار إسقاط الطائرات وتدمير الدبابات وتفجير المعسكرات الأمريكية..

وتحولت المعركة فى عين الجندى الأمريكي إلى صورة من صور الجحيم الذى لا مهرب منه ولا مفر؛ فهم إن بقوا فى مواقعهم هاجمهم الفيتناميون، وإن تقدموا اعترضتهم الأحراش والغابات التى تغطى مساحات شاسعة من البلاد، فإن حاولوا المرور خلالها فالموت يتربص بهم من كل جانب. وكل الفيتناميون يقومون بإخفاء الشفرات الحادة وسط الكمائن المغطاة بأوراق الشجر لتذبح من يسقط فى حبائلها من الجنود الأمريكان. وبخلاف الكمائن المتناثرة بين أنحاء الغابات كانت الألغام تنفجر تحت أقدامهم، والحمم تتساقط عليهم من فوق الأشجار وتنهمر عليهم القذائف لا يدرون من أى موضع تأتى، إلى أن يطوقهم الفيتناميون من كل جانب ثم يقضون عليهم.. وأقصى نجاح يمكن أن يحلموا بتحقيقه ساعتها هو أن يفلحوا فى التراجع ساحبين جثث موتاهم والمصابين منهم.. ومن الطريف أن نعلم أنه لم يكن من المستبعد على المحصورين إن هم حاولوا الاستغاثة بقيادتهم، طالبين النجدة، أن يجدوا مقر القيادة ذاته يستغيث بدوره طالباً النجدة بعد أن هاجمته فلول المقاتلين الفيتناميين! وقد فقدت وحدات من الجيش الأمريكى معظم رجالها بين قتيل وجريح بهذه الطريقة حتى صار الواحد منهم لا هدف يرجوه ولا أمنية لديه يحلم بها إلا أن يبقى حياً حتى تنتهى مدة خدمته التى يقوم بعد أيامها يوماً بيوم فى انتظار يوم الخلاص، أما الرغبة فى النصر فلم تكن تشغل أحداً إلا الساسة فى واشنطن الذين لا يشعرون بالضياع والإحباط الذى يعانى منه مقاتلوهم فى ساحة المعركة.

ولعل هذه الصورة تبدو أكثر وضوحاً لمن سبق له أن رأى واحداً من الأفلام الأمريكية الكثيرة التى تناولت المعارك فى فيتنام.

مهرجان اصطياد الطائرات

كانت الطائرات الأمريكية تحوم حول الأراضى الفيتنامية لتحمل الموت إلى القرى والمدن ولكن الغريب أن هذه الطائرات نفسها تحولت بعد فترة قصيرة من بداية المعركة من أداة للقتل والتدمير إلى مادة طريفة خلال المعركة؛ فقد اتجه الفيتناميون إلى العمل على اصطياد هذه الطائرات التى يسقطونها وينقلون حطامها إلى الميادين العامة وسط مظاهر للبهجة والفرحة، وشغلهم هذا الأمر فكانوا يترقبون العدد ويستفسرون عنه لدرجة أنهم كانوا يعلقون اللوحات فى شوارع المدن الفيتنامية تحمل آخر أنباء عن عدد الطائرات الأمريكية التى أسقطها أبناء الشعب كما كانت الإذاعة الفيتنامية تذيع هذه الأرقام تباعاً.

وقد كانوا يحتفلون ويهنئ بعضهم بعضاً عندما كان العدد يكتمل مائة، أما حين يصل إلى الألف فقد كان الاحتفال يتحول إلى مهرجان شعبى عام!

وقد يجد البعض أن الأمر به مبالغة فى الأرقام، لكن الحقيقة أن الولايات المتحدة اعترفت بعد نهاية المعركة بسقوط ٣٧٠٠ طائرة مقاتلة بالإضافة إلى ٥ آلاف طائرة هليكوبتر خلال سنوات الحرب!! أى أنه بعبارة أخرى يمكن القول أن المهرجان الفيتنامى الألفى لإسقاط الطائرات الأمريكية تكرر ثمان مرات خلال المعركة.

وكان الفيتناميون فى أول الأمر يتبعون طرقاً غاية فى البساطة فى اصطياد الطائرات وإن كانت تحتاج لكثير من المهارة والصبر معاً؛ فقد كانوا ينصبون الرشاشات فى أعالى أشجار جوز الهند المنتشرة فى غاباتهم وكذلك على أعالى الجبال ويغطونها بأوراق الأشجار ويكمنون بها انتظاراً للحظة الحاسمة للنيل من أى طائرة تمر بهم مما جعل الطيارين الأمريكيين يحلقون عالياً هرباً من نيرانهم فيتسبب ذلك بدوره فى تفويت الفرصة عليهم بالتالى فى ضرب الأهداف الفيتنامية العسكرية أو المدنية.

ولكن الأمر تطور بعد ذلك عندما أمد الإتحاد السوفييتى فيتنام بصواريخ سام المضادة للطائرات وطائرات الميج ٢١، وبدخولهما إلى ساحة المعركة صارت مهمة اصطياد الطائرات الأمريكية أكثر فاعلية من ذى قبل، والطريف أن بعضاً من الطائرات التى كانت تنجح فى الافلات من النيران وهى فى الجو كانت ربما تجد فى انتظارها مفاجأة غير سارة بمجرد أن تطأ عجلاتها الأرض، فقد كان الفيتناميون يلغمون كذلك الأماكن التى يتوقعون أن تهبط عليها الطائرات.

وكان إسقاط الطائرات الفانتوم الأمريكية واحدة وراء الأخرى يتسبب فى حالة من الألم الشديد الموجع للقيادة الأمريكية التى لم تتمكن حتى نهاية المعركة من إيقاف حركة هذا الطابور من طائراتها المحطمة، وكان الألم مضاعفاً على القادة الأمريكيين حين ينجح الثوار - وقد نجحوا بالفعل أكثر من مرة - فى نسف الطائرات الأمريكية وهى مصطفة فى قواعدها المحاطة بالحراسة المشددة من غير أن تتمكن الحراسة حتى من الإمساك بالفاعل!

ولنستمع إلى شهادة جندى أمريكى من داخل المعركة، يقول الأمريكى أوليفر نورث الذى كان قائداً لفصيل عسكرى فى فيتنام قبل أن يخدم فى البيت الأبيض لخمس سنوات فى مجلس الأمن القومى فى مذكراته:

«إن معظم ما قمنا به فى فيتنام كان تمريناً على الإحباط، فيمكن أن تحتل «تبه» وتتابع التقدم، وبعد ثلاثة أيام تقاتل مرة أخرى من أجل احتلالها[1]..».

وقد أخذ هذا القائد الأمريكى يصف الهلع الذى كانوا يعيشون فيه بانتظار الهجمات الفيتنامية الصاعقة فى أى لحظة، لدرجة أن الواحد منهم يأتى عليه وقت لا يأمن على نفسه أن يغفل برهة ليتناول طعامه، ويدلل على مدى رعبهم بأن قيادتهم أصدرت إليهم الأوامر ألا تبتعد أى قوات لهم لأكثر من خمسين ميلاً عن مراكز التجمع الرئيسية خوفاً من الهجمات الفيتنامية!

ومما ذكره القائد نورث أن كل أسير فيتنامى كان يقع تحت أيديهم كانوا يوجهون إليه سؤالاً تقليدياً ينتظرون إجابته بلهفة «هل هناك كمين بانتظارنا؟ وما شكل هذا الكمين؟

ولكن على الرغم من كل شىء فقد كان واضحاً فى التعبير عن إعجابه بمقاتليهم وبخاصة عندما يقارن بينهم وبين الجنود الأمريكيين..

«كانوا يقومون بكل شىء من أجل معالجة رجالهم، ولا يمكنك إلا أن تعجب بشجاعتهم لأنهم يخوضون المعركة وهم يدركون أنه لا يمكنهم معالجة جرحاهم إلا خلال أسابيع[2]..»

ذلك أن الجريح الفيتنامى كان لا يجد العلاج أو الرعاية، إلا أن كل هذا لم يؤثر فى عزيمتهم فى الوقت الذى تهاوت فيه الروح المعنوية فى وحدات الجيش الأمريكى إلى أقصى الدرجات رغم وجود فرق الإسعاف المجهزة والطائرات الهليكوبتر لنقل المصابين منهم على

(١) (تحت النار - أوليفر نورث).

(٢) (تحت النار - أوليفر نورث).

وجه السرعة..

«إنهارت الحالة المعنوية للجنود الأمريكان فى فيتنام وارتفعت معدلات تعاطى العقاقير وزادت نسبة الفارين من التجنيد وانتشرت حوادث اغتيال الضباط ورفضت وحدات بأكملها خوض المعارك[1]..».

وبينما تتوالى الهجمات الصاعقة للقوات الفيتنامية على الجيوش الأمريكية صرح وزير خارجية فيتنام الشمالية أن بلاده تبدى استعدادها لإجراء محادثات سلام على أن توقف الولايات المتحدة قصفها الجوى بدون شروط. وكان هذا التصريح بمثابة المرة الأولى الذى تصرح فيه حكومة الشمال أنها على استعداد للتفاوض.

هجوم (التيت) The Tet offensive:

تُعرف السنة القمرية فى فيتنام باسم «التيت»، ويحتفل أهالى فيتنام احتفالاً عاماً برأس السنة القمرية، وكان من المفترض ـ أدبياً ـ أن يتوقف القصف الأمريكى على البلاد أثناء احتفالات التيت وافقت نهاية شهر يناير (كانون ثانى) من عام ١٩٦٨ غير أن القصف الأمريكى لم يتوقف.

وفى ليلة الثلاثين من شهر يناير (كانون ثانى) عام ١٩٦٨ حققت المقاومة الفيتنامية نصراً مذهلاً بكل المقاييس؛ فقد شنت هجوماً عاماً كالإعصار على الجنوب الفيتنامى فيما عُرف باسم «هجوم التيت».

«هاجم الثوار واحتلوا بشكل مؤقت القصر الجمهورى والسفارة الأمريكية وقيادة الجيش والإذاعة وقيادة البحرية والمظلية والشرطة والمطار ومخازن الذخيرة والوقود[2]..».

«كان الهجوم صاعقاً وساحقاً وأثار صدمة عنيفة وحقيقية لدى زعماء واشنطن، إذ فقد الأمريكيون أكثر من ستة آلاف عسكرى فى قتال لم يدم أكثر من بضعة أيام. وجرى الهجوم على سفارة الولايات المتحدة فى سايجون والمطار وحتى القصر الجمهورى السايجونى[3]..».

وكان أخطر ما فى هذا الهجوم المدهش أنه تم فى ٦٤ مدينة فيتنامية و ٢٤ قاعدة

(١) (موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ آلان نيفيتر. هنرى ستيل كوماجر).

(٢) (استراتيجية التفاوض فى التجربة الفيتنامية ـ على فياض).

(٣) (الصراع على العالم ـ جان النشتاين).

ومطار فى وقت واحد! أما المذهل أن القيادة الأمريكية بكل أجهزة الاستخبارات التى لديها لم تكن قد رصدت حركة هذا العدد الهائل من رجال المقاومة ولا هذا الكم الضخم من الذخيرة والمعدات التى تم نقلها وتخزينها لحين استخدامها فى اللحظة المتفق عليها..

«أثبت الهجوم الشامل الذى قام به الفيتناميون الشماليون إفلاس الاستراتيجية العسكرية الأمريكية، وكان إهانة باللغة موجهة إلى برنامج جونسون فى فيتنام.[1]».

وحسب ما ذكر الرئيس الأمريكى جونسون فى مذكراته[2] بعد ذلك أن عدد القوات الفيتنامية التى شاركت فى الهجوم قد قُدر بحوالى ٨٤ ألف مقاتل.

مذبحة ماى لاى « My Lai »

تسبب هذا الهجوم الكاسح فى حالة من الجنون لدى الجند الأمريكيين الذين قتلهم اليأس والرعب من المصير المحتوم فانطلقوا يهاجمون القرى الفيتنامية.. يقتلون الحيوانات ويتلفون المحاصيل وعندما يتذمر القرويون يطلقون عليهم الرصاص ثم يضرمون النار فى بيوت القرى المصنوعة من القش بينما هم ينسجون يتلفتون خوفاً من انتقام الثوار..

ورغم أن هذه الأعمال صارت من الروتين اليومى للمعركة غير أن الأمر تجاوز الحدود فى إحدى المرات بالذات، ففى ١٦ مارس (آزار) ١٩٦٨ - أى بعد شهر ونصف من هجوم التيت - قامت كتيبة من كتائب مشاة الجيش الأمريكى بالهجوم على إحدى القرى الفيتنامية ثم قامت تلك الكتيبة بقتل أهلها البالغ عددهم ٥٠٠ فلاح خلال عدة ساعات بغير تهمة بخلاف أنهم فيتناميون.

وكان اسم هذه القرية الفيتنامية «ناى لاى» «My Lai».

وقد أثارت هذه المذبحة مشاعر أحد الجنود الأمريكيين فبعث برسالة إلى الكونجرس يروى فيها ما رآه بنفسه فى القرية المنكوبة التى لم يرتكب أهلها أية جريمة غير أن السلطات الأمريكية رأت أن المصلحة تقتضى إخفاء مثل هذه الحقائق المستفزة وبالفعل تم التستر على الخبر، وظل الأمر فى طى الكتمان لأكثر من عام وإن كان تسبب بعد ذلك فى أزمة كبيرة.

---

(١) (موجز تاريخ الولايات المتحدة - آلان نيفيتر. هنرى ستيل كوماجر).

(٢) نشرت جريدة الأهرام مذكرات الرئيس الأمريكى جونسون خلال شهر أكتوبر (تشرين أول) عام ١٩٧١.

التهديد الأمريكى بالسلاح النووى

مما لا خلاف عليه أن هجوم التيت الفيتنامى ترك تأثيراً بالغاً فى تغيير مسار المعركة بدرجة كبيرة؛ فقد كان الهجوم كاسحاً والخسائر الأمريكية المادية والمعنوية ضخمة.

ولم تجد السلطات الأمريكية مفراً ــ بعد هذه الهزيمة المخزية ــ من التلويح باستخدام الأسلحة النووية فى فيتنام بعد مرور عدة أيام من هجوم التيت، بغرض إنهاء المعركة كما فعلت قبل ذلك غير أنها أحجمت عن تنفيذ تهديدها خوفاً من احتمال الرد النووى سواء من الاتحاد السوفييتى أو الصين ــ وكلتاهما تمتلك سلاحاً نووياً ــ مما ينذر بدمار شامل لا يعرف أحد منتهاه.

ومن الغريب والمضحك أنه فى نفس التوقيت الذى صرحت فيه السلطات الأمريكية باحتمال استعمال السلاح النووى صرحت حكومة فيتنام الشمالية أنها تجدد دعوتها لإجراء محادثات سلام مع أمريكا قبل أن تمر عشرة أيام على الهجوم!

وقد سارع الجنرال ويستمور لاند قائد الجيوش الأمريكية فى فيتنام بمطالبة واشنطن بإرسال مدد ــ بحد أدنى ٥٠ ألف جندى ــ لاستعادة المبادرة الأمريكية فى الحرب، غير أن القيادة الأمريكية رفضت طلبه بل وقررت استبداله هو شخصياً وتم تكليف الجنرال «أبرامز» بدلاً منه، وهو مثل سلفه كان قد أثبت جدارة خلال الحرب العالمية الثانية[1].

وقد قامت السلطات الأمريكية بإرسال بعثة تحقيق عسكرى لتقييم الموقف، وعندما قدمت البعثة تقريراً متشائماً تقرر بناءً عليه إحداث بعض التغييرات فى خطط المعركة كان أهمها زيادة استخدام الأسلحة الكيماوية.

ومن الأمور الغريبة أن نعلم أن الإعلام الأمريكى ومعظم السياسيين الأمريكيين تولوا مهمة الترويج لمقولة أن الهجوم الفيتنامى فشل فى تحقيق أهدافه، وأنه كان هجوماً فاشلاً!

---

(١) كان أبرامز قائداً للفرقة التى حررت مدينة باستونية البلجيكية فى معركة الأردين.

انسحاب الرئيس الأمريكى من المعركة الانتخابية

وبعد شهرين من هجوم التيت أعلن الرئيس الأمريكى جونسون فى خطابه بتاريخ ٣١ مارس (آزار) ١٩٦٨ وقف عمليات القصف رغبة فى التفاوض كما أعلن كذلك إنه لن يقوم بترشيح نفسه فى انتخابات الرئاسة المقبلة بسبب دوره فى ورطة فيتنام.

«أعلن جونسون فى خطابه وقفاً جزئياً للغارات الجوية الأمريكية على الشمال داعياً الفيتناميين فى مقابل ذلك إلى بدء التفاوض بين الطرفين، فردت هانوى فى ٣ إبريل (نيسان) بالموافقة على العرض، وفى ٣ مايو (أيار) أتفق على باريس مكاناً للمفاوضات، وخلال أيام جلس الوفد الأمريكى فى مجابهة الوفد الفيتنامى[1]..».

والذى يقرأ رواية الرئيس الأمريكى فى مذكراته يرى بوضوح مدى فرحتهم ولهفتهم التى تلقوا بها بيان هانوى للاستعداد للتفاوض؛ فهو يحكى كيف أن غرفة للعمليات انعقدت فوراً، وأحضرت له النص الكامل للبيان، وأنهم أرسلوا ـ بسرعة فائقة ـ إلى هانوى رغبتهم فى الإجتماع بهم تاركين لهم حرية اختيار المكان والزمان.

ومما لاشك فيه أن هجوم التيت الكاسح لقوات فيتنام الشمالية تسبب فى حالة من الحرج الشديد للولايات المتحدة؛ فمع نهاية عام ١٩٦٧ ـ ورغم المقاومة الفيتنامية الشرسة ـ كان القادة الامريكيون يصرحون بأن إنهاء المعركة وإحراز النصر الأمريكى الحاسم أمر حتمى، وربما يحتاج الأمر كله إلى عام على الأكثر لسحق المقاومة الفيتنامية بعد استنفاد قوتها غير أن «هجوم التيت» قلب الموازين كلها رأساً على عقب، فقد جاء الهجوم فى وقت كان القادة الامريكيون ينتظرون بفارغ الصبر إحراز نصر من أى نوع ليتمكنوا من إنهاء المعركة مع احتفاظهم بكبرياء المنتصر بالتفاوض السلمى مع قادة فيتنام هرباً من التكاليف المادية الضخمة للحملة العسكرية والخسائر الفادحة فى الأرواح والمعدات وطول المعركة بلا أمل فى إحراز أى نصر..

يقول هنرى كسينجر:

«ترجع بداية التفكير فى المفاوضات إلى ذلك التصريح الذى أدلى به الجنرال «ويستمورلاند» (قائد الجيوش الأمريكية فى فيتنام) أمام الكونجرس فى إمكان الولايات المتحدة

(١) (استراتيجية التفاوض فى التجربة الفيتنامية ـ على فياض).

سحب قواتها تدريجياً فى أواخر عام ١٩٦٨ الأمر الذى أدى بالرئيس جونسون إلى التفكير بدوره فى برنامج المسالمة لولا أن هجوم التيت فاجأ افتراضات الاستراتيجية الأمريكية[1]..».

هنرى كيسنجر:

كان كيسنجر مستشاراً لحكومة كل من الرؤساء إيزنهاور وكنيدى ثم جونسون، وقد صار بعد ذلك مستشاراً لشئون الأمن القومى خلال فترة رئاسة نيكسون وقد أصبح كيسنجر وزيراً للخارجية بعد ذلك فى فترة رئاسة فورد الذى خلف نيكسون.

وقد ذكر كيسنجر فى مذكراته أنه مع بداية الستينات لم يكن مهتماً بدرجة كبيرة بما يحدث فى فيتنام، وفى أغسطس (آب) ١٩٦٥ زار كيسنجر فيتنام لأول مرة ومكث بها لأسبوعين، ويحكى أنه فى هذه الزيارة سئل حاكم إحدى المقاطعات الفيتنامية إلى أى حد يبلغ أمن المقاطعة. يقول كيسنجر:

«فأجابنى بافتخار: إن أمنها يوازى ثمانين بالمائة. وعندما سافرت ثانية إلى فيتنام فى شهر يوليو (تموز) ١٩٦٦ (أى بعد عام) كان اهتمامى موجهاً نحو زيارة نفس المقاطعات لأتمكن من تقييم التغيرات، وأعلمنى حاكم المقاطعة نفسه أن تقدماً عظيماً قد أحرز منذ زيارتى الأخيرة فسألته عن حدود أمن المقاطعة فأجابنى أيضاً بإعتزاز مثل المرة الأولى: إن أمنها بحدود سبعين بالمائة[2]!!

وقد خرج كيسنجر بعد هاتين الزيارتين بتحليل للموقف مفاده كما يقول هو:

«إننا نخوض غمار حرب لا نعلم كيفية الانتصار فيها ولا طريقة وضع حل لها..».

وعن رأيه الشخصى عن طريق الخلاق يقول:

«وأخيراً فإن الوسيلة الوحيدة لإنهاء القضية الفيتنامية هى فى الاتفاق على تسوية[3]».

وكان كيسنجر يرى أن الحرب إذا دارت بين الجيوش الأمريكية وبين الجيوش الفيتنامية فالنصر لا محالة من نصيب الجيوش الأمريكية، لكن الحقيقة أن الحرب لا تدور

---

(١) (مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية ـ هنرى كيسنجر).

(٢) (مذكرات كيسنجر ـ الجزء الأول). (٣) (مذكرات هنرى كيسنجر ـ الجزء الأول).

بين جيشين وإنما هى بين جيش تقابله عصابات تجيد الكر والفر والحيل والكمائن، ولذلك لا يوجد توصيف مفهوم للنصر والهزيمة وبعبارة أخرى لا نهاية للحرب. وبناء على هذه النظرة طلب كيسنجر من القيادة الأمريكية أن يقوم بنفسه بالقيام بمهمة السعى فى الوصول إلى هذا الاتفاق وهذه التسوية..

«ومن شهر يوليو (تموز) حتى شهر أكتوبر (تشرين أول) من عام ١٩٦٧ طلبت إلى حكومة جونسون القيام بدور الوسيط..».

ويسرد كيسنجر أنه عندما حصل على الموافقة بدأ فى تنفيذ مهمته فقام بإرسال الرسائل إلى زعماء هانوى لتهيئة الأجواء للتفاوض، وكانت هذه هى الخطوة الأولى فى طريق المفاوضات بين الطرفين.

بداية المفاوضات والمقترحات الأمريكية

وفى مايو (أيار) ١٩٦٨ بدأت المفاوضات الرسمية للمرة الأولى، وخلالها طرح المفاوضون الأمريكيون خطتهم التى تدعوا لانسحاب القوات الأمريكية من فيتنام الجنوبية على أن يواكبها من الطرف الآخر انسحاب لقوات فيتنام الشمالية أو بمعنى أصح أن يرفع كل من الأمريكان والشيوعيين أيديهم عن فيتنام الجنوبية ويتركونها لأهلها ولحكومتهم غير أنهم اشترطوا أن يتم انسحاب قوات فيتنام الشمالية أولاً ثم يليه انسحاب القوات الأمريكية بعد ستة أشهر.

وكان الرد الفيتنامى على هذا الاقتراح هو الرفض القاطع لكل الحلول والتمسك بالمطالبة بضرورة الانسحاب الأمريكى الكامل وغير المشروط.

وبعد طول مداولات وصل التفاوض إلى طريق مسدود، وبذلك فشلت المحاولة الأولى من المفاوضات فى التوصل إلى أية حلول دبلوماسية للأزمة.

ولكن على الرغم من هذا الفشل فقد كان طريق المفاوضات هو الطريق الأوحد لدى الرئيس الأمريكى جونسون للخروج من المأزق الذى تورطت فيه القوات الأمريكية فى فيتنام ومع اشتداد المعارضة ضد استمرار القتال بغير طائل رغم محاولات إخفاء الحقائق، وبخاصة أن التوقعات والتصريحات المعلنة قبل المعركة كانت مختلفة تماماً عما جرت عليه الأحداث بعد ذلك.

«كان الخبراء قد توقعوا إنفاق مبلغ ١٠ مليارات دولار فى حال اندلاع الحرب فى فيتنام. وفى الواقع تكلفت الحرب ضعفى هذا المبلغ[1]..».

«ورغم أن الإدارة الأمريكية لم تعترف حتى أواخر عام ١٩٦٨ بأكثر من ثلاثين مليار دولار كتكلفة سنوية للحرب، مع ٣١ ألف قتيل أمريكى إلا إن هذه الأرقام كانت كفيلة بدفع المزيد من الأمريكيين إلى الانضمام للمعارضة والمطالبة بالانسحاب من فيتنام[2]..».

وقف القصف على الشمال الفيتنامى

وعلى ذلك فقد كرر الرئيس الأمريكى فى مطلع نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٦٨ المحاولة من جديد معلناً وقف القصف على فيتنام الشمالية للمرة الثانية ليفتح باب المفاوضات مرة أخرى، ولكى يبرر الموقف أمام المتشددين من رجال الساسة الأمريكية فقد ذكر أنه تلقى تعهداً ضمنياً من قادة فيتنام الشمالية ـ بطريق غير مباشر ـ بعدم مهاجمة مدن الجنوب وإيقاف حركة جيوشهم مما يفيد بأن لوقف القصف الأمريكى ثمناً من الجانب الفيتنامى. غير أن الأمر صار شديد الحرج على الرئيس الأمريكى عندما نفى الجانب الفيتنامى هذا الأمر تماماً واصفاً إياه بأنه مجرد «إدعاء» من جانب الرئيس الأمريكى وليس له أساس من الصحة!

وقد وجه الزعيم الفيتنامى هو شى منه نداءً إلى أبناء فيتنام صرح فيه برغبته فى تحقيق السلام من ناحية، ومن ناحية أخرى دعا الشعب الفيتنامى إلى مواصلة القتال حتى رحيل آخر جندى أمريكى!

احتجاج عالمى وتأييد إنجليزى

فى هذا التوقيت وصلت أصوات الاحتجاج فى مختلف دول العالم على الحرب الأمريكية غير المبررة فى فيتنام إلى ذروتها، ونظمت الأحزاب الشيوعية المظاهرات فى عديد من الدول الأوربية احتجاجاً على ما تقوم به الجيوش الأمريكية من جرائم فى فيتنام.

ووسط هذا الرفض العالمى لسياسة الولايات المتحدة فى فيتنام ودول الهند الصينية كانت بريطانيا هى الدولة الأوربية الوحيدة التى أعلن رئيس وزرائها فى وقت مبكر تأييده للولايات المتحدة فى سياستها. وما أشبه الليلة بالبارحة!

(١) (تاريخ العالم المعاصر ـ بيار ميكال)

(٢) (استراتيجية التفاوض فى التجربة الفيتنامية ـ على فياض)

ولقد استمر التأييد البريطانى رغم رفض الشعب الإنجليزى لموقف حكومته الذى تزايد مع استمرار المعركة فى فيتنام وتطورها، وقد نشرت جريدة الأهرام فى عددها الصادر بتاريخ ٧ مايو (أيار) ١٩٧٠ أن شوارع لندن قد شهدت هياجاً ضد التبعية الأمريكية وصل لدرجة أن الجماهير هاجموا السفارة الأمريكية وأن حالة من الثورة قد احتاجت مجلس العموم البريطانى نفسه.

فضائح أمريكية

أسهمت أجهزة الإعلام داخل الولايات المتحدة وخارجها بدور كبير فى زيادة الغضب العالمى ففى داخل الولايات المتحدة نشرت صحيفة أمريكية فى مطلع عام ١٩٦٨ نص خطاب أرسله طبيب كندى عمل لثلاث سنوات فى فيتنام اعترف فيه بأن الجيوش الأمريكية تستخدم نفس الغازات السامة التى سبق لألمانيا النّازية أن استخدمتها فى الحرب العالمية الثانية. وعندما فر عدد من البحارة الأمريكيين من فيتنام وذهبوا إلى العاصمة السويدية استوكهولم طالبين اللجوء إلى السويد قام التليفزيون الأمريكى بتقديمهم فى برنامج تليفزيونى تم تسجيله فى العاصمة السويدية وهم يعلنون أنهم غير آسفين على فرارهم من الخدمة!

كما أعلن سيناتور أمريكى بأن حادثة تونكين التى أعلنت الولايات المتحدة الحرب على فيتنام بسببها كانت مفتعلة، وبعدها أعلنت لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى بأن لديها رسالة سرية خاصة تؤيد ما سبق أن أعلنته بخصوص الحادثة، وأن المدمرة الأمريكية بالفعل استفزت زوارق الطوربيد الفيتنامية حتى تضطرها لمهاجمتها رغبةً فى اتخاذ الموقف ذريعة لبداية الحرب مما دفع نائب فى الكونجرس إلى التصريح علناً بأن الرئيس الأمريكى جونسون يحجب نصف الحقيقة على الأقل بالنسبة للحرب عن الشعب الأمريكى.

أما عن أكبر الفضائح التى كانت الإدارة الأمريكية تتعمد التهوين منها والتعمية عليها فهى الحرب الكيمائية التى تشنها الجيوش الأمريكية على الأراضى الفيتنامية.

تشغل الغابات مساحات كبيرة من التضاريس الفيتنامية تمثل فى ذاتها ثروة كبيرة للبلاد.

«تبلغ مساحة الغابات ١٦ مليون هكتار تغطى حوالى ٤٣٪ من مساحة البلاد.

وهى غنية جداً بمختلف أنواع الأشجار المثمرة التى تصل إلى مائة نوع والأشجار الطبية وغير المثمرة التى تبلغ حوالى ألف نوع[(١)]..».

وكان الثوار يستغلون هذه الغابات كمعاقل يختفون فيها ويخزنون فيها سلاحهم ويهاجمون القوات الأمريكية إذا حاولت المرور خلالها كما كانت تمثل بالنسبة لهم مصدراً للغذاء. وعلى ذلك فقد اعتبرت الجيوش الأمريكية أن الغابات تقوم بدور هام فى التعاون مع العدو ضدهم لعرقلة مهمتهم فى السيطرة على البلاد، وأن الغابات صارت ـ بالتبعية ـ خصماً لهم!

وفى مطلع عام ١٩٦١ كان الرئيس الأمريكى كنيدى قد أعطى الموافقة على استخدام المبيدات القاتلة فى حرب الجيوش الأمريكية ضد غابات فيتنام.

العامل البرتقالى « orange Agent »:

للقضاء على الغابات الفيتنامية قامت الجيوش الأمريكية باستخدام أنواع من المبيدات الحشرية القاتلة وصل عددها إلى ١٥ نوعا للقضاء على كل ما هو أخضر.

وللتفرقة بين أنواع المبيدات المختلفة استخدم المتخصصون الألوان بحيث يأخذ كل مبيد «كود» خاص به، بلون مختلف عن غيره. وهو شىء يشبه الدمغة الملونة لتمييز العبوات التى تم شحنها إلى أرض المعركة، وعلى هذا فقد كان هناك ما يعرف باسم العامل الأبيض والأخضر والأرجوانى والأزرق والقرنفلى حسب كود الألوان.

أما أشد هذه المبيدات أثراً وأكثرها فتكاً هو المعبأ فى العبوات ذات الكود البرتقالى لذلك فقد عرف باسم «العامل البرتقالى».

وقد بلغ استخدام المبيدات القاتلة الذروة عام ١٩٦٥، ونظراً لظهور آثاره الفتاكة فقد ارتفعت الأصوات المعارضة لاستخدامه.

---

(١) (التجربة العسكرية الفيتنامية ـ على فياض)

وبلغت المساحة التى تم رشها بالعامل البرتقالى حسب ما ذكرت بعض المصادر أكثر من ١٠ آلاف كم مربع من الغابات تعرض معظمها للرش مرتين لا مرة واحدة.

والحقيقة أن النتيجة جاءت مبهرة.. بل شديدة الإبهار! فقد أتى العامل البرتقالى على الأخضر واليابس وتكفل بتدمير الغابات تماماً لسنوات طوال امتدت لما بعد نهاية الحرب بخلاف الآثار الأخرى التى ظهرت على الآدميين بعد ذلك.

إلى ذلك أعلنت السلطات الأمريكية أنها استخدمت كميات ضئيلة من هذا المبيد القاتل «العامل البرتقالى» على مدى سنوات الحرب لكن الجميع كانوا على علم بأن هذه التصريحات للتهدئة ليس إلا، وكانت طريقة استخدامه تتم برشه من الطائرات أو السيارات بالإضافة إلى الطريقة اليدوية باستخدام رشاشات اليد.

«وبمقدم عام ١٩٦٨ جاوز تعداد القوات البرية والجوية الأمريكية المشتركة فى القتال النصف مليون مقاتل عملوا جميعاً على تدمير القرى مستخدمين الكيماويات فى إزالة منطقة لا تقل مسحتها عن مساحة مساشوستس[1].».

ونتيجة للضغوط وظهور بعض الحقائق المخفية فقد بدأت السلطات الأمريكية تعترف بعد فترة بأن الكمية أكبر قليلاً مما تم إعلانه، والحقيقة أن المصادر لا تتفق على الكمية بالضبط فمنهم من قال ١٩ مليون جالون ومنهم من ذكر أنها حوالى ٣٧٢ ألف لتر.. لكن الثابت أن المصادر كلها تتفق على أن الكمية تدخل فى باب الأرقام الفلكية.

ويكفى أن نعرف أن بعثة الأكاديمية القومية الأمريكية للعلوم قد قامت بزيارة للمنطقة عقب الحرب وذكرت فى تقريرها أن منطقة الغابات يلزمها أكثر من مائة عام لكى تعود إلى سابق عهدها!

الانتخابات الأمريكية

فى الولايات المتحدة حزبان أساسيان يتبادلان الحكم الحزب الديمقراطى وشعاره الحمار والحزب الجمهورى وشعاره الفيل.

وعندما بدأت الحملة الانتخابية لعام ١٩٦٨ كانت القضية المحورية فى البرنامج الانتخابى الذى يتنافس عليه كل من الحزبين هو تقديم مشروع مقبول لحل المشكلة

(١) (موجز تاريخ الولايات المتحدة الأمرسكسة ـ آلان نيفيتر هنرى ستيل كوماجر)

الفيتنامية.

ورغم أن الرئيس الأمريكى جونسون كان ممثلاً عن الحزب الديمقراطى إلا أن عدد المعترضين عليه من داخل الحزب الديمقراطى ذاته كان كبيراً خلال فترة رئاسته حتى أصبح من الطبيعى أن يصرح بعضهم بأن الحرب فى فيتنام هى أكبر جريمة أخلاقية واقتصادية وسياسية فى تاريخ الولايات المتحدة مما أحدث انشقاقاً داخل الحزب يقوده السيناتور «روبرت كنيدى» شقيق الرئيس الأمريكى الراحل جون كنيدى والذى كان يشغل منصب وزير العدل خلال فترة رئاسته.

أما الحزب الجمهورى ويمثله مرشحه ريتشارد نيكسون فقد قدم مشروعه تتصدره الوعود بسحب القوات الأمريكية وإنهاء المعركة بخطوات سريعة.. وفى النهاية أسفرت الانتخابات عن فوز نيكسون.

«عندما جاء نيكسون إلى الحكم كان الموقف فى فيتنام يزداد سوءً بالنسبة للحكومة الأمريكية، فخسارتها السياسية أخطر من خسائرها المادية، وتعرض الموقف الأمريكى إلى انتقادات شديدة من قبل العديد من الأوساط السياسية الدولية كما أن الرأى العام الأمريكى كان يشجب بعنف سياسة أمريكا التى لم تحقق أى مكسب من وراء تورطها فى فيتنام[١]..».

وقد انتظر من انتخبوا الرئيس الجديد تنفيذ الوعود وإنهاء الأزمة. «لكن الشهور الأولى من حكم نيكسون أحبطت آمال أولئك الذين اعتقدوا بصدق وعوده الانتخابية السابقة، وفوجئوا بالرئيس ليس فقط يماطل فى مسألة الانسحابات ويؤجلها بل يستمر فى القتال ويصعده[٢]..».

واندفع الغضب من استمرار هذه الحرب التى لا تبشر بأى نصر.

«قاطع طلبة كاليفورنيا (ولاية الرئيس نيكسون) الدراسة على امتداد ١٣٤ يوماً، ثم طلبة سان فرانسيسكو الذين تضامنت معهم ٣٤ كلية جامعية، ثم توسعت المظاهرات المعادية للحرب إلى ٥٠ مدينة منها نيويورك وانتشرت حملة لرفض الخدمة العسكرية.. مظاهرات النساء جاءت بعد الطلبة مباشرة حيث ضمت بالأساس أمهات وزوجات وأخوات

(١) (مبادئ الرؤساء الأمريكان - سليم الحسنى)

(٢) (استراتيجية التفاوض فى التجربة الفيتامينية - على فياض).

الجنود الموجودين فى فيتنام[١]».

وبخلاف المظاهرات ظهر عدد غير قليل من التنظيمات واللجان لمعارضة استمرار الحرب فى فيتنام شارك فيها رجال السياسة والعلماء الحائزون على جائزة نوبل ورجال الكنيسة ورجال الأعمال.

ولعل مما زاد من هياج الرأى العام أن عدداً من الأمور التى تم التستر عليها وإخفاءها فى حينها من قبل السلطات بدأ يتكشف، وكان خبر مذبحة قرية ماى لاى الفيتنامية واحداً من أهم هذه الأسرار.

فقد قام صحفى أمريكى بنشر خبر عن تفاصيل هذه المذبحة بعد أن مر عليها حوالى عام ضمن محادثات مع جندى محارب فى فيتنام مما تسبب فى صدمة للرأى العام أعقبه حال من الهياج تزعمها الرافضون لاستمرار المعارك فى فيتنام.

ونشطت الصحف ووسائل الإعلام فى التنافس للإعلان عن المزيد من الأخبار من الجنود الذين شاركوا فى المعركة، وخلال أسابيع قليلة صار الصحفى الذى نشر الخبر نجماً شعبياً تستضيفه البرامج التليفزيونية ليتحدث وتكتب عنه الصحف كما تعرض الصور التى تمكن من الحصول عليها، وقد أصدر هو نفسه بعد ذلك كتاباً عن جرائم الحرب فى فيتنام.

وكان من نتيجة كل ذلك أن عامة الناس صاروا ينظرون إلى كل من يرتدى الزى العسكرى على أنه مجرم قاتل.

«لقد أصابت حادثة ماى لاى جميع العسكريين.. وكان قطاع كبير من الرأى العام الأمريكى قد تحول ضد الحرب فى فيتنام.. وصلت إلى حد أن قائد المدرسة العسكرية أصدر أمراً للضباط الذاهبين إلى خارج المدرسة بأن لا يرتدوا الزى العسكرى.. وأخبرنى بعض الطلاب أنهم تعرضوا لبصق الجمهور[٢]..».

وتحت ضغط الرأى العام المطالب بالتحقيق فى الوقعة اضطرت السلطات الأمريكية إلى محاكمة الملازم الذى قاد المجزرة ويدعى «ويليان كالى»، وقد حكم عليه بالسجن المؤبد

(١) (استراتيجية التفاوض فى التجربة الفيتنامية ـ على فياض)

(٢) (تحت النار ـ أليفر نورث)

رغم أنه أكد فى شهادته أنه تلقى معلومات صريحة من قيادته بتنفيذ مبدأ «تعقب واقتل[١]».

سياسة «الفتنمة»

سعى الرئيس الأمريكى نيكسون إلى فتح باب التفاوض مع حكومة فيتنام، إلا أنه فى الوقت نفسه عمد إلى فكرة جديدة تخرج الولايات المتحدة من المأزق.

«أعلن الرئيس الأمريكى الجديد ريتشارد نيكسون سياسة «الفتنمة» ووفقاً لها كان على قوات جنوب فيتنام أن تتحمل الدفاع عن نفسها[٢]..».

وكما هو واضح فالمقصود بسياسة «الفتنمة» هو أن ترحل القوات الأمريكية لتحل محلها قوات من فيتنام الجنوبية، فيؤدى ذلك إلى استمرار المعركة من جهة ومن جهة أخرى خروج الجيوش الأمريكية من المأزق. وفى يوليو (تموز) ١٩٦٩ جرى أول انسحاب للجنود الأمريكان..

«بدأ الرئيس نيكسون فعلاً فى سحب بعض قواته البرية ببطء.. وهذا ما أسماه نيكسون «فتنمة الحرب» مع نقل الخسائر من الجانب الأمريكى إلى الجانب الفيتنامى[٣]..».

وبناء على هذه الاستراتيجية الجديدة لزم تدريب القادة الأمريكيين للقوات الفيتنامية بشكل مكثف وإشراك ضباطهم فى الدورات المتخصصة لتولى العمليات العسكرية، وقد قام الرئيس الأمريكى نيكسرن بزيادة إلى سايجون (عاصمة فيتنام الجنوبية) للاشراف بنفسه على تنفيذ هذه السياسة وإزالة العقبات أمامها.

---

(١) خرج هذا الرجل من السجن بعد أن أمضى ثلاث سنوات فقط بموجب عفو أصدره الرئيس الأمريكى نيكسون.
وقد صار اسم هذه القرية شهيراً عقب إعلان هذه المذبحة الدامية؛ فتكونت باسمها الجمعيات والمنظمات المناهضة للحروب، وصار مجرد ذكرها علماً دالاً على الجرائم الأمريكية فى فيتنام. وإذا حاول أحد أن يبحث عن اسمها على صفحات الإنترنت فسيعرف أنها من الأعلام الشهيرة بشرط أن يكون البحث باللغة الإنجليزية وذلك لأنها ـ للعجب ـ لا وجود لها فى الذاكرة العربية مطلقاً فنحن على ما يبدو لا نحب التدخل فى شئون الغير!

(٢) (موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر ـ د. ميلاد أ. المقرحى).

(٣) (موجز تاريخ الولايات المتحد ـ آلان نيفيتر. هنرى ستيل كوماجر).

الحكومة الثورية المؤقتة

مع توالى انتصارات الثوار فى الجنوب صارت هناك مناطق تحت سيطرتهم المطلقة لا ينازعهم أحد فيها، وكانت هذه المناطق تكفى لتكون هى نواة لدولة خاصة بهم وبالفعل أقاموا عليها دولتهم وأعلنوا قيام حكومة ثورية مؤقتة فى يونيو (حزيران) ١٩٦٩ ..

«ومن أبرز التطورات السياسية التى شهدتها الساحة الفيتنامية فى زمن الفتنمة إعلان الثورة الفيتنامية عن قيام الجمهورية الجنوبية وتأليف حكومة ثورية مؤقتة فى الأراضى المحررة، وقد جاءت هذه الخطوة تتويجاً للانتصار العسكرى[1]..».

وعلى الأراضى المحررة قامت جمهورية جديدة ذات علم ونشيد وشعار وطنى خاص بها .. وبذلك أصبحت أرض الجنوب الفيتنامى تضم جمهوريتين وحكومتين.

«واختارت الحكومة أغنية الثوار كنشيد وطنى وعلم الثورة علماً قومياً وأهداف الثورة الفيتنامية شعاراً لها[2].».

وقد اعترفت الدول الشيوعية فى مختلف أنحاء العالم بهذه الدولة الجديدة، وجدير بالذكر أن مصر كانت ضمن هذه الدول التى أعلنت تأييدها لها بحكم كونها من الدول التى تدور فى فلك الاتحاد السوفييتى فى ذلك الوقت.

مزيد من الاحتجاج الأمريكى

رغم أن سياسة الفتنمة كانت تعنى تخفيض عدد الجيوش الأمريكية فى فيتنام غير أنها لم تفلح فى إسكات أصوات المعترضين على موت أبنائهم على بعد آلاف الأميال من بلادهم بلا هدف مفهوم، وفى العاشر من يناير (كانون ثانى) عام ١٩٧٠ الذى يوافق عيد ميلاد الرئيس الأمريكى نيكسون وقف المتظاهرون أمام االبيت الأبيض يهتفون ضده.

وبعد إن كان التهرب من التجنيد يعتبر تصرفاً فردياً تحول إلى قضية عامة حتى إن المتظاهرين حددوا أسبوعاً للاحتجاج خلال شهر مارس (آزار) ١٩٧٠ كان شعاره «لا تنضم إلى الجيش».

وقد ذكرت جريدة الأهرام بتاريخ ١٨ مارس (آزار) ١٩٧٠ أن برلمان ولاية

(١) (التجربة العسكرية الفيتنامية ـ على فياض)

(٢) (فيتنام قصة كفاح شعب ـ محمد جلال عباس)

ماساتشوستس الأمريكية وافق بالأغلبية على مشروع قانون يمنع سكان الولاية من الخدمة العسكرية فى منطقة حرب ما يُصدر الكونجرس إعلاناً بالحرب فيها. والمقصود بالقانون - كما هو واضح - حرب فيتنام نظراً لأن الولايات المتحدة كما سبق أن ذكرنا لم تعلن على فيتنام الحرب بصورة رسمية.

وصار علم الثوار الفيتناميين الملون بالأحمر والأزرق يُرفع خلال المظاهرات فى قلب الولايات المتحدة ذاتها لدرجة أن المتظاهرين فى إحدى المدن الأمريكية أنزلوا العلم الأمريكى من أحد الميادين العامة ورفعوا علم الثورة الفيتنامية بدلاً منه احتجاجاً على استمرار الحرب فى فيتنام!

وفى ظل استحالة تحقيق نصر عسكرى كان الأمل لايزال معقوداً على نجاح المفاوضات.

المفاوضات من جديد

كانت السلطات الأمريكية قد بدأت المفاوضات مع الفيتناميين للمرة الأولى خلال ولاية الرئيس جونسون غير أن التفاوض لم يحقق أى نوع من أنواع النجاح، وجاءت الجولة الثانية من المفاوضات فى ولاية الرئيس نيكسون.

وفى ٢٥ يناير (كانون ثانى) ١٩٦٩ بدأت المفاوضات من جديد فى باريس بين الأطراف الأربعة المعنية بالأمر: الولايات المتحدة، حكومة فيتنام الشمالية، حكومة فيتنام الجنوبية، ممثلى ثوار الجنوب (الفيت كونج) غير أنها - مثل سابقتها - لم تحقق تقدماً، وزاد على ذلك أن السفير الأمريكى القائم بالمفاوضة باسم الولايات المتحدة استقال من مهمته فى نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٦٩ ولم تعين السلطات الأمريكية خلفاً له، وبذلك توقفت المفاوضات المعلنة. لكن الحقيقة أن مفاوضات من نوع آخر كانت تتم بعيداً عن الأعين وكان كيسنجر هو المسئول الأمريكى عنها.

المفاوضات السرية

وكانت كل هذه المفاوضات السابقة معلنة يضطر فيها كل من الطرفين للمحافظة على مظهره أمام الرأى العام، وكان موقف الولايات المتحدة محرجاً؛ فقد كان رجال الساسة الأمريكون لايزالون يصرون - رغم خسارتهم - على التظاهر أمام شعبهم بالتعالى والكبرياء، وأنه لا يجرؤ أحد على أن يملى عليهم الشروط وأنهم هم الأقوى وهم الذين

يملون الشروط على غيرهم..

وكان كيسنجر يرى أن من الأفضل دائماً السير فى طريق آخر مجرب قبل ذلك مرات عديدة فى مختلف المواقف وهو «المفاوضات السرية»، وما يميز هذا النوع من المفاوضات أنه يتم بعيداً عن أى ضغوط للرأى العام.

وكما يقول الرئيس الأمريكى نيكسون:

«ما لم يتم التوصل إلى اتفاق بصورة سرية فإنه لن يكون هنالك ما يمكن الاتفاق عليه فى العلن. وبدون السرية لن يشعر أى طرف بحرية تقديم الصيغ لحلول وسط محتملة[1]».

وفى أغسطس (آب) ١٩٦٩ تم اللقاء السرى الأول بين كيسنجر والمفوض من فيتنام الشمالية «كسيان ثوى» وبدأت رحلة كيسنجر داهية السياسة الأمريكية فى التفاوض مع قادة فيتنام الشمالية.

وكان كيسنجر ـ ويوافقه الرئيس نيكسون ـ يرى أن أفضل ما يمكن التفاوض به هو ما يسمى «دبلوماسية القوة» ومعناها استعمال القوة العسكرية بعنف لإجبار القيادة الفيتنامية على اللجوء إلى التفاوض كحل أفضل، وهذا يعنى أن التفاوض ستبدأه الولايات المتحدة وهى فى موقف الطرف الأقوى الذى يمكنه إملاء شروطه على الطرف الآخر. وكما يقول كيسنجر فى مذكراته:

«إن نيكسون لم يكن يثق أبداً بمثل هذه المفاوضات، ولم يكن يخطر بباله إن هانوى (فيتنام الشمالية) تقدم على إجراء اتفاق يرضينا إذا لم نكبدها سلفاً هزائم عسكرية حقيقية. واتضح بعد ذلك إن وجهة نظره صحيحة[2]..».

وقد استمر كيسنجر فى طريق التفاوض مع الفيتناميين مع قناعته التامة بأنها الوسيلة الوحيدة لإنهاء المعركة، وقد طالت هذه المفاوضات لسنوات قبل أن تثمر عن الاتفاق النهائى على الانسحاب الأمريكى مع بداية عام ١٩٧٣.

---

(١) (أمريكا والفرصة الضائعة ـ ريتشارد نيكسون).

(٢) (مذكرات هنرى كيسنجر ـ الجزء الثانى)

الحرب فى لاوس وكمبوديا:

إلى الغرب من دولة فيتنام تقع دولتى لاوس وكمبوديا، وقد امتد الفكر الشيوعى حتى صار له أنصار فى كل منهما، وكان المقاتلون الفيتناميون يقيمون القواعد والمخازن لقواتهم فى كلا البلدين.

وكان من الطبيعى أن يناصر الشيوعيين فى كل من لاوس وكمبوديا رفاقهم الثوار فى فيتنام، وعلى ذلك فقد امتد عدوان الولايات المتحدة ليشملهما فى سبيل منع الشيوعيين من الاستيلاء عليهما من جهة وكذلك لإضعاف موقف المقاتلين الفيتناميين من جهة أخرى.

العدوان الأمريكى على كمبوديا:

بدأت الجيوش الأمريكية عدوانها على دولة كمبوديا مع بداية تولى نيكسون الرئاسة مع مطلع عام ١٩٦٩، وكانت الحركة الشيوعية فى الشمال الكمبودى تقدم العون من كل نوع إلى مقاتلى فيتنام..

«وبمجرد توليه الرئاسة أمر نيكسون مجموعة القاذفات ب ٥٢ بقصف كمبوديا بلا توقف على مدى أربعة عشر شهراً، وقد أخفيت أخبار هذا القصف على الشعب الأمريكى بل اضطرت الحكومة إلى تزييف نتائج الغارات(١).».

وفى نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٦٩ تعرض معسكر للقوات الأمريكية لإطلاق النار من جهة الحدود الكمبودية، وكان من المعروف لدى السلطات الأمريكية أن المقاتلين الفيتناميين يحتفظون بمخابئ وطرق تموين لهم فى كمبوديا، فما كان من الولايات المتحدة إلا أن قامت بقصف كمبوديا من جديد بحجة الدفاع عن النفس، ولكن القصف لم يؤد الغرض لذا فقد قامت الجيوش الأمريكية بغزو دولة كمبوديا.

«فى الثلاثين من إبريل (نيسان) ١٩٧٠ دفع الرئيس الأمريكى بقواته لغزو كمبوديا المحايدة بحجة أنها منطقة تجمع قوات العدو، ولأن هذا القرار جاء مخالفاً للقوانين الدولية وللولايات المتحدة ذاتها فقد اضطر نيكسون للدفاع عنه بقوله «إننا لن نذل أبداً ولن نهزم أبداً، وإذا تحركت الولايات المتحدة على أنها هذا العملاق العطوف العاجز فإن قوى البغى والاستبداد ستهدد كل الحكومات الحرة والأمم المدافعة عن الحرية». وبرغم هذا فقد أوجد هذا

(١) (موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ آلان نيفيتر. هنرى ستيل كوماجر)

التوسع الاستبدادى فى الحرب حركة انتقادية حادة جداً داخل مجلس الشيوخ الأمريكى[1]».

وقد عاث الجنود الأمريكيون فى كمبوديا فساداً.. يقول الصحفى بيتر آرنيت كشاهد عيان على المعركة:

«وفى مدينة سنول الصغيرة الواقعة فى الأراضى الكمبودية التى تعرضت للقصف الجوى وقذائف النابالم الحارقة شاهدت الجنود الأمريكيين وهم يقومون بسلب ونهب ما فى المتاجر من البراندى الكمبودى والأحذية وساعات اليد. وقبل أن يغادروا المكان كانوا يشعلون النار فى البيوت والمتاجر[2]».

وقد تسبب إعلان الرئيسى الأمريكى بغزو كمبوديا فى نزيد من الاضطرابات وذلك لأنه لم يكن قد حصل على موافقة الكونجرس، وكان الرئيس الأمريكى نيكسون يعتقد أن نجاح الهجمة ضد مواقع الفيتناميين فى كمبوديا وإن كان سيثير احتجاجات جديدة على حكومته غير أنه سيساعد على نجاح سياسة الفتنمة.

أما البروفوسير هنرى كيسنجر الذى أسهم بدور كبير فى اتخاذ قرار غزو كمبوديا فقد كان له رأى آخر، فقد كان يستنكر بشدة أن تتحمل الولايات المتحدة أى لوم على هذا الغزو ويقول فى ذلك:

«إن عناد الفيتناميين الشماليين حكم على كمبوديا أن تتحمل فى هذه الأثناء آلاماً مبرحة.. ونجحت فيتنام الشمالية فى جعل نفسها بلداً بريئاً صديقاً للسلام ضُرب بشدة من قبل غرباء قساوة![3]»

فهو يرى أن الولايات المتحدة لم تكن أبداً مخطئة فى غزوها لفيتنام بدايةً كما إنها لم تخطئ كذلك فى غزو كمبوديا بل اللوم كل اللوم فى المرتين على أهل فيتنام الأشرار الذين تطاولوا وقاوموا الجيوش الأمريكية التى جاءت تسلبهم بلادهم وأرضهم وحريتهم، وكان منم الطبيعى أن يرحبوا بهم ويلقون عليهم الورود والرياحين ويستقبلونهم استقبال الأبطال الفاتحين!

---

(١) (موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ آلان نيفيتر. هنرى ستيل كوماجر)

(٢) (مذكرات بيتر آرنيت)

(٣) (مذكرات هنرى كيسنجر ـ الجزء الثالث)

قصف لاوس:

وكما قصفت الطائرات الأمريكية كمبوديا فقد قصفت لاوس كذلك.

«امتد العدوان الأمريكي ليشمل لاوس أيضاً فقامت الطائرات الأمريكية العملاقة بقصف العديد من المناطق في لاوس بشكل كثيف، بحجة أنها كانت تشكل قواعد لانطلاق الفيت كونج[1]..».

وفي فبراير (شباط) ١٩٧٠ شنت الطائرات الأمريكية غارات عنيفة على أراضي لاوس لضرب مواقع الثوار الفيتناميين وقطع خطوط تموينهم.

ورغم أن اتفاقات جنيف لعام ١٩٦٢ تمنع وجود أي قوات أجنبية في لاوس إلا أن هذه الاتفاقات ـ كما هو واضح ـ في زمن الحروب الأمريكية لا تحظى بالاهتمام، فقد أقامت الولايات المتحدة في مطلع السبعينات قاعدتين عسكريتين في شمال لاوس ثم أعقبتهما بقاعدة ثالثة لها في الجنوب.

وقد ردد بعض المسئولين في واشنطن تصريحاً مفاده أن لاوس تعتبر أكثر أهمية للولايات المتحدة من فيتنام نفسها مما دفع البعض للسخرية من سياسة الولايات المتحدة على صفحات الجرائد قائلاً: «إن كانت لاوس أكثر أهمية من فيتنام والجيوش الأمريكية في فيتنام فاق عددها النصف مليون، فكم يا ترى سترسل واشنطن إلى لاوس!

السبعينيات وبداية عقد جديد

كانت الولايات المتحدة قد توقفت عن القصف الجوي لفيتنام الشمالية منذ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٦٨ بإعلان من الرئيس الأمريكي جونسون رغبةً في استمرار المفاوضات، وعندما حل عام ١٩٧٠ كانت أخبار الغارات التي يشنها الثوار الفيتناميون تتوالى بصورة يومية رتيبة وإن اختلف حجم الهجمة وتفاوتت أعداد الضحايا من الأمريكيين أو من جيش فيتنام الجنوبية الموالي لأمريكا.

وكأنما برع الفيتناميون وتخصصوا في نموذج هجوم التيت فصاروا يكررونه كل عام ربما لأكثر من مرة بصورة مصغرة، ففي مطلع شهر إبريل (نيسان) عام ١٩٧٠ قام الثوار بشن هجوم صاعق على غرار هجوم التيت استهدف ٢٤٢ موقعاً في ليلة واحدة.

(١) (الصراع على العالم ـ جان النشتاين)

وكان على السلطات الأمريكية أن تبحث عن الرد المناسب لهذا التصعيد لذا فقد قامت الطائرات الأمريكية بأول غارة لها على فيتنام الشمالية فى مطلع مايو (أيار) ١٩٧٠ بعد توقف عن قصف الشمال دام قرابة عام ونصف.

وفى أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧١ تكرر الأمر عندما هاجم الثوار كل المدن الكبرى فى فيتنام الجنوبية بالمدافع فى وقت واحد احتجاجاً على انتخابات الرئاسة التى تجرى فى فيتنام الجنوبية وكان الرد ـ كالمعتاد ـ مزيداً من القصف الأمريكى المكثف.

ورغم تكرار عمليات التمرد بين وحدات القوات الأمريكية، واتساع حركة «رفض مواصلة الحرب» بين صفوفهم، ومئات التوقيعات التى كانت تصل إلى الكونجرس الأمريكى من الجنود الأمريكيين فى فيتنام وآلاف المتظاهرين المعارضين لاستمرار المعركة فى فيتنام الذين حاصروا البيت الأبيض فى نهاية أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧١.

رغم ذلك كله فقد شنت القوات الأمريكية هجوماً جوياً عنيفاً على فيتنام الشمالية قبل أن ينتهى عام ١٩٧١ استمر لخمسة أيام متواصلة، وأعلنت القيادة الأمريكية أن الهجوم قد اشتركت فيه ٣٥٠ طائرة وقامت بما يفوق الألف غارة على الشمال الفيتنامى.

وبينما كانت السلطات الأمريكية تصعد هجماتها من جهة وتبحث من جهة أخرى عن نهاية مشرفة لهذا المأزق الذى تورطت فيه أقدمت القوات الفيتنامية على عمل عسكرى جديد زاد من حرجهم.

ففى ٣٠ مارس (آزار) ١٩٧٢ قامت قوات فيتنام الشمالية بهجوم عاصف تخطوا فيه الخط الفاصل بين البلدين كما تمكنوا من استعادة السيطرة على مناطق استراتيجية هامة.

وكبدوا القوات الأمريكية خسائر كبيرة.

ورداً على ذلك استأنفت القوات الأمريكية قصفها الجوى على الشمال وقامت القوات الأمريكية بتلغيم الأنهار بالإضافة إلى تلغيم الميناء الأساسى فى فيتنام الشمالية (ميناء هايفونج) كما تعمدت تدمير الاقتصاد الفيتنامى فى الشمال بضرب المدن وتدميرها تدميراً تاماً وقصف المدارس ومشاريع المياه والسدود والخزانات.

وكما يعبر هنرى كيسنجر فى ضيق وحنق عن هذا الموقف بقوله:

«لم يكن لدى حكوماتنا الجديدة الفتية رغبة أعز من وضع حد للأعمال العدوانية. رغبة أجاب عليها الفيتناميون الشماليون بتصعيد قتالى متعمد منسقين ـ بمهارة ـ أعمالهم العسكرية[1]».

«وفى إبريل (نيسان) أعلن عن استئناف القصف رسمياً ضد أهداف داخل أراضى فيتنام الديمقراطية، بحجة الانتقام من الهجمات العسكرية الواسعة فى الجبهة الجنوبية، وفى مايو (أيار) تم تلغيم الموانى الشمالية وحصارها بأوامر شخصية من الرئيس نيكسون، وأعلن البنتاجون بكل صراحة أن كل الأهداف الفيتنامية ستكون مباحة أمام قاذفات طائرات ب ٥٢. موجات القصف الجوى والتلغيم استؤنفت فى أواخر يونيو (حزيران) وفى أكتوبر (تشرين أول) لكن أكثرها ضراوة وقعت فى الفترة من ١٨ إلى ٢٩ ديسمبر (كانون أول)[1]».

«صبت القوات الأمريكية بين ١٨ و ٣٠ ديسنبر (كانون أول) ١٩٧٢ خلال غارات مكثفة ٤٠ ألف طن من القنابل على مدينة هانوى عاصمة الشمال ذهب ضحيتها ١٣١٨ قتيل و ١٢١٦ جريح من سكانها المدنيين[2]».

وأجمع المحللون على أن القيادة الأمريكية كانت تهدف من وراء هذا التصعيد إلى الضغط بأكبر قوة ممكنة على السلطات الفيتنامية فى الشمال لقبول الحلول السياسية هرباً من الجحيم الذى تسببه المعركة لجيوشها.. وكان الفيتناميون يعلمون أن الهجمة إنما هى عقاب لهم على عدم استجابتهم للمطالب الأمريكية وضغطة تدفعهم للاستسلام لكنهم لم يستسلموا..

«فى باريس ومع بداية ديسمبر (كانون أول) ١٩٧٢ لم تسفر المحادثات بين الفيتناميين والمفاوض الأمريكى عن أى تقدم، وفى الثالث عشر من ديسمبر (كانون أول) هدد كيسنجر بأنهم سيبدأون القصف المكثف فى خلال ثلاثة أيام إذا لم يبد المفاوض الفيتنامى تجاوباً مع التصور الأمريكى.. وفى الرابع عشر من ديسمبر (كانون أول) تم استدعاء كيسنجر لمقابلة هامة فى البيت الأبيض أخبره الرئيس نيكسون فيها عن إعلانه بدء قصف هانوى بطائرات ب ٥٢ العملاقة بعد ثلاثة أيام.. وخلال هذه الهجمة أسقطت طائرات ب ٥٢ أكثر من ٣٥ ألف طن من القنابل على الشمال الفيتنامى.. وإن كان خلالها كذلك أسقط الفيتناميون ٨١ طائرة أمريكية منها ٣٤ طائرة من طراز ب ٥٢ كما أسروا

(١) (التجربة العسكرية الفيتنامية ـ على فياض)

(٢) (معجم الحروب ـ فردريك معتوق)

٤٠ طياراً أمريكياً».

(نقلاً عن كتاب The 30 -- year war)

ولكن هذه الهجمة الأمريكية الشرسة كانت هى الأخيرة من نوعها، أو كما وصفها البعض كانت المشهد الأخير لاستعراض «القوة» الأمريكية.

الانسحاب الأمريكى

ومع مطلع عام ١٩٧٣ كانت المفاوضات الفيتنامية ـ الأمريكية تسير حيناً وتتعثر أحيان أخرى. ومن جديد هدد الرئيس الأمريكى نيكسون باستخدام الأسلحة الذرية إذا لم تنجح المفاوضات فى التوصل إلى حل ينهى القتال.

وفى منتصف يناير (كانون ثانى) ١٩٧٣ أعلن الرئيس الأمريكى الوقف الكلى للغارات الجوية والعمليات الهجومية على فيتنام الشمالية تمهيداً لاتفاقات السلام التى نجحت المفاوضات فى التوصل إليها.

وأخيراً.. أخيراً فى ٢٧ يناير (كانون ثانى) ١٩٧٣ فى العاصمة الفرنسية باريس تم توقيع اتفاق سلام بين أطراف أربعة هى: فيتنام الشمالية، جبهة التحرير الوطنية (فيت كونج)، الولايات المتحدة، حكومة فيتنام الجنوبية. وقد شهد على اتفاقات السلام المعقودة الصين وفرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفييتى.

«وفى نهاية الأمر، وتحت ضغط الرأى العام الأمريكى والانتصارات المذهلة لقوات جبهة التحرير الوطنى لجنوب فيتنام بدعم من الشيوعيين فى الشمال اضطرت الولايات المتحدة إلى توقيع اتفاقية فى باريس فى ٢٧ يناير (كانون ثانى) ١٩٧٣ وبموجبها انسحبت القوات الأمريكية من جنوب فيتنام[١]».

وبمقتضى هذا الاتفاق بدأت الجيوش الأمريكية فى الانسحاب من فيتنام والعودة من حيث أتت، واستغرق انسحابها نحو عشرين شهراً من تاريخ توقيع الاتفاق.

وبانسحاب الجيوش الأمريكية صارت حكومة الجنوب مسئولة وحدها عن التصدى والصمود أمام قوات الشمال الفيتنامى وقوات الفيت كونج، لكن الولايات المتحدة لم تدعها

(١) (موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر ـ د. ميلاد أ. المقرحى)

تقف بغير مساندة..

«وطبقاً لهذه المعاهدة فقد تعهدت الولايات المتحدة بسحب قواتها من فيتنام على أن تستمر فى سد احتياجات سايجون من السلاح والمعدات. وقد خلفت أمريكا وراءها فى الجنوب عتاداً كان يمكن أن يحيل فيتنام الجنوبية إلى واحدة من أكبر الدول البحرية فى العالم ورابع أكبر جيش وسادس قوة جوية فى العالم كله[1]».

ولكن كل هذا العتاد لم يمنع اجتياح جيوش فيتنام الشمالية للجنوب الفيتنامى لتحقيق الوحدة بعد أن انسحبت الجيوش الغازية.

نهاية الصراع الفيتنامى وإعلان قيام فيتنام الموحدة

«وفى ٣٠ إبريل (نيسان) ١٩٧٥ دخل الشماليون وحلفاؤهم من الجنوبيين إلى سايجون. وانتهى بذلك صراع خمسة وعشرين عاماً من أجل قيام دولة فيتنامية مستقلة، أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فإن العشرين عاماً من التدخل والحرب فى فيتنام لم تكن فقط بمثابة هزيمة عسكرية فحسب وإنما كانت كارثة سياسة ودبلوماسية ونفسية ومعنوية[2]».

وفى ٢ يوليو (تموز) ١٩٧٦ أعلن قيام جمهورية فيتنام الاشتراكية الموحدة بعد مرور ٢٢ سنة على تقسيم البلاد.

أما الدولة الموحدة الجديدة فقد أصبحت هانوى عاصمتها بعد أن كانت عاصمة الشمال، كما أخذت الدولة الجديدة كذلك علم الشمال ونشيده القومى والعملة الشمالية، وشغل الشماليون كل المناصب الحكومية الكبرى.

أما سايجون عاصمة الجنوب فقد مُحى اسمها من الخريطة وحملت اسمها الجديد.

«هو شى منه» نسبة إلى الزعيم الفيتنامى الذى قاد النضال وتوفى فى أثناء المعركة.

فى سبتمبر (أيلول) عام ١٩٦٩.

وهكذا انتهت هذه المعركة ذات الأرقام المذهلة. «وقد أحصيت القنابل التى ألقيت على

---

(١) (موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ آلان نيفيتر. هنرى ستيل كوماجر)

(٢) (موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ آلان نيفيتر. هنرى ستيل كوماجر)

فيتنام من قبل الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب فتبين أن ما ألقى على فيتنام الشمالية يزيد بثلاث مرات عما ألقى خلال الحرب العالمية الثانية بالكامل.. كما استخدمت الولايات المتحدة قنابل النابالم المحرمة دولياً، كما استخدمت الغازات السامة والقنابل البيولوجية[1]».

«بلغ ما أسقط من قنابل فوق فيتنام أثناء حكم نيكسون الذى استمر ثلاث سنوات فقط كل ما أسقط من قنابل فوق آسيا وأوربا مجتمعين فى الحرب العالمية الثانية[2]».

وحسب ما أعلنته وزارة الدفاع الأمريكى (البنتاجون) فى وقتها وتناقلته وسائل الإعلام – ونشرته جريدة الأهرام المصرية – وقتها أن وزن القنابل والمتفجرات التى أسقطتها الولايات المتحدة على أراضى فيتنام الشمالية وقواعد الثوار فى فيتنام الجنوبية بلغت ٧ ملايين و ١٠٠ ألف طن بخلاف الصواريخ..

«إن عدد القنابل التى أُلقيت أثناء حملة التأديب هذه (على دول الهند الصينية كلها) يُقدر بحوالى ٢٨٥ مليون قنبلة وصاروخ، مما يعنى أن نصيب الفرد الواحد من شعب منطقة الهند الصينية هو ٧ قنابل[3]!».

«والحصيلة النهائية تضع حرب فيتنام فى طليعة الحروب من حيث دمارها ونتائجها المادية والمعنوية، وعلى الصعد كافة فقد كانت إحدى أشرس وأقصى وأكثر الحروب التى شهدها القرن العشرين تكلفة[4]».

(١) (الصراع على العالم – جان النشتاين)

(٢) (موجز تاريخ الولايات المتحدة – آلان نيفيتر. هنرى ستيل كوماجر)

(٣) (حضارة الدم وحصادها – نزار بشير)

(٤) (معجم الحروب – فردريك معقوق)

قوة المقاومة فى حرب العصابات
« ماوتسى تونج »
زعيم الصين
وتجربة مقاومة الغول اليابانى

بعض الاستنتاجات

«تسجل التجارب التاريخية بالدم والحديد»

ماوتسى تونج- ١٩٣٧

يبرز الفرق الأساسى بين مقاومة الأنصار الوطنيين وبين حركة العصابات الثورية فى أن الأولى تفتقر عادة إلى المحتوى العقائدى الذى يميز الأخيرة دائماً.

وتتميز المقاومة بما فيها من الطبيعة التلقائية، فهى تبدأ أولاً ثم يجرى تنظيمها فيما بعد. أما حركات العصابات الثورية فتنظم أولاً، ثم تبدأ فيما بعد.

ولا تتم تصفية المقاومة إلا نادراً، إذ أنها تنتهى عندما يتم طرد الغزاة، أما الحركة الثورية فلا تنتهى إلا عندما تنجح فى استبدال الحكم المفروض أو عندما تتم تصفيتها.

وتشير التجارب التاريخية إلى عدم وجود أمل فى القضاء على حركة العصابات الثورية بعد أن تكون قد تجاوزت مرحلتها الأولى وحققت التأييد العطوف من قسم كبير من السكان. وقد يختلف حجم هذا (القسم الكبير)، إلا أن الرقم الحاسم قد يتردد بين ١٥و ٢٥ فى المائة.

وهناك عوامل أخرى بالإضافة إلى البرنامج الذى يجتذب التأييد الشعبى تتصل بصورة طبيعية بقدرة الحركة على البقاء والتمدد، وأعنى بها طبيعة الأرض الجغرافية، والمواصلات، ونوعية القيادة المعارضة، ووجود المساعدة المادية والمعونة الفنية، والمستشارين أو المتطوعين من المصادر الأجنبية أو الافتقار إليها، وتوفر الملجأ الأمين، والكافة العسكرية القائمة، والمرونة السياسية عند الحكم المعادى المفروض.

وتختلف أوضاع حروب العصابات الثورية فى نواح معينة بالطبع. ولكن إذا تم تحليل

حركة كاسترو مثلاً فى ضوء العوامل التى عددتها تحليلاً موضوعياً فى الفترة الأخيرة من مرحلتها الأولى أمكن أن تبدو «احتمالات بقائها ونموها» على النحو المبين فى الشكل الأول اللاحق.

ولو قام محلل محايد وغير متحيز بتطبيق هذه القواعد على فيتنام قبل ستة أشهر أو ثمانية من التفجر الأخير لتوصل إلى صورة تشبه تلك الماثلة فى الشكل الثانى اللاحق.

فقد كانت العوامل المقررة (أ) و (ب) و (ح) و (ط) هناك مواتية للعصابات بشكل واضح إذ كان الملاذ الأمين موفورا لها أيضاً على النقيض من الوضع بالنسبة إلى حركة كاسترو. وهناك مقرران آخران وهما (جـ) و (د) يبدوان فى حالة متوازية أيضاً. وبالرغم من أن الفييتمنة كانوا قد أظهروا مقدرة تكتيكية متفوقة فى أوضاع حروب العصابات إلا أن فى وسع أى مراقب خبير أن يكون محقاً فى تقدير وجود كفاية عسكرية متكافئة، إذ أن الفرنسيين كانوا يتعلمون.

وبالرغم من أنه كان فى الإمكان إيراد مقررات أخرى، إلا أن تلك التى استعملت كانت صادقة كما أعتقد، كما أن الأرقام المسجلة ذات دلالة واضحة، وتظهر هذه الأرقام أن احتمالات كاسترو للنجاح قد قدرت تقريباً بنسبة ثلاثة إلى اثنين بينما كانت احتمالات هوشيه مينه بنسبة أربعة إلى ثلاثة.

وقد يوجه النقد إلى هذا التحليل على اعتبار أنه تم وضعه بعد ظهور النتائج، إلا أننى أعتقد على أى حال أنه كان فى الإمكان التكهن بالنتائج فى كوبا والهند الصينية قبل وقت طويل من انتقال الحركتين المذكورتين من المرحلة الأولى التى تمثل التنظيم وتثبيت المواقع.

وهناك اهتمام بالغ فى الوقت الحاضر بالآلات والأجهزة وتطويرهما. وأعطت مجلة النيوزويك فى عددها الصادر فى ٣ يوليو من عام ١٩٦١ مثلاً طيباً عن هذه الطريقة المحددة فى معالجة المشكلة فقالت:

البنتاجون: تقوم البحرية الأمريكية الآن بإجراء الاختبارات على سلاح شيطانى وعبقرى لمكافحة العصابات. ويتمثل هذا السلاح فى متفجر سائل بطىء المفعول. ينطلق من مدفع أشبه ما يكون بقاذفات اللهب، ويتسلل إلى الأوكار والهضاب. وإذا ما استمد الأوكسجين بعد لحظات من الهواء، انفجر بقوة هائلة.

ونحن نفترض أن العصابات تختفى فى الأوكار والهضاب، منتظرة وصول عدد من أمراء البحر (الأميرالات) الأمريكيين. وقد سلحوا بهذه المدافع القاذفة للهب ليطلقوا قذائفهم ثم يعودوا إلى أقرب ناد من النوادى العسكرية. ولا ريب فى أن كل من يعرف شيئاً عن حرب العصابات وفلسفتها الثورية وعقيدتها . يرى أن هذا القول ليس بالمزاح الذى يبعث السرور فى النفس. فليس ثمة من علاجات ميكانيكية لهذه الحرب.

وأنا لا أعنى بالطبع أن الأسلحة الصالحة والمعدات لن تلعب دوراً مهماً فى العمليات المضادة للعصابات، إذ أنها ستلعب مثل هذا

الشكل رقم (١) وضع العصابات الثورى فى كوبا

القرارت من صفر إلى عشرة	كاسترو	حكم باتيستا المفروض	ملاحظات
(أ) اجتذاب البرنامج للجماهير	تقدمي + (٨)	جامد- (٣)	حكومة باتيستا رجعية وظالمة
(ب) التأييد الشعبي	متزايد وفعال (٧)	متناقص وسلبي (٣)	
(جـ) نوعية القيادة	ممتاز ومخلصة(٨)	دون المتوسط وسيئة (٤)	
(د) نوعية الجنود	جيدة ومتحسنة إلى ممتازة (٨)	جيدة وهابطة إلى المتوسط (٥)	
(هـ) الكفاية العسكرية	متزايدة (٨)	من متوسطة إلى سيئة (٤)	في أوضاع العصابات
(و) الوحدة الداخلية	ايجابية وقوية (٨)	ضعيفة (٣)	
(ز) المعدات	سيئة تحسن في طريق الجودة (٨)	أمريكية إلى حد كبير ممتازة (٨)	أجهزة راديو، نقل، معدات طبية الخ..
(ح) موقع الأرض الجغرافي	مناسب للعمليات (١٠)	غير مناسب (٣)	
(ط) مواصلات الوقع	مناسبة للعمليات (١٠)	غير مناسبة (٣)	متوافرة من الاعتماد على الغير
(ى) الملجأ الأمين	لا وجود له (صفر)	بقية الجزيرة (١٠)	متوافرة للراحة وإعادة التدريب والمعدات
المجموع	٦٩	٤٦	

الشكل رقم (٢) وضع العصابات الثورى فى فيتنام

المقررات من صفر إلى عشرة	هوشي منه	الحكم الفرنسى المفروض	ملاحظات
(أ) اجـتـذاب البـرنامج	متحرك (٧)	لا برنامج (صفر)	
للجماهير	متزايد (٧)	متضائل وضعيف (٣)	
(ب) التأييد الشبعي	جيدة (٧)	جيدة (٧)	في أوضاع العصابات
(جـ) نوعية القيادة	جيدة ومتحسنة (٦)	جيدة جداً (٧)	من الصين أو يستولى
(د) نوعية الجنود	جيدة جداً (٨)	جيدة (٦)	عليـها من الفرنسـيين
(هـ) الكفاية العسكرية	ممتازة (٨)	ممتازة (٨)	
(و) الوحدة الوطنية	حسنة ومتحسنة (٧)	جيدة عادة (٩)	
(ز) المعدات	مناسب (١٠)	غير مناسب (٥)	
(ح) موقع الأرض الجغرافى	مناسبة (١٠)	غير مناسب (٥)	
(ط) مواصلات الموقع	متوافر في الصين (٨)	في بقية الهند الصينية	
(ى) الملجأ الأمين	٧٨	(١٠)	
المجموع		٦٠	

الدور. ومن الضرورى بذل الجهود المستمرة لتحسين المواصلات والأغذية والحقائب الطبية والجراحية. ومن الضرورى أيضاً تخفيض أوزان الأسلحة والذخيرة تخفيضاً كبيراً. فليس ثمة كما يبدو أية أسباب تقنية تحول دون تطوير أية بنادق أوتوماتيكية وخفيفة ودقيقة تزن أربعة أرطال أو خمسة على أكثر تقدير.. ويجب فى الوقت نفسه استمرار البحث عن أسلحة جديد وفعالة.. ولكن علينا أن ندرك أن «المدافع القاذفة للهب» وقذائفها ليست إلا جزءاً صغيراً للرد على ما فى المشكلة المعقدة من تحد.

ولقد أصبح الموقف الفعال للفريق «الثالث» فى حروب العصابات الثورية، وما يقدمه هذا الفريق لهذا الجانب أو ذاك من مساعدات وتوقيتها وطبيعتها ومداها. ذا أهمية كبيرة. ولا ريب فى أن هذه القضية سياسية من ناحيتها الأساسية. فالمسئولية فى اتخاذ أى قرار

للتدخل، لابد أن تقع وبصورة طبيعية على عاتق رئيس الدولة. لكن أية مساعدة لابد أن تتوقف على أى حال، قبل حدوث التدخل فى النزاع. ويجب أن يقتصر دور الفريق الثالث على المشورة وتقديم المعدات والتدريب الفنى.

ولتوقيت تقديم المساعدة أهميته الكبرى. ولو كانت هذه المساعدة مقدمة إلى الحكومة التى تفرض نفسها، فإنها يجب أن تقدم، قبل أن تختفى فرصتها فى عزل الحركة الثورية ومحوها، أما إذا كانت مقدمة إلى الجانب الثورى، فمن الواجب توفيرها أيضاً فى نفس الفترة الحرجة، أى عندما تكون الحركة قوية، ويكون وجود المساعدة قضية تتعلق بحياتها أو موتها.

ويمكن تلخيص عمليات مكافحة العصابات من وجهة النظر العسكرية الصافية فى ثلاث كلمات وهى: تحديد الموقع وعزله وتصفيته. وعلينا أن نأخذ فى عين اعتبارنا ونحن نوجز تعرفينا لهذه الكلمات الثلاث، أن الأعمال المتعلقة بها لا تبوب تبويبا متزمتاً.

ويتطلب تحديد موقع العملية أو مواقع العمليات، دراسة دقيقة للوضع الجغرافى، كما يتطلب استكشافية تصويرية وطبيعية، وتسللات إلى داخل الحركة. أما العزل فينطوى على الفصل بين العصابات الثورية وبين مصادر معلوماتها وتموينها بالغذاء. وقد تتطلب عملية العزل، تهجير مجموعات كبيرة من السكان وإعادة اسكانها فى مناطق أخرى. وتتطلب عملية التصفية أول ما تتطلب معلومات موثوقة، ومرونة فائقة فى العمليات، ودرجة كبيرة من القدرة على الحركة. ولا ريب فى أن المظليين والفدائيين الذين يستخدمون طائرات الهليكوبتر فى تحركاتهم يعتبرون من العناصر المهمة فى هذه العملية.

ومن الواجب استخدام أساليب العصابات فى محاربة العصابات، وذلك عن طريق مهاجمتها باستمرار، ومضايقتها بصورة متواصلة، ومن الضرورى بذل كل جهد لحمل أفرادها على التفرق عنها والخروج عليها، ولوضع اليد على أكبر عدد ممكن من الأسرى. فلا ريب أن أفضل مصدر للمعلومات عن العدو، هم أولئك الذين يعرفون وضع العدو خيراً من غيرهم.

ومن الضرورى كل الضرورة العثور على قيادة جريئة وواسعة الإدراك والخيال. ويجب عند اختيار القادة على جميع المستويات أن تؤخذ هذه المزايا بعين الاعتبار. فقد يكون

الضباط وضباط الصف الذين يتميزون بأكثر من الكفاية فى الأوضاع العادية، مفتقدين إلى الفاعلية وغير نافعين عندما يواجهون الأوضاع الدينامية والمتميزة كل التميز التى تبدو فى حروب العصابات.

وهناك أخيراً موضوع ما إذا كان فى الإمكان خلق قوات فعالة لمحاربة العصابات. ترى أفى إمكان سربين من السمك حزم كل منهما أمره على تدمير الآخر أن يعيشا ويترعرعا فى نفس المكان؟ يعبر ماوتسى تونج عن رأى قاطع وجازم فى هذا الصدد، فهو على اقتناع بعجزهما عن الوجود معا، وأن الحرب المناهضة للعصابات الثورية مستحيلة.. ولو طبقنا قوله هذا على ما يستشهد به من تجارب الروس البيض وعصابات ميخائيلوفيتش فى يوجوسلافيا فهو على حق فى قوله. ولكن لو درسنا من الناحية الأخرى تاريخ الحركات فى اليونان فى عهد الاحتلال الألمانى، لتبين لنا أن نظريته لا تصمد فى ظل بعض الأوضاع المعينة لأى تحقيق دقيق. ولا ريب فى أن هذا يوحى لنا بالحاجة إلى تحليل دقيق للعوامل السياسية المتعلقة بكل وضع على انفراد.

ويقول ماوتسى تونج أن الظواهر التى درسناها تخضع لقوانينها الخاصة بها، وليست من الطراز الذى يمكن التكهن به، ولو صح رأيه هذا، وأنا أعتقد أنه صحيح، فإن فى الإمكان منع هذه الظواهر من الظهور، أو السيطرة عليها وإزالتها من الوجود بعد ظهورها. وإذا كانت التجارب التاريخية قد علمتنا شيئاً من حروب العصابات الثورية، فهو أن الأجراءات العسكرية وحدها ليست كافية لمواجهتها.

ملاحظات

ستدخل الحرب غير المعلنة بين الصين واليابان عامها الخامس فى شهر يوليو من عام ١٩٤١. وكان من أبرز مميزات هذا الصراع، تنظيم الشعب الصينى ليقوم بحرب عصابات لا حدود لها. ولا ريب فى أن تطور هذه الحرب سار على الصورة التى وضعها ماوتسى تونج ومساعدوه فى الكتيب المسمى «حرب العصابات» (يوشى شان)، الذى طبع فى عام ١٩٣٧، ووزع على أوسع نطاق ممكن فى «الصين الحرة».

وليس ماوتس تونج عضو الحزب الشيوعى الصينى، والقوميسار السياسى السابق فى الجيش الأحمر الرابع، بالحديث العهد فى فن الحرب. فقد جعلت منه تجاربه القتالية الفعلية مع الجنود النظاميين ورجال العصابات خبيراً من الخبراء العسكريين.

ولا ريب فى أن كل من قرءوا «كتاب الحرب» يستطيعون أن يتبينوا تأثير الفيلسوف العسكرى القديم سان تزو على تفكير ماوتسى تونج العسكرى. فقد كتب هذا الفيلسوف أن السرعة وعنصر المباغتة والتعمية هى أسس الهجوم، وما زالت نصيحته الحكيمة «بأحداث الاضطراب فى الشرق وتوجيه الضربة فى الغرب» صالحة اليوم صلاحها عندما كتبها قبل نحو من ٢٤٠٠ عام. وما زالت الأساليب التى حددها سان تزو هى عين أساليب حرب العصابات التى تسير عليها الصين اليوم.

ويقول ماو: أن حرب العصابات التى لا نهاية لها، بما فيها من عوامل واسعة تتعلق بالزمان والمكان، قد أوجدت نظرية عسكرية جديدة. ويبدو أن هذا القول صحيح تماماً طالما أنه ليست هناك أمثلة تاريخية أخرى على حروب للعصابات ثم تنظيمها من النواحى العسكرية والسياسية والاقتصادية على النحو الذى نظمت فيه حروب الصين. ولم يسبق لنا نحن رجال البحرية الأمريكية أن واجهنا سوى حروب محدودة للغاية من حرب العصابات، تبدو بدائية إلى حد ما. ولذا فإن ما كتبه ماو عن هذا الطراز من حرب العصابات يهمنا كل الأهمية.

وقد حاولت أن أعرض أفكار المؤلف بصورة دقيقة، ولكن لما كانت اللغة الصينية ليست وسيلة صالحة تماماً للتعبير عن الأفكار التقنية، فإن ترجمة بعض الاصطلاحات الحديثة

التى لا توجد فى المعاجم المتوافرة يمكن أن تكون موضع تساؤل ومناقشة. وليس فى وسعى على أى حال أن أؤكد دقة أعادة ترجمة بعض الفقرات التى ترجمت إلى الصينية من لغات أخرى. وقد سمحت لنفسى بأن أحذف من الترجمة بعض الأجزاء المكررة(١).

* * *

سبق لى أن كتبت هذه الملاحظة السابقة قبل نحو من واحد وعشرين عاماً، ولكننى لا أرى الآن حاجة إلى توسيعها.

وكثيراً ما يخلط الناس بين كتاب «حرب العصابات» الذى صدر فى عام ١٩٤٠ وبين مقالات ماو المتأخرة والصادرة فى عام ١٩٣٨ تحت عنوان «المشاكل الاستراتيجية فى حرب العصابات ضد اليابان»، والتى صدرت طبعتها الانجليزية فى عام ١٩٥٢ عن دار الشعب للنشر فى بكين. فهناك أوجه شبه كبيرة بين هذين المؤلفين.

وهنا لابد من القول بأننى حاولت الحصول على نسخة صينية من كتيب «حرب العصابات» لأفحص صدق ترجمتى، ولكننى لم أعثر على مثل هذه النسخة. ولا ريب فى أن فى الإمكان ضمان بعض التحسن فى الترجمة لو أتيح لى الحصول على هذه النسخة.

وكتب ماوتسى تونج هذا الكتيب أثناء نضال الصين ضد اليابان. وهناك اشارات كثيرة فيه بصورة طبيعية إلى الخطط الاستراتيجية التى لابد من استخدامها ضد اليابانيين. لكن هذه الإشارات لا تؤثر اطلاقاً على نظرية ماوتسى تونج الأساسية. فعندما يقول ماو مثلاً: «إن هذه الحرب من حروب المقاومة إذا فصمت نفسها عن جماهير الشعب، تتعرض فوراً لخطر انفصامها عن الأمل فى تحقيق النصر على قوات تشيان كايشيك». ولكنه لم يقل هذا بصراحة فى ذلك الحين، إذ أن الفريقين كانا لا يزالان حتى تلك اللحظة يحاولان الإبقاء على وهمهما فى الاحتفاظ «بالجبهة المتحدة». ويقول ماو: «وأن سياستنا الأساسية خلق جبهة وطنية متحدة ضد اليابان». لكن هذه السياسة لم تكن بالطبع أساسية للحزب الشيوعى الصينى، لا فى ذلك الحين ولا فى أى وقت آخر. فقد كانت سياسة الحزب دائماً السيطرة على الدولة، وكان طراز حروب العصابات الثورية التى شرحها ماوتسى تونج، السلاح الرئيسى الذى استعمله فى العملية الطويلة الناجحة لتحقيق هذه الغاية.

يوليو ١٩٦١

العميد: صمويل جريفيث

---

(١) كوانتيكو- فرجينيا- عام ١٩٤٠

تجربة الصين ضد اليابان
ما حرب العصابات؟

تعتبر عمليات العصابات جزءاً لابد منه فى كل حرب تحمل الطابع الثورى. ويصح هذا بوجه خاص على الحرب التى تشن لتحرير شعب يقيم فى بلاد واسعة. ولا ريب فى أن الصين بلاد من هذا النوع، لأن مهاراتها الفنية مازالت متخلفة، ولأن مواصلاتها سيئة، وهى تجد نفسها فى مواجهة أمبريالية يابانية قوية وظافرة وكان لابد فى مثل هذه الظروف من تطوير طراز حرب العصابات الذى يتميز بنوعية «خاماتها» لأن هذا التطوير طبيعى وضرورى. فمن الواجب تطوير هذه الحرب إلى حد لم يسبق له مثيل من قبل، ويجب التنسيق بينها وبين العمليات التى تقوم بها الجيوش النظامية. ولو أننا تقاعسنا عن أن نفعل ذلك لكان من العسير علينا أن نهزم العدو.

ويجب ألا تعتبر حروب العصابات هذه شكلاً مستقلاً من أشكال الحرب. فهى ليست فى الواقع إلا خطوة فى طريق الحرب الشاملة، وصورة من صور النضال الثورى. وهى النتيجة الحتمية للتصادم بين الظالم والمظلوم عندما يبلغ الأخير نهاية حدود صبره. ولقد بدأت هذه الحركات عندنا فى وقت بات فيه متعذراً على الناس احتمال المزيد من الأمبرياليين اليابانيين. ويقول لينين فى كتابه «الشعب والثورة»: أن عصيان الشعب وثورته أمران طبيعيان وحتميان. ونحن نعتبر حرب العصابات صورة من حربنا الشاملة أو الجماهيرية، لأن هذه الجماهير وهى مفتقرة إلى مزية الاستقلال، عاجزة فى حد ذاتها عن إيجاد الحل للصراع.

ولحرب العصابات خصائصها وأهدافها التى تتميز بها عن غيرها. فهى السلاح الذى تستخدمه البلاد الفقيرة فى سلاحها ومعداتها العسكرية ضد بلاد معتدية أقوى منها. وعندما يتمكن الغزاة من التوغل فى قلب البلاد الضعيفة فيحتلون أراضيها بطريقة شرسة

وظالمة تصبح أوضاع الأرض الجغرافية والمناخ، والمجتمع بصورة عامة عقبات ولا ريب فى طريق تقدمه، ويمكن لأولئك الذين يقاومون هذا التقدم أن يفيدوا منها لمصلحتهم. ونحن نحول هذه المزايا فى حرب العصابات إلى هدف مقاومة العدو وانزال الهزيمة به.

وتتحول العصابات أثناء سير العمليات الحربية بصورة متدرجة إلى قوى نظامية تقليدية، تعمل بالتعاون مع الوحدات الأخرى من الجيش النظامى. وهكذا تتوحد القوات المنظمة النظامية، وتلك العصابات التى تطورت إلى أن بلغت تلك المرتبة، والعصابات الأخرى التى لم تصل بعد إلى هذه الدرجة من التطور، فتؤلف القوة العسكرية اللازمة للحرب الثورية الوطنية. وليس ثمة من شك فى أن النصر هو النتيجة النهائية لذلك كله.

وتتميز حرب العصابات فى تطورها وفى أسلوب عملها بخصائص مميزة لها. وسنشرع أولاً فى دراسة العلاقة بين حرب العصابات والسياسة الوطنية. ولما كانت مقاومتنا تحمل طابع مقاومة البلاد شبه المستعمرة ضد الامبريالية، فإن من الضرورى أن تحمل عملياتنا الحربية أهدافاً سياسية واضحة التحديد وأن تتحمل مسئوليات سياسية مقررة وثابتة. فهدفنا الأساسى خلق جبهة وطنية متحدة لمحاربة اليابانيين. ونحن نسير فى سياستنا هذه لتحقيق هدفنا السياسى، وهو تحرير الشعب الصينى تحريراً كاملاً. وهناك خطوات أساسية معينة لابد منها فى تحقيق هذه السياسة وهى:

١- أثارة الشعب وتنظيمه.

٢- تحقيق الوحدة الداخلية السياسية.

٣- إقامة القواعد.

٤- تجهيز القوات بالمعدات.

٥- بعث القوة الوطنية.

٦- تحطيم قوة العدو الوطنية.

٧- استعادة الأراضى السليبة.

وليس ثمة من سبب لاعتبار حرب العصابات معزولة عن السياسة الوطنية. فمن الواجب على النقيض من ذلك تنظيمها وتوجيهها بالاتفاق الكامل مع السياسة الوطنية

المعادية لليابان، ولا ريب فى أن أولئك الذين يسيئون فهم عمل العصابات، هم الذين يتفقون مع بين شى شان فى قوله: «أن موضوع عمليات العصابات قضية عسكرية مجردة وليست قضية سياسية». ولا ريب فى أن أولئك الذين يحملون وجهة النظر البسيطة هذه، قد عميت عيونهم عن رؤية الهدف السياسى، والنتائج السياسية لحرب العصابات. ولا ريب فى أن هذه النظرة البسيطة، ستدفع الشعب إلى فقد الثقة وبالتالى إلى هزيمتنا.

فما العلاقة بين الشعب وبين حرب العصابات؟ لابد لحرب العصابات من الفشل إذا لم يكن لها هدف سياسى، كما لابد من فشلها إذا لم تتفق أهدافها السياسية مع تطلعات الشعب، وإذا عجزت عن كسب عواطفه وتعاونه ومعونته. ومن هنا تكون حرب العصابات ثورية فى جوهرها. وليس ثمة مكان لعمليات العصابات من الناحية الأخرى، فى أية حرب من حروب الثورة المضادة. ولما كانت حرب العصابات تستمد وجودها من الجماهير، وتلقى التأييد منها، فإنها لا تستطيع أن توجد أو تزدهر إذا عزلت نفسها عن عواطف هذه الجماهير وتعاونها. وهناك على أى حال أناس لا يفهمون طبيعة حرب العصابات، ولا يدركون ما فى حروب العصابات الشعبية من خصائص مميزة، إذ يقولون: «إن القوات النظامية وحدها هى القادرة على القيام بعمليات العصابات». وهناك آخرون يدفعهم عدم إيمانهم بالنصر النهائى لعمليات العصابات إلى الخطأ فى القول.. كما يقول بين شى شان: «إن حرب العصابات طراز غير مهم. وتثير التخصص من العمليات الحربية، لا مكان فيه لجماهير الشعب» وهناك آخرون من طراز بيه شينيج يستخفون بالجماهير، ويقللون من قدر مقاومتها، عندما يقولون أن الشعب لا يفهم طبيعة حروب المقاومة. ففى اللحظة التى تعزل حروب المقاومة نفسها فيها عن جماهير الشعب، تعزل نفسها عن الأمل فى تحقيق النصر النهائى على اليابانيين.

وكيف يكون تنظيم حرب العصابات يا ترى؟ بالرغم من أن جماعات العصابات التى تنبع من جماهير الشعب، تكون مفتقرة إلى التنظيم عند تشكيلها، إلا أنها تشترك فى ميزه أساسية واحدة، تجعل التنظيم ممكناً. فمن الضرورى أن تكون لوحدات العصابات قياداتها السياسية والعسكرية. ولا شك فى أن هذا القول صحيح مهما كان مصدر هذه الوحدات أو حجمها. وفى إمكان هذه الوحدات أن تنشأ على الصعيد المحلى من جماهير الشعب. وقد يتم تشكيلها من مزيج من الجنود النظاميين ومن جماعات الشعب، كما قد تؤلف من

وحدات متكاملة من الجيش النظامي. ولا يؤثر الكم المجرد على أي حال على هذا الموضوع. فمثل هذه الوحدات يمكن أن تؤلف من فصيل يضم عدداً صغيراً من الرجال، أو من فوج يضم عدة مئات، أو من لواء يضم بضعة ألوف.

ويجب أن يكون لجميع هذه الوحدات قادتها من الصلبيين في سياساتهم، الذى يتميزون بالتصميم والولاء والإخلاص والقوة. ومن الضرورى تثقيف هؤلاء تثقيفاً رفيعاً فى الأساليب الثورية. وأن يكونوا كثيرى الثقة بأنفسهم، قادرين على فرض الانضباط الصارم. وعلى الصمود فى وجه الدعايات المضادة. ويتبين من هذا أن على هؤلاء الرجال أن يكونوا مثلاً يقتدى به الشعب. وسيتمكن هؤلاء القادة مع مضى الحرب فى طريقها من التغلب بصورة متدرجة على الافتقار إلى الانضباط الذى يكون سائداً فى البداية، فيفرضون الانضباط على قواتهم، ويعززونها، ويضاعفون من كفايتها القتالية، وهكذا يكون فى الإمكان تحقيق النصر النهائى.

ولا يمكن لحرب العصابات غير المنظمة أن تسهم فى النصر، ولا ريب فى أن أولئك الذين يتهمون الحركة بأنها نوع من الفوضى وقطع الطرق لا يفهمون الطبيعة الحقيقية لحرب العصابات. وهم يقولون كما يقول بين شى شان: أن «الحركة مأوى للعسكريين الفاشلين وقطاع الطرق والأفاقين»، أملاً منهم فى الحط من سمعة الحركة ومكانتها. ونحن لا ننكر أن هناك عصابات فاسدة، وأن ثمة أناساً يشتركون تحت ستار حرب العصابات فى عمليات غير مشروعة. ونحن لا ننكر أيضاً أن فى الحركة الآن علامات على الافتقار إلى التنظيم، وهى علامات قد تكون خطرة حقاً، إذا حكمنا على حرب العصابات طبقاً للظواهر الفاسدة والوقتية التى ذكرناها. فعلينا أن ندرس هذه الظواهر الفاسدة وأن نعمل على إزالتها. لنشجع حرب العصابات ولنضاعف من فاعليتها العسكرية. ويقول لينين فيما كتبه عن حرب العصابات... «إنها تنطوى على جهد شاق، إذ أنها تفتقر إلى المساعدة، ولا يمكن حل مشكلتها فوراً. وعلى الشعب كله أن يحاول اصلاح نفسه إبان مضى الحرب فى سيرها. وعلينا أن نعلمه ونصلحه فى ضوء تجاربنا الماضية. ولا يمكن للشر أن يوجد فى حرب العصابات وإنما يوجد فى العمليات المفتقرة إلى التنظيم والانضباط والمسماة بالفوضى»..

وما الخطة الاستراتيجية الأساسية لحرب العصابات؟ يجب أن ترتكز هذه الخطة أول

ما ترتكز إلى اليقظة، والحركة والهجوم. ومن الواجب أن تتكيف من وضع العدو، والطبيعة الجغرافية للموقع، وخطوط المواصلات القائمة، والتناسب بين القوى، والطقس، ووضع الشعب.

وعلى قائد حرب العصابات أن يختار أسلوب التظاهر بالهجوم فى الشرق، ليوجه هجومه من الغرب، وعليه أن يتجنب المواقع الحصينة، وأن يهاجم المواقع الضعيفة، وأن يهاجم ثم ينسحب، ثم يوجه ضربة صاعقة، وينشد قراراً سريعاً كالبرق. وعلى العصابات عندما تشتبك مع عدو أقوى منها أن تنسحب عندما يتقدم وأن تواصل الضغط عليه عندما يتوقف، وأن توجه الضربة إليه عندما يتعب، وأن تطارده عندما ينسحب. وتمثل مؤخرة العدو وجناحاه وغير ذلك من النقاط الضعيفة، المراكز الحساسة فى خطط حرب العصابات الاستراتيجية، ولذا يجب الضغط عليه فيها، ومهاجمتها، وتبديد صفوفها، وانهاكها، وابادتها. وبهذه الطريقة وحدها تستطيع العصابات أن تؤدى رسالتها فى عمل العصابات المستقل، وبالتعاون مع الجهود التى تبذلها الجيوش النظامية. ولكن النصر لا يتحقق، بالرغم من الأعداد الكامل، إذا ارتكبت الأخطاء فى موضوع القيادة. ولا ريب فى أن حرب العصابات التى تستند إلى المبادىء التى ذكرناها، والتى تنفذ فى مساحات واسعة من الأراضى تكون فيها طرق المواصلات سيئة، هى التى ستسهم اسهاماً ضخماً فى هزيمة اليابانيين النهائية. وفيما يلى ذلك من تحرير شعب الصين.

ويجب التمييز بدقة بين طرازين من حرب العصابات. فاعتماد حرب العصابات الثورية على جماهير الشعب، لا يعنى فى حد ذاته استحالة تنظيم وحدات العصابات فى حرب تحمل طابع الثورة المضادة. ويمكن تصوير نماذج الطراز الأول فى عمليات العصابات الحمراء إبان الثورة الروسية، وعمليات الحمر فى الصين، وعمليات الأحباش ضد الايطاليين فى السنوات الثلاث الأخيرة، وعمليات السنوات السبع الأخيرة فى منشوريا. وحروب العصابات الواسعة النطاق الدائرة فى الصين اليوم ضد اليابان، فجميع هذه الصراعات تتم لمصلحة الشعب كله، أو الجزء الغالب منه، ويتمتع كل منها بأساس واسع من القوة البشرية الوطنية، كما يتمتع كل منها بالانسجام الكامل مع قوانين التطور التاريخى. ولقد وجدت هذه الصراعات وستستمر فى وجودها وفى ازدهارها وفى تطورها طالما أنها لا تتعارض مع السياسة الوطنية.

ويتناقض الطراز الثانى من حروب العصابات تناقضاً مباشراً مع قانون التطور التاريخى. وفى وسعنا أن نقدم كنماذج له وحدات عصابات الروس البيض التى قام دينيكين وكولشاك بتنظيمها، والواحدت التى نظمها اليابانيون، وتلك التى نظمها الايطاليون فى الحبشة، أو تلك التى تدعمها الحكومتان العميلتان فى منشوريا ومنغوليا، وأخيراً تلك التى سينظمها الصينيون الخونة فى بلادنا. فجميع هذه الوحدات قامت باضطهاد الجماهير، وكانت متناقضة مع المصالح الحقيقية للشعب.. ومن الواجب مقاومتها بصلابة وإصرار. ومن السهل القضاء عليها وتحطيمها لأنها تفتقر إلى القاعدة الشعبية العريضة.

ولو أننا عجزنا عن التمييز بين هذين الطرازين من حروب العصابات، فإننا سنقع على الغالب فى خطأ المبالغة فى تقدير أثرها عندما يقوم الغزاة بتطبيقها. وقد نصل إلى الاستنتاج بأن فى «إمكان الغزاة أن ينظموا وحدات من حرب العصابات من جماهير الشعب». ولكن هذا الاستنتاج سيضعف من ثقتنا بحرب العصابات. وهنا لابد لنا من أن نضع فى عين اعتبارنا التجارب التاريخية المستمدة من الصراعات الثورية.

وعلينا أيضاً أن نميز بين الحروب الثورية العامة، وبين تلك التى تحمل الطراز الطبقى الصرف. ففى الطراز الأول تجد شعب البلاد كلها، على اختلاف طبقاته وأحزابه، يخوض حرباً من حروب العصابات كأداة للتعبير عن السياسة الوطنية. وتكون قاعدة هذا الطراز والحالة هذه أوسع بكثير من قاعدة الصراع ذى الأساس الطبقى. ولقد ورد فى كتاب «الحرب الأهلية فى روسيا». عن حرب العصابات العامة «أن الشعب يصبح كثير التعاطف فى حالة تعرض البلاد للغزو، ويشترك أفراده جميعاً فى تنظيم وحدات العصابات. أما فى الحرب الأهلية، فإن العصابات لا تحقق نفس النتائج، مهما كانت درجة تطورها، التى تحقق عندما يتم تنظيم العصابات لمقاومة غزو أجنبى»[(١)] ولعل المظهر القوى الوحيد لحرب العصابات فى أى صراع داخلى، هو ما تتميز به من نقاء داخلى. فمن السهل توحيد طبقة واحدة، ودفعها إلى القتال الذى يترك نتائج عظيمة، بينما تواجه وحدات العصابات فى الحروب الثورية الوطنية العامة مشكلة التوحيد الداخلى لمختلف الفئات التى تنتمى إلى

(١) يشير ماوتسي تونج في الغالب هنا إلى كتاب «عبر الحرب الأهلية» الذي وضعه جوسيف. والذي نشرته هيئة أركان حرب القوات المسلحة في أوكرانيا لأول مرة في عام ١٩١٨، ثم طبع للمرة الثانية في موسكو في عام ١٩٢١ بعد تنقحيه ثم أعادت دار النشر العسكرية في موسكو طباعته في عام ١٩٥٨.

طبقات عدة. ويتطلب هذا التوحيد استخدام الدعاية على نطاق واسع. ولكن هذين الطرازين من حرب العصابات يتشابهان على أى حال فى استخدامهما لنفس الأساليب العسكرية.

وبالرغم من أن حروب العصابات الوطنية. تتماثل على الصعيد التاريخى فى تركيبها، إلا أنها استخدمت أدوات مختلفة تبعا لاختلاف الأزمنة التى وقعت فيها، والشعوب التى طبقتها والأوضاع التى دارت فيها. وليس ثمة كبير اختلاف بين صور حرب العصابات فى حرب الأفيون فى الصين(١)، وتلك التى استخدمت فى حرب منشوريا منذ حادث مكدن(٢)، وتلك التى تستخدم فى الصين فى هذه الأيام. أما حرب العصابات التى خاضها المغاربة ضد الفرنسيين والأسبان فلم تكن مماثلة تماماً للحرب التى نخوضها اليوم فى الصين ضد اليابان.. وتجسد هذه الفروق التباين فى الخصائص بين مختلف الشعوب، فى أزمنة مختلفة. وبالرغم من وجود أوجه شبه عامة فى نوعية هذه الصراعات كلها، إلا أن هناك أوجه خلاف فى الشكل بينها. هذه حقيقة يجب أن نقربها. ويقول كلوزيتز فى كتابه عن الحرب: أن «الحروب تتخذ أشكالاً متعددة وأوضاعاً مختلفة باختلاف الأزمنة التى تقع فيها، ولذا يتحتم أن يكون هناك لكل زمن من الأزمنة نظريته الخاصة عن الحرب» ويقول لينين فى حديثه عن حرب العصابات.. «من الضرورى ضرورة ماسة بالنسبة إلى شكل الحرب، أن نمعن النظر فى دراسة التاريخ، لتكتشف فيه أوضاع البيئة، وحالة التقدم الاقتصادى، والأفكار السياسية المتحققة، والخصائص القومية والعادات ودرجة الحضارة».. ويمضى لينين قائلاً... «ومن الضرورى ألا نتمسك تمسكاً كاملاً، بالصيغ والقواعد المطلقة، وأن نتفهم أوضاع القتال الفعلى، إذ أن هذه الأوضاع ستتبدل طبقاً للأوضاع السياسية والاقتصادية، وتحقيق تطلعات الشعب. ولا ريب فى أن هذه التبدلات المتدرجة فى الأوضاع تخلق أساليب جديدة».

ولو فشلنا فى كفاحنا الراهن فى تطبيق الحقائق التاريخية المتعلقة بحروب العصابات الثورية، فسنقع فى خطأ تصديق ما قاله تؤهسى سيفنج من «أن وحدة العصابات قد

(١) أشارة إلى الحرب التي وقعت بين الصين وبريطانيا في عام ١٨٤٠ بعد تدمير السفن البريطانية التي كانت تحمل الأفيون إلى الصين. وأسفرت الحرب عن اغتصاب بريطانيا لهونج كونج وفرض حمايتها على بعض الموانيء.

(٢) أشارة إلى الحريق الكبير الذي وقع في مدينة مكدن عاصمة منشوريا، أثناء حرب الملاكمين في عام ١٩٠٠، وما تلى ذلك من حرب بين روسيا واليابان. (المعرب)

فقدت بوجود الجيش اليابانى المدرع مهمتها التاريخية». ويقول بين شى شان.. «كانت حروب العصابات فى الأيام القديمة تمثل جزءاً من استراتيجية الجيوش النظامية، ولكن لم يعد اليوم أمل فى تطبيق ذلك». أنها أفكار ضارة ولا شك. فلو أننا تقاعسنا عن التقييم الصحيح للخصائص المتعلقة بحرب عصاباتنا ضد اليابان، وتمسكنا بتطبيق الصور الميكانيكية الجامدة المستمدة من التاريخ الماضى عليها، فإننا نقترف خطيئة تضيف عملياتنا الحربية إلى نفس الفئة التى تنتمى إليها صراعات العصابات الوطنية الأخرى كلها.. ولو أننا اعتنقنا هذه الفكرة، فسنكون أشبه بمن يضرب رأسه بجدار من الصخر، وسنعجز عجزاً تاماً عن الإفادة من عمليات العصابات الحربية.

وأعود الآن فألخص كل ما قلته.. ما حرب العصابات التى نشنها لمقاومة اليابان؟ إنها صورة واحدة من الحرب كلها. وهى بالرغم من عجزها عن تحقيق النصر الحاسم قادرة على مهاجمة العدو فى كل ناحية، وعلى تضييق شقة الأرض التى يسيطر عليها، ومضاعفة قوتنا القومية، ومساعدة جيوشنا النظامية. إنها إحدى الأدوات الاستراتيجية التى تستخدم فى إنزال الهزيمة بعدونا. إنها التعبير الصافى الوحيد عن سياسة مناهضة اليابان، أى أنها القوة العسكرية التى ينظمها الشعب الفعال. والتى لا تنفصم عنه. إنها سلاح خاص وقوى، نستطيع به مقاومة اليابانيين ونعجز بدونه عن إنزال الهزيمة بهم.

مقاومة الطغاة
« قوة المقاومة وجدواها »
« تشي جيفارا »
نموذج المقاومة الكوبى

ذيّـــل

تنظيم وحدة العصابات السرية الأولية:

تتحكم قوانين الحرب العامة في حرب العصابات، ولكنها لما كانت تبدأ في شكل تآمري فلابد أن تتحكم فيها قوانين خاصة بها أيضاً. ويمكن الشروع في تنظيم حرب العصابات فوراً إذا كان ثمة شعور شعبي تلقائي وطاغ ضد الاستبداد. ولكن الكفاح يبدأ عادة في الخارج، أو في بقعة نائية معزولة، ويتركز حول زعيم محترم يناضل من أجل إنقاذ شعبه.

وعانت جميع الحركات الشعبية الأخيرة من الافتقار إلى الأعداد الصالح والكافي. وكثيراً ما تعرف أجهزة المخابرات السرية للسلطات الحاكمة بخطط المؤامرات التي تنسج وتحاك. فالسرية المطلقة أمر لا مناص منه وفي منتهي الأهمية. ويجب اختيار المادة البشرية بمنتهى الدقة والعناية. وكثيراً ما يكون هذا الاختيار في منتهي السهولة، بينما يكون في احايين أخري في منتهي الصعوبة. وعلى المرء أن يفيد من العناصر المتوافرة في الخارج من المبعدين والمتطوعين التواقين إلي الاشتراك في معركة التحرير. وقد لا يكون ثمة جهاز كاف لإجراء التحريات اللازمة. ومع ذلك فليس ثمة مبرر لوصول المعلومات السرية إلى العدو حتي ولو كان تنظيم العصابات في مراحله الأولى، وتمكن عيون العدو من التسلل إليه إذ يجب ألا يعرف بالخطط التمهيدية إلا رجل أو رجلان على الأكثر. ومن الضروري الإبقاء على المتطوعين الجدد بعيدين عن المراكز المهمة.

وهناك قاعدة أساسية لابد من اتباعها وهي ألا يعرف أي إنسان ما يعد وصلاحياته المباشرة، ويجب ألا تبحث الخطط مع أي إنسان، وأن يراقب البريد الوارد والصادر. وعلى قيادة العصابات أن تعرف اتصالات كل فرد من أفرادها. ويجب أن يكون العمل والحياة في الوحدة على أساس الفريق لا على أساس فردي. ويجب ألا يثق بأي إنسان خارج نطاق النواة ولاسيما من النساء إذ أن العدو سيعكف حتماً على الإفادة من النساء في أعمال

التجسس. ويجب على الإنسان الثوري الذي يعد سراً للحرب الثورية أن يكون زاهداً متقشفاً وشديد التعلق بالانضباط. وعلى القيادة أن تطرد كل فرد من صفوف العصابات إذا كرر تحديه لأوامر رؤسائه، وواصل الاتصال بالنساء وبالآخرين من خارج زملائه، حتى ولو كان غير مؤذ، لأنه يكون بعمله هذا قد خالف روح الانضباط الثوري.

وإني لأعتقد أن نواة صلبة تضم ثلاثين إلى خمسين رجلاً، إذا توافرت لها الأرض الصالحة للعمل، وكانت المجاعة والتبرم من مظالم العدو سائدين صفوف الشعب تستطيع أن تشرع في ثورة مسلحة في أي بلد من بلاد أمريكا اللاتينية.

ويجب أن يكون السلاح الذي تستخدمه العصابات، كما سبق لي أن قلت، من نفس طراز السلاح الذي يستعمله العدو. ويجب ألا يزيد تعداد الوحدة في معظم الحالات على ما يتردد بين الخمسين رجلاً. وليس ثمة من سبب يدعو بالطبع إلى استبعاد تأليف النواة من خمسمائة رجل، ولكن يجب تقسيم هذا العدد من الرجال إلى وحدات لأن مثل هذا العدد الكبير لابد أن يجتذب الانتباه أولاً، ولأن القوة كلها قد تتعرض للتصفية في حالة وقوع الخيانة.

وفي الإمكان تعريف معظم أفراد الجماعة بمركز القيادة، وأن يكون هذا المركز المكان الذي يلتقي فيه المتطوعون. ولكن على قادة المؤامرة ألا يظهروا في ذلك المكان إلا لماما، وألا يتركوا فيه أية وثائق خطيرة تحسر النقاب عن مخططاتهم. وعلى الزعماء أن يظلوا متفرقين وفي مخابيء سرية أمنيه. ويجب ألا يعرف مكان مستودعات السلاح أكثر من شخص واحد أو شخصين. ويجب ألا توزع الأسلحة إلا إذا أصبحت العملية جاهزة للبدء بها. وذلك مخافة تعريض المتصلين بها للخطر، ولتجنب كل خسارة محتملة في العتاد الثمين.

وقد يكون الكفاح طويلاً وشاقاً. وقد يمنى بنكسات، لكن المعنويات العالية، والانضباط الصارم، والإيمان العميق بالنصر النهائي، كلها عوامل تضمن الإبقاء على المناضلين في الميدان. وقد تمكنت في كوبا نواة تضم اثنى عشر رجلاً، بالإضافة إلى فيديل كاسترو من تحقيق النجاح.

ويجب تدريب رجال العصابات بدنيا وعقائدياً، وتعليمهم على المسيرات الشاقة المجهدة وعلى إصابة الهدف وقراءة الخرائط العسكرية.. وذلك لإعدادهم لتحمل المشاق البالغة التي لابد من مواجهتها قبل تحقيق النصر.

الدفاع عن المكاسب

لا يتحقق التحرر النهائي إلا عندما يتم تحطيم جيوش العدو تحطيماً منظماً وكذلك تحطيم جميع المؤسسات التي كانت تدعم العهد البائد. ولا شك في أن الرأي العام العالمي «الصحافة المسئولة» ووكالات الأنباء الأمريكية «الصادقة» وغيرها من وسائل أعلام البلاد الاحتكارية الأخرى ستبادر إلى مهاجمة البلاد المتحررة. ولذا يجب ألا يبقى على أي أثر للجيش القديم أو جنوده. ولا يمكن استئصال الروح العسكرية والطاعة العمياء والمفاهيم السالفة عن الواجب العسكري والانضباط والروح المعنوية، طالما أن المنتصرين بنبلهم وطبيعتهم، وافتقارهم عادة إلى التعليم سيتسامحون مع المهزومين المدربين والخبراء بعلوم الحرب والممتلئة جوانحهم بكره رجال العصابات.

ومن الضروري إعادة تنظيم العمل الثوري عن طريق خلق جيش جديد، يتميز بالمهارة التقنية، وبالثبات في العقيدة، وبالقدرة الهائلة على القتال. وعلى القيادة في هذه المرحلة أن تشرع في الإعداد لحرب دفاعية لابد لجيش الشعب من خوضها. ويعرب الألوف من الثوريين المتأخرين في أعقاب النصر عن رغبتهم في الانضمام إلى جيش الثورة.. ويجب أن يمر هؤلاء بمرحلة من التدريب على حرب العصابات والتوجيه العقائدي. ويجب إقامة تنظيم إعلامي يتولى نشر الحقائق الجديدة عن الثورة بين وحدات الجيش. ويجب أن تنقل الحملة الدعائية إلى الجنود وإلى الفلاحين والعمال، وأن تعرض عليهم أهداف الثورة، وأن تشرح لهم الأسباب التي دفعتهم إلى القتال، والتي أدت برفاقهم إلى الموت. ويجب تثقيف الجماهير ومحو الأمية من صفوفها.. ويجب أن يصاغ الجيش الجديد في شكل قوة رفيعة المهارة ذات أيدلوجية ثابتة وقدرة قتالية رائعة، ولا ريب في أن هذه العملية كلها تستغرق وقتاً طويلاً.. وعندما يتم تدريب الممتازين من جيش العدو المتحطم عقائدياً، يصبح في الإمكان استخدامهم في تحسين المستويات الفنية والتقنية للجيش الجديد.

* * *

وسأعرض فيما يلي آراء قادة جيش الثورة الكوبي في سياسة كوبا. فقد قام هؤلاء القادة بمنتهى الجرأة بتحليل الخطر القادم من الغزو الأجنبي الذي كانوا يتوقعونه في نهاية عام ١٩٥٩ أو مستهل عام ١٩٦٠، وتقييمه.. ولن نصوغ النظريات حول ما هو

معروف للجميع، ولكننا سنستخلص الاستنتاجات من الحقائق الراهنة لتعزيز دفاعنا الوطني. ولذا فنحن نعرض تحليلنا هنا كخاتمة لهذا الكتاب.

خاتمة- تحليل وضع كوبا حاضراً ومستقبلاً

انقضى عام كامل الآن على إجبار الديكتاتور السابق على الفرار بعد كفاح شاق مرير. وتمكنت حكومتنا في غضون هذا العام من تحقيق مكاسب ضخمة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. واكتسبت ثورتنا الوطنية التي اعتمدت أساساً على الفلاحين وإن حظيت بالتأييد الحماسي من العمال والطبقة الوسطى وحتى رجال الصناعة، مكانة دولية بارزة وأصبحت مدعومة بإرادة الشعب. وأنا لا أهدف من هذه الخاتمة إلى شرح جميع القوانين التي تم وضعها، وإنما نكتفي بالتأكيد على أهمية بعضها، ولاسيما بالنسبة إلى عناية الدولة بمتطلبات الشعب الكوبي.. فقد أصدرنا أولاً قوانين الايجارات وتخفيف أجور الخدمات العامة. وسرعان ما أدرك الطفيليون الذي خيل إليهم في البداية أن فيديل كاسترو ورفاقه الذين صنعوا الثورة ليسوا ببلادتهم وبلحاهم الطويلة وبمرونتهم إلا صورة أخرى من ساسة العهد القديم. إنهم جد مخطئين، وأن البلاد تتمخض عن شيء جديد وعميق، وأن امتيازاتهم أوشكت أن تضيع.. وسرعان ما أخذ نعت «الشيوعيين» يلصق برجال العصابات المنتصرين، وارتفع شعار «مكافحة الشيوعية» ليلتف حوله جميع أولئك الذين حرموا مكاسبهم السابقة غير المشروعة.

وزادت أنظمة المزارعة عن طريق التأجير والبيع بالتقسيط التي وضعناها من حدة مشاعر القلق التي استبدت بالطفيليين. ولكن مثل هذه الأنظمة لم تكن أكثر من مجرد اشتباكات صغيرة.

وكان الأمل لا يزال يراودهم بأن في الإمكان توجيه فيديل كاسترو «المجنون» ودفعه إلى المسالك «الديمقراطية» الصحيحة عن طريق مستشارين ناجحين. أجل كانوا لا يزالون يركزون آمالهم على المستقبل.

وجاء قانون الإصلاح الزراعي كضربة قاضية هائلة. وبدت الدهشة والذهول في عيونهم. وفرجاستون باكويرو لسان الرجعية الناطق إلى مياه أسبانيا الديكتاتورية الهادئة. وشعر آخرون بأن «القانون هو القانون»، وأن هناك حكومات أخرى سنت أيضاً قوانين

هدفت من الناحية النظرية إلى إفادة الشعب كله، أما التنفيذ فشيء آخر. وراح علماء الاجتماع والاقتصاد الوقورون الذين يعيشون في عالم منعزل كل العزلة عن عالم أطفال العصابات غير المتعلمين، ينظرون بشيء من التسامح الهازيء إلى «المؤسسة الوطنية للإصلاح الزراعي»، وهي الطفل الشرير والنبتة المعقدة لهذا القانون. ولكن المؤسسة واصلت السير في طريقها تهدر كدبابة زاحفة، تحطم ما أمامها من الملكيات الكبيرة، وتقيم أوضاعاً اجتماعية جديدة للملكية الزراعية. وكان الإصلاح الزراعي الكوبي معادياً للإقطاع، لأنه ألغى جميع صور الزراعة الأجيرة وعبودية الأرض في مزارع البن والتبغ الكبيرة، ومكن الفلاحين فرادي وجماعات من العمل في أراضيهم دون خوف من دائن أو مالك. وأكد الإصلاح للفلاحين والعمال الزراعيين حصولهم على المشورة التقنية والمساعدات المالية والآلات بعد أن نظم لهم التعاونيات الزراعية.. وها هي اهراء الدولة ومستودعاتها تدفع الأسعار العادلة للمحاصيل، وتحل شيئاً فشيئاً محل مصاصي الدماء السابقين.

وتمكنا عن طريق قانون الإصلاح الزراعي من إنجاز مهام كثيرة أسرع من تلك التي أنجزتها بعض البلاد الأمريكية اللاتينية الأخرى كالمكسيك وجواتيمالا وبوليفيا عن طريق برامجها للإصلاح الزراعي. فلا يعترف اصلاحنا الزراعي إلا بحق الشعب وحده في أرضه، وهو لا يهدف إلى الانتقام من أية طبقة أو قومية غريبة. وهو يطبق على «شركة الفواكه المتحدة الأمريكية» أو شركة «كينج رانش» كانطباقه على الملاك الكوبيين.

وتجرى تنمية إنتاج الأرز والحبوب والقطن بسرعة في ظل هذه الأوضاع الجديدة. ولكننا لسنا بعد راضين عن كل ما حققناه. فسنستعيد عما قريب جميع ثرواتنا المسروقة. وقد أعاد لنا قانون البترول الذي أصدرناه، ثرواتنا الأرضية من الزيت. فهو يفي بالمتطلبات الطاغية لشعب يريد أن يكون حراً، وأن يكون سيد اقتصاده، وأن يحيا في رخاء وتطور. وقد أثار المثل الذي ضربناه مخاوف الاحتكارات البترولية. ولا ينبع خوفها من كوبا، لأن حرمانها من مصادرنا البترولية لا يضيرها كثيراً، إذ أننا لا نمثل مصدراً أساسياً من مصادر هذا السائل الثمين، وإن كنا نأمل أن ننتج منه ما يفي باحتياجاتنا المحلية.. ولكن المثل الذي ضربناه يعرض على البلاد الأمريكية اللاتينية الأخرى التي يسيطر الاحتكاريون على معظمها والتى تعرضت لحروب أهلية متوالية لخدمة أهداف هؤلاء الاحتكاريين العمالقة، ما في وسعها أن تعمله، إذا قررت زمان هذا العمل. وهناك مصدر فزع آخر

تمثله كوبا للاحتكارين الكبار، لا لأن جزيرتنا الصغيرة الواقعة في البحر الكاريبي قد جرؤت على تصفية التركة العظيمة التي خلفها جون فوستر دالاس لورثائه من أعضاء شركة «الفواكه المتحدة» فحسب، بل ولأنها وجهت أيضاً ضربة قاصمة إلى امبراطورية روكفلر. ولأن ثورة الشعب الكوبي قد وضعت يدها على مصالح مجموعة الاحتكارات الهولندية للزيت.

وكان هذا القانون، شأنه في ذلك شأن قانون التعدين الذي أصدرناه، هو رد شعبنا على أولئك الذين يهددونه باستخدام القوة وبالغارات الجوية والعقوبات التأديبية. ولا يقل قانون التعدين في رأي البعض أهمية عن قانون الإصلاح الزراعي.. ونحن لا نشاطر هؤلاء رأيهم هذا، ولكن ضريبة التصدير التي فرضناها بنسبة ٢٥ في المائة على الشركات التي تتولى تصدير منتجاتنا الأولية ستؤدي إلى خلق الرخاء في كوبا من ناحية، كما ستؤدي إلى زيادة نسبة في قوة الاحتكارات الكندية في صراعها مع المستغلين الراهنين لخامات النيكل من ناحية أخرى. وهكذا تتمكن الثورة الكوبية عن طريق تصفية الملكيات الكبيرة من تحديد الاحتكار الأجنبي وأرباح الأستيراد أيضا. وتمكنت عن طريق هذه السياسة الجديدة التي اتبعتها في الأمريكتين من محاولة تحطيم احتكارات شركات التعدين العملاقة التي تخلق المشاكل لعدد من الدول الأمريكية اللاتينية.. ولا تعتبر هذه السياسة مجرد بوق يهتف إلى جميع جيراننا في أمريكا منادياً إياهم إلى المبادرة إلى العمل، وإنما تعتبر أيضاً ذات آثار ضخمة في القارة الأمريكية كلها. فالثورة الكوبية تحطم جميع الحواجز الإعلامية، وتنشر الحقيقة وسط الجماهير في أمريكا اللاتينية المتلهفة إلى حياة فضلى. وأصبحت كوبا تمثل رمز المفهوم الجديد للحركة الوطنية، كما أصبح فيديل كاسترو رمزالتحرير في أمريكا اللاتينية كلها.

وأصبحت هذه الجزيرة الصغيرة التي لا تزيد مساحتها على ١١٤ ألف كيلو متر مربع، ولا يزيد تعداد سكانها على الستة ملايين ونصف المليون فائدة الكفاح ضد الاستعمار في القارة الأمريكية. وأصبحت بعض البلاد الأمريكية التي تفوقنا قوة، والتي تحاول تنمية رأسماليتها الوطنية لتحل محل الاحتكارات الأجنبية مدركة لهذه القوة الصغيرة الجديدة الهادفة إلى الحرية، وذلك لأن حكومات تلك البلاد تفتقر إلى الموارد الكافية التي تمكنها من السير في نضالها حتى النهاية. فهو نضال شاق، ولا يخلو من

الخطر والمتاعب. وهو يتطلب، نظراً لعزلتنا في القارة الأمريكية، دعم جميع أفراد شبعنا، ومثاليته، وتعلقه بروح التضحية. ولقد حاولت بعض البلاد الصغيرة في الماضي أن تقوم بهذا العمل. فقد تعرضت جواتيمالا، المعروفة «بطير الكوتزل» الذي يموت إذا ما حبس في قفصه، إلى عدوان استعماري مباشر. ولم تستطع بوليفيا التي أنجبت موريللو أول شهيد في سبيل استقلال أمريكا الصمود في هذا الكفاح الرهيب. وإن كانت قد قدمت إلى الثورة الكوبية ثلاثة دروس رائعة هي إلغاء الجيش القديم، والإصلاح الزراعي وتأميم المناجم التي ألفت المصدر الرئيسي لثروة بوليفيا، والأساس الرهيب لمأساتها.

ولا شك في أن كوبا مدركة لهذه العبر، ولما ستواجهه من أخطار ومتاعب. ولكنها تدرك أيضاً أن هناك عالماً جديداً يطل فجره. فقد بدأت أعمدة الاستعمار تتهاوى وتتساقط أمام حركات النضال الوطني والشعبي في آسيا وأفريقيا. وباتت وحدة الشعب لا تقوم على أساس من الدين أو العنصري والعادات أو الجوع، وإنما على أساس من الأهداف الاقتصادية والاجتماعية المشتركة ومن الرغبة المشتركة في تحسين الحياة والمصير.. وقد اتحدت آسيا وأفريقيا في مؤتمر باندونج، وها هي كوبا توحد الآن بينهما وبين البلاد المناضلة للاستعمار في أمريكا.

وأخذت الدول الاستعمارية الكبرى تخضع لإرادة الشعوب ومتطلباتها، ولم تعد بلجيكا وهولاندا تمثلان إلا صورتين كاريكاتوريتين للامبراطوريات الاستعمارية السابقة. وفقدت ألمانيا وإيطاليا جميع مستعمراتهما السابقة. وراحت فرنسا تعيد تنظيم خط سيرها بعد الحرب المريرة التي خاضتها في الجزائر. أما بريطانيا. فقد أخذت بما عرف عنها من دهاء ودبلوماسية، تصفي سلطانها السياسي السابق، محاولة الحفاظ على علاقاتها الاقتصادية مع أجزاء امبراطوريتها.

وأخذت الرأسمالية الأمريكية تحل محل الاستعمار التقليدي، الذي كان مسيطراً حتى عهد قريب علي البلاد الحديثة العهد بالاستقلال، ولكن هذه مرحلة دقيقة عابرة، إذ أن الولايات المتحدة لم تتمكن فعلاً من إقامة سلطانها المالي في البلاد الحديثة. وتقلمت أظافر النسر الأمريكي وتحطمت مخالبه، فالاستعمار قد زال أو في طريق الزوال، في أرجاء كثيرة من العالم.

ويمثل الوضع في أمريكا شيئاً آخر. فقبل أمد طويل، خرج الأسد البريطاني من هذا الجزء الذي تقيم فيه من أمريكا، وجاء الرأسماليون الأمريكيون المحدثون يقيمون، صورة ديمقراطية لحياة النوادي البريطانية، ويفرضون سيطرتهم السياسية علي كل دولة من دول أمريكا اللاتينية العشرين.

هذه هي الايالات الاستعمارية لمؤازرة الاحتكار الأمريكي، وهي تمثل مؤخرتها، وسبب وجودها، وأملها في الحياة.. ولو رفعت جميع شعوب أمريكا اللاتينية راية الكرامة التي رفعها شعب كوبا، لأرتعد الاحتكاريون هلعا، وراحوا يكيفون أنفسهم لأوضاع سياسية واقتصادية جديدة. ويكره الاحتكاريون أي انتقاص من أرباحهم، ولا شك في أن هذا المثل السيئ الذي ضربته كوبا. قد بدأ يكسب مواقع له في البلاد الأخرى في أمريكا اللاتينية. وتنحو أمريكا باللوم على كوبا، كلما سمعت صوتاً يرتفع مطالباً بالتحرر من سيطرتها. ويوجه إليها هذا اللوم، لأنها قد أذنبت في حق أمريكا بإظهارها. كيف يمكن لقوة شعبية مسلحة أن تهزم جيوشاً قيل أنها لا تقهر!.. وكيف يمكن تحطيم العدو مهما كان قوياً في المناطق الجبلية الوعرة.

أجل لقد ضربت كوبا مثلاً سيئاً لغيرها، كما يقول الأمريكان، ولا يمكن للاحتكارات أن تحس بالراحة وهي ترى هذا المثل السيئ ولا يزال قائماً، يواجه الأخطار ويتحداها، ويتقدم باستمرار شاقاً طريقه إلى المستقبل. ويعلن الناطقون بلسان هذه الاحتكارات أنه لابد من تحطيمنا. ويقول أذناب هذه الاحتكارات المتنكرون في صورة نواب الكونجرس أن من الضروري التدخل للقضاء على هذه القلعة الشيوعية.. ويقول المدافعون عن التجمعات الاحتكارية أن وضع كوبا يثير الكثير من القلق، وهم يعنون بذلك أن من الضروري تحطيم كوبا.

فما أمل هذه الاحتكارات في تحقيق ما تنشده؟ أولاً، هناك السلاح الاقتصادي المجرد. في وسع الولايات المتحدة أن تمنع عنا القروض، والاعتمادات المصرفية، وأن تحول بين الممونين وبين خدمة تجارنا ومصارفنا، وفي وسعها أن تقنع أوروبا الغربية بالسير على منوالها. لكن هذا السلاح وحده لا يكفي على الإطلاق.

وقد تترك القيود الائتمانية في البداية آثاراً ضارة وكبيرة باقتصادنا، ولكنها سترتد في النهاية على مستعمليها، وتكون البلاد الضحية نفسها لوجود جديد من يوم إلى يوم.. وقد تلجأ إلى استخدام الضغوط المختلفة، وتدخل حصص استيراد السكر في الصورة،

سوف ما الإتحاد، يعول آخر بالسنف وسيسد المحكرون في حساب جميع المخاطر، ويصلون إلى النتيجة التي تبين لهم أن خفض حصة كوبا من وارداتهم من السكر من الخطورة بمكان كبير وأن من المستحيل الغاءها نرى أين تكمن الخطورة؟ لو تجاهلنا الحقيقة الواقعة وهي أن التخفيض أمر لا يمكن أن يوصي به. فإن البلاد الباقية التي تتولى تموين السكر والتي يتردد عددها بين العشرة والخمسة عشر. ستطمع في الحصول على أسعار أعلى من تلك التي تحصل عليها الآن. أما الاستحالة فتتمثل في أن كوبا هي أكبر ممون للسكر للولايات المتحدة وأقله تكلفة، وفي أن أكثر من ستين في المائة من انتاجه وتسهيلات تسويقه ملك لها يضاف إلى هذا أن الميزان التجاري مع كوبا يقف إلى صالح الولايات المتحدة ولا يمكن لمن لا يشتري أن يأمل في البيع. كما أن وقف أية معاهدة تجارية يمثل أمراً سيئاً ولكن الأهمية لا تكمن في هذه الحقيقة وحدها وما يقال عن الهبة الأمريكية، بدفع ثلاثة سنتات أكثر من سعر السوق، يعتمد على عجز أمريكا عن الحصول على سكر أرخص ولا ريب في أن ارتفاع الأجور وانخفاض الطاقة الانتاجية في أمريكا يحول بينها وبين انتاج سكر تقل أسعاره عن السكر الكوبي وتعتمد أمريكا على الأسعار العالية التي تدفعها لأي إنتاج، فتفرض معاهدات ثقيلة على جميع الدول المنتفعة من أسعارها، بما فيها كوبا، ولذا يكون من المستحيل إلغاء حصة كوبا من واردات السكر الأمريكية.

ونحن لا نأبه جدياً بما يقال عن احتمال قصفنا بالقنابل وإحراق مزارع القصب في بلادنا ويبدو أن الهدف من هذا التهديد محاولة إضعاف الحكم الثوري في عيون السكان

وقد يفتقر الاقتصادالكوبي إلى المناعة في بعض المجالات الأخرى، كتموين المواد الأولية كالقطن مثلاً ولكن لما كان العالم يعاني من إفراط في إنتاج القطن، فإن هذه المشكلة تكون ذات طبيعة مؤقتة. ويمثل الوقود مادة في منتهى الأهمية فالافتقار إلى الوقود قد يشل أية بلاد لاسيما وأن كوبا لا تنتج منه إلا القليل وهناك بعض أنواع القطران وبعض الكحول الصناعي لا في البلاد ولكن العالم مليء بالذات وفي وسع مصر والاتحاد السوفياتي أن تبيعانا شيئاً منه كما أن في وسع العراق أن يبيعنا في المستقبل القريب شيئاً من الزيت

وهناك بالإضافة إلى الضغوط الاقتصادية، خطر التدخل عن طريق دولة كجمهورية الدومنيكان مثلاً. لكن مثل هذا العدوان يخلق بعض المشاكل، ويدفع الأمم المتحدة فى النهاية إلى التدخل. ولعل من قبيل الصدف أن السياسة الجديدة التى تسير عليها منظمة الدول الأمريكية تمثل سابقة خطيرة فى موضوع التدخل.. فما زالت الاحتكارات مختبئة وراء تروجيلو تقيم بنيان عدوانها. ولعل من المحزن حقاً أن فنزويلا قد وضعتنا فى موقف صعب من جراء رفضها التدخل ضد تروجيلو.

وهناك بالطبع دائماً احتمال قتل ذلك «المجنون» فيدل كاسترو، الهدف الذى ينصب عليه غضب الاحتكارات. وقد يكون من الضرورى بالطبع إزالة ذينك «العاملين الدوليين» الخطرين، وهما راول كاسترو، وكاتب هذه السطور وهو أمل مغر بالطبع للاحتكارات. ولكن على السادة الاحتكاريين ألا ينسوا الشعب وهنا لابد من أن يصبوا نقمتهم على جميع أولئك الذين يتصلون بصورة مباشرة، أو غير مباشرة باغتيال قادة الثورة وليس فى وسع أى شىء أو أى إنسان أن يوقفهم عن ذلك.

وهناك صورة أخرى مما وقع فى جواتيمالا، وهى أن تمنع أمريكا عن كوبا السلاح، فترغمها على الحصول عليه من البلاد الشيوعية، وانذاك تشن عليها حملة عاصفة من الدعاية لأنها تفعل ذلك. ولكن أحد أعضاء حكومتنا لخص الموضوع على النحو التالى: «إنهم قد يهاجموننا على اعتبار أننا من الشيوعيين ولكنهم لن يستطيعوا ابادتنا لمجرد أننا كنا من البلهاء». وأخيراً قد يدرس المحتكرون فكرة ضرورة العدوان المباشر علينا، ومن المحتمل أن يكونوا الآن فى وضع من يقدر احتمال نجاح طائراتهم الجديدة فى إنزال الجنود فى بلادنا. وقد يستخدمون الأساليب الأسبانية كالمبعدين والمتطوعين والمرتزقة والجنود الأجانب الذين تدعمهم القوات الجوية والبحرية. وقد نتعرض لهجوم مباشر من دولة أخرى كجمهورية الدمنيكان مثلاً، إذ تبعث بجنودها من إخواننا ليموتوا على شواطئنا وليخلقوا وضعاً حربياً. وسيرغم هذا معاقل الاحتكارات الذكية على أن تعلن بأنها لا ترغب فى التدخل فى هذه الحرب «المهلكة المفجعة»، ولكنها ستستخدم البوارج والطرادات والمدمرات وحاملات الطائرات فى حراسة البحار والأجواء لمنع التموينات الحربية من الوصول إلى كوبا. بينما تغمض عينيها عن قوات تروجيلو التى تفلح فى الابتعاد عن عيونها الساهرة. وفى وسعها أن تتدخل أيضاً عن طريق منظمة الدول الأمريكية ذات السمعة

المدوية لتطلب وقف هذه «الحرب الرهيبة» التى شنتها الشيوعية على جزيرتنا، فإذا ما فشل هذا المخطط، كان فى وسعها أن تتدخل بصورة مباشرة، متذرعة بأن تدخلها يهدف إلى الحفاظ على السلام وحماية مصالح الشعب الكوبى على النحو الذى أتبع فى كوريا.

ولكن من المحتمل ألا يواجه العدوان الأول علينا مباشرة، بل على حكومة فنزويلا الشرعية، لإزالة آخر دولة صديق لنا فى أمريكا اللاتينية. ولو حدث هذا، لأصبح وطن «بوليفار»[1] لاكوبا المسرح الذى ستقع عليه المعركة ضد الاستعمار. ولا شك فى أن شعب فنزويلا الذى يعرف بأن الهزيمة تعني الطغيان والاستبداد، سيدافع عن حريته بكل ما لديه من قوة وعزيمة، على اعتبار أن سلسلة متلاحقة من الحروب الشعبية الناجحة قد تساعد على تحطيم المقابر الاحتكارية التى تحولت إليها البلاد الشقيقة لنا فى القارة الأمريكية.

وهناك أسباب عدة تمنع العدو من الانتصار. فنحن فى عام ١٩٦٠ وهى سنة البلاد المتخلفة والشعوب المتحررة، بل السنة التى سمع فيها صوت تلك الملايين التى لا يتحكم فيها تجار الموت. يضاف إلى هذا، وهو الأكثر اقناعاً أن ستة ملايين ونصف المليون من الكوبيين سيهبون هبة رجل واحد للدفاع عن بلادهم وعن ثورتهم.. ولا شك فى أن الشعب الذى يحمل جميع أفراده السلاح، والذى تتولى قيادته زعامة دينامية، والثابت الإيمان عقائدياً، سيخوض معركته فى كل شبر من أرض البلاد ضد أى معتد. وسيموت العمال فى المدن دفاعاً عن مصانعهم، كما يقوم الفلاحون بقتل الغزاة متمرسين وراء المحاريث الآلية التى قدمتها الثورة إليهم.

وستهب الملايين فى طول العالم وعرضه للاحتجاج على العدوان. وستشهد الاحتكارات انهيار أعمدتها وتحطيمها. ولكن لنفرض أنها جرؤت على تحدى الرأى العام العالمى، فما الذى سيحدث بعد ذلك؟ أننا سنخوض فوق جزيرتنا غير المنيعة حرب عصابات دون أية أسلحة ثقيلة. وستقاتل وحداتنا بكل ما لديها من حماسة وإيمان وعنف، يتميز بها أبناء الثورة الكوبية بما عرف عنهم فى السنوات المجيدة من تاريخهم. وهذا يعنى أنه لو نجح العدو فى تحطيم قواتنا فسنحول هذه القوات إلى جيش للعصابات قادر على الحركة

---

(١) سيمون بوليفا – (١٧٨٣- ١٨٣٠)- ويطلق عليه اسم المحرر للدور الذي لعبه في تحرير أمريكا الجنوبية. ولد كاراكاس في فنزويلا. درس الحقوق في جامعة برلين. عمل على تحرير فنزويلا وكولومبيا وأكوادور وبيرو وكان أول رئيس الجمهورية كولومبيا.

فى ظل زعامة صالحة، وقيادة مركزية قادرة على التنسيق الاستراتيجى.

وستكون الجبال آخر خط دفاعى لطلائع جيش الثورة. ولكن الحرب ستخاض فى كل مسكن وكل شارع وكل جبل، بل وكل شبر من أرضنا، على أيدى المؤخرة من قواتنا وهى التى تمثل الشعب المدرب والمسلح.

ولما كان مشاتنا لا يملكون أية معدات ثقيلة، فإنهم سيركزون والحالة هذه على شئون الدفاع ضد الدبابات والطائرات. وستكون أسلحتنا من الألغام ومدافع البازوكا والقنابل اليدوية والمدافع المضادة للطائرات ومدافع الهاون.. وسيعرف كل جندى مخضرم من مشاتنا يمتلك الأسلحة الأوتوماتيكية قيمة العتاد، فيقتصد فى استعماله وقد تتعرض قوتنا الجوية لأضرار خطيرة فى المراحل الأولى من الغزو الذى تقوم به دولة أجنبية رئيسية.. فقد تشل وقد تتحطم، ولكننا سنظل ومعنا طائرات الاستطلاع والهليكوبتر.

وسيستخدم الأسطول وحدات صغيرة تملك الحد الأعلى من القدرة على الحركة. ولن يجد جيش العدو أى هدف ثابت يهاجمه. فستكون جميع أهدافنا بالنسبة إليه غير متبلورة، دائمه الحركة، صعبة على الاختراق، لا تمثل جبهة ثابتة، وإنما تمثل ضربات قوية متلاحقة تنهال عليه.

ولا يمكن إنزال الهزيمة بجيش شعبى يضم الفلاحين والعمال، المتلهفين على الدفاع عن بلادهم، حتى ولو منى هذا الجيش بضربات قاصمة. وقد أقام الفلاحون فى منطقة بيقار ديل ريو، الدليل أن فى وسعهم أن ينزلوا الهزيمة بالعصابات الصغيرة المعادية وسنقوم بتدريب الفلاحين فى أراضيهم. لكن ضباطهم يدربون وسيدربون فى قواعدنا العسكرية. وسينطلق هؤلاء الضباط من قواعدهم إلى المناطق الريفية الثلاثين التى قسمنا بلادنا بموجبها، لتؤلف ثلاثين مركزاً من مراكز المقاومة والدفاع عن وطننا وعن كل ما حققه شعبنا، وعن بيوتنا وقنواتنا وسدودنا ومحصولاتنا واستقلالنا وحقنا فى الحياة.

وسيقاوم فلاحوا أى زحف يقوم به العدو، وإذا قدر للعدو أن يتغلب عليهم، فسينقسمون ويعودون إلى أراضيهم، يفلحون تربتها فى النهار، ويحاربون العدو فوقها فى الليل. وسيقوم العمال بدور مماثل أيضاً. وسيجرى تدريب خيرتهم على أمور القيادة والدفاع. وستكون لكل فئة اجتماعية مهمتها وواجباتها. فسيعلم الفلاحون كيف يخوضون

حرب العصابات وكيف يطلقون النار معتمدين على معرفتهم لطبيعة الأرض التى يقاتلون فوق أديمها. وسيتعلم العمال كيف يقيمون الحواجز والموانع فى الشوارع وكيف يستخدمون البيوت والمصانع كقلاع منيعة، وكيف يقذفون قنابل كوكتيل مولوتوف، وكيف يطلقون النار من بيوتهم. وهكذا نؤلف جيشاً قوياً من جماهير العمال ومن رجال الشرطة والجيش. وستكون الحرب فى المدن مرنة مثل حرب العصابات فى الأرياف. وسيموت الكثيرون منا فى هذه الحرب.

وستكون هناك تنظيمات أخرى تشمل غير الفلاحين والعمال. أجل سنقيم تنظيماً للمتطوعين من الطلبة، يقوده جيش الثورة ويتولى تنسيق عملياته، وسيضم زبدة شبابنا من الطلبة. وستسهم المنظمات النسوية والطلابية الأخرى فى النضال. وستقوم النسوة بمساعدة رفاقهن بطهى الطعام لهم، وتمريض الجرحى منهم، والعناية بموتاهم، ونشر الثقة فى نفوس مناضليهم. أجل سيتحقق كل هذا، وسيجرى تثقيف الجماهير بجميع الحقائق المتعلقة بالثورة.

ويجب أن ندرس القوانين الثورية وتناقش وتوضح فى كل اجتماع، وفى كل تجمع يعقده الشعب ويحضره أفراده. ويجب أن تقرأ خطب القادة وتناقش، ولا سيما خطب فيديل كاسترو. ويجب أن تتولى الإذاعة والتليفزيون إذاعة هذه الخطب ونقلها إلى كل زاوية من زوايا البلاد.

ويجب أن يكون الشعب عارفاً بكل قانون وكل مرسوم وقرار. وعلى الثورة أن تكون عينا ساهرة ترقب كل عمل معارض، وتسهر على الأخلاق، وتحذر أعداء الثورة، وغير المتعلقين بمثلها. ولا يمكن الأعضاء عن أى خروج على الأخلاق حتى ولو صدر من الثوريين حقاً، بل يجب أن يعاقب. ويجب اعتبار الخدمات السابقة للقضية عاملاً مخففاً، لا وسيلة للتبرئة.. ومن الضرورى التأكيد على أهمية العمل الجماعى، وتشجيع التطوع فى إنشاء الطرق والجسور والقناطر والمراكز الطلابية.

ولا ريب فى أن مثل هذا الجيش الملتحم مع الشعب والنابع من جماهير العمال والفلاحين، والعارف بشئون الاستراتيجية، والثابت عقائدياً لا يمكن أن يهزم. ولعل هذا هو السبب الذى يجعل مستقبلنا اليوم أكثر اشراقاً من أى يوم مضى بالرغم من الرغبة العارمة لدى القوى الاحتكارية لتحطيم المثل السيئ الذى تضربه كوبا للدول الأمريكية اللاتينية الأخرى.

المقاومة بديلاً عن الحرب
حرب العصابات
من قانا ٩٦ إلى قانا ٢٠٠٦

عشر سنوات
والمقاومة هى التى تواجه

إرتكبت قوات الإحتلال الإسرائيلى فجر يوم ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٦م، مذبحة بشعة فى بلدة قانا جنوب لبنان، حيث قصفت طائراتها عشرات المبانى وملجأ للمدنيين يقع تحت بناء من ٣ طوابق على سفح تلة فى البلدة. مما أسفر عن إستشهاد وإصابة عشرات الأشخاص أغلبهم من الأطفال والنساء، وتمادى الجيش الإسرائيلى فى جرائمه، حيث استمر القصف على قانا ومحيطها فى الوقت الذى كانت فرق الإنقاذ تعمل على إنتشال الضحايا من تحت الأنقاض.

وكان قصف إسرائيلى عنيف خلال عملية «عناقيد الغضب» الإسرائيلية فى عام ١٩٩٦ إستهدف مركزاً لقوة الطوارئ الدولية، كان عدد من السكان المدنيين قد لجأوا إليه فى قانا مما أدى إلى مقتل ١٠٥ مدنيين وأثار إستياء العالم.

وتزامن القصف الجديد لبلدة قانا، مع توغل برى للجيش الإسرائيلى فى مناطق حدودية جنوب لبنان وكذلك مع تعرض عشرات القرى فى منطقة صور لقصف عنيف من البحرية والطيران والمدفعية الإسرائيلية.

وأوضحت الشرطة اللبنانية أن الغارة الإسرائيلية دمرت ملجأ يقع تحت بناية مكونة من ٣ طوابق فى قانا. كان يحتمى به نحو ١٠٠ من المدنيين النازحين الذين هربوا من قصف مدينة صور وأضافت أن عدة منازل أخرى انهارت فى مناطق متعددة فى البلدة مما أسفر عن مقتل كثيرين وهم نيام. وأعلنت مصادر طبية لبنانية أن التقدير الأولى للضحايا بلغ ٦٥ قتيلا. بينهم ٢٣ طفلا، مشيرة الى وجود عشرات الجثث تحت حطام

المباني المدمرة في البلدة

وكانت الولايات المتحدة قد أرسلت لإسرائيل الأسبوع الماضي شحنة قذائف «خارقة للحصون» وموجهه بالليزر على متن طائرتي شحن امريكيتين. بعد أن طلبت إسرائيل سرعة إرسال هذه القذائف. في إطار صفقة أسلحة مع أمريكا.

وفي غضون ذلك، سعت إسرائيل إلى تبرير مذبحتها الجديدة، وحمل المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي «جاكوب دالال» حزب الله «المسئولية الكاملة» لقتل المدنيين في قانا متهما الحزب باستخدام البلدة قاعدة لإطلاق الصواريخ على إسرائيل.

وقال «دالال» إن حزب الله استخدم قرية قانا قاعدة لإطلاق الصواريخ. ويتحمل مسؤولية جعل هذه المنطقة منطقة قتال.

وأضاف في قانا إستهدفنا مواقع أطلقت منها صواريخ على نهاريا وباتجاه غرب الجليل.

وتابع قائلاً إن الجيش الإسرائيلي أنذر السكان «منذ عدة أيام. بأن عليهم مغادرة المنطقة وأغلبهم فعلوا ذلك».

وزعم دالال، أن إسرائيل لا تنوي أبداً ضرب مدنيين أبرياء والمسئولية كاملة يتحملها «حزب الله». فيما طلب وزير الدفاع الإسرائيلي «عامير بيرتس» من سلطات الجيش. إجراء تحقيق في ظروف الغارة على قانا.

ومن جانبه . توعد حزب الله بالإنتقام لضحايا الهجوم الإسرائيلي على قانا. وقال الحزب في بيان في أعقاب الهجوم» إن ردنا على هذه المذبحة البشعة سيكون قاسياً مؤكداً أن إسرائيل «ستتحمل نتائج مجازرها في قانا».

وقال حزب الله في بيانه: إن العدو الصهيوني الذي أقدم بدم بارد على قتل المدنيين الأبرياء. يستمر في أكاذيبه وإدعاءاته لتبرير وحشيته. إلا أن هذا لن يعفيه من تحمل نتائج مجازره في قانا وغيرها كما وعدت المقاومة وعاهدت شعبها. كما حمل حزب الله في بيانه المجتمع الدولي مسئولية عدم التحرك. وأضاف في البيان أن هذه المجزرة الوحشية مفصل

خطير فإما أن تؤدى إلى ردود أفعال على العالم المتواطىء أن يتحمل مسئولياتها. لأن هذه المجزرة الرهيبة كغيرها لن تبقى من دون رد».

وفى الوقت نفسه. قالت مصادر أمنية. إن خمسة مدنيين لبنانيين، بينهم طفلان إستشهدوا فى غارة جوية إسرائيلية على منزل فى بلدة بارون الجنوبية. بعد الهجوم على قانا. وقال وزير الصحة اللبنانى محمد خليفة. : إن عدد قتلى الهجوم الإسرائيلى المستمر منذ ما يزيد على ٢٠ يوماً. إرتفع إلى حوالى ٧٥٠ قتيلاً.

وفى إطار العدوان الإسرائيلي المستمر على لبنان أعلنت متحدثة عسكرية إسرائيلية أن القوات الإسرائيلية. بدأت أمس فى توسيع نطاق عملياتها البرية فى جنوب لبنان. وقالت المتحدثة. أن القوات الإسرائيلية قتلت أمس ٥ من مقاتلى حزب الله. خلال توغل برى جديد بجنوب لبنان فى بلدة الطيبة.

فيما ذكرت مصادر أمنية لبنانية. أنه تحت غطاء من نيران المدفعية والغارات الجوية عبرت قوات إسرائيلية الحدود فى المطلة واتجهت صوب بلدة الخيام اللبنانية. وقالت الشرطة اللبنانية إن إشتباكات عنيفة وقعت بين عناصر حزب الله وجنود إسرائيليين، خلال عملية توغل برى فى منطقة إصبع الجليل.

ومن جانبها، أكدت المقاومة اللبنانية أن عناصرها تتصدى لأفراد القوة الإسرائيلية التى حاولت التسلل إلى منطقة الطيبة بجنوب لبنان.

وقالت المقاومة: إن رجالها يسيطرون بشكل عام على المنطقة ويلاحقون القوات الإسرائيلية التى تسللت إليها.

وأعلنت المقاومة أنه «فى إطار الرد على إعتداءات العدو الصهيونى الإرهابية على المدنيين الصامدين فى قراهم وبلداتهم. أطلق مجاهدو المقاومه دفعة من الصواريخ على مستوطنات كريات شمونة وكفر يوفال وميرنا يوخ. كما قصفت المقاومة مستوطنات سنير وكفر جلماد ودفنا. ودفعات جديدة من الصواريخ. فيما أعلنت الحكومة الإسرائيلية أن نحو ٣٣٠ ألفاً من سكان شمال إسرائيل. نزحوا عن ديارهم بسبب صواريخ حزب الله.

عدوان إسرائيل المتكرر يبطل
مفعول اتفاقيات السلام

لقد كان من مبررات إتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية تحرير الأراضى المصرية المحتلة واتخاذ خطوة أولى نحو تحقيق السلام الشامل والعادل فى المنطقة.

وحيث أن إسرائيل منذ ذلك الوقت لم تبد أى نية للسعى للسلام الشامل والعادل، حتى بعد ان اعترف الفلسطينيون بوجود إسرائيل وسلموا لها ٧٨٪ من أراضى فلسطين ظلت إسرائيل مستمرة فى إحتلالها وعدوانها مدعومة من الولايات المتحدة غير عابئة بمصر والرأى العام العربى والدولى.

وعلى ذلك وبما أن إسرائيل أثبتت أنها غير ملتزمة بتحقيق السلام على أساس من إعادة الحقوق العربية المشروعة ومن الواجب إعلان بطلان معاهدات السلام التى وقعت حتى الآن حيث إنها فقدت مبرراً من أهم مبرراتها.

وبما أن إسرائيل لا تهدد مستقبل السلام فقط ولكنها تهدد ما تحقق منه حتى الآن. فإن عدم تحرك الولايات المتحدة والدول الكبرى لإيقاف العدوان الإسرائيلى على فلسطين ولبنان فوراً وتحقيق السلام الشامل بإلزام إسرائيل بالجلاء عن جميع الأراضى العربية المحتلة فإن ذلك يعد تخلياً منها عن الشرعية الدولية التى هى مسئولة عن حمايتها فى هذه الحالة لا يعنى إلا أننا قد قبلنا بما تخطط له الولايات المتحدة من أن تكون إسرائيل هى الدولة المهيمنة وصاحبة النفوذ فى الشرق الأوسط. تهمين على الدول العربية جميعاً فى ظل سلام خادع ما هو إلا إستسلام مرفوض ومستنكر مهما كانت العواقب والتضحيات.

إن إسرائيل تتصرف على أساس أننا نحتمى فى إتفاقيات السلام. وأن السلام هو

إختيارنا الوحيد، علينا أن نثبت أننا قادرون على الإختيارات الأخرى وأننا متضامنون مع إخواننا العرب حتى لو اقتضى ذلك التخلى عن إتفاقيات السلام.

لمدة سنوات طويلة ظل المسؤولون العرب يحذرون من عواقب الغضب الأمريكى علينا واحتمالات الإجتياح الإسرائيلى إذا ما أظهرنا تبرماً من قيود السلام التى تقيدنا وحدنا دون إسرائيل.

وها هى مجموعة قليلة من أبطال هذه الأمة فى العراق ولبنان وفلسطين قد كشفت لنا هذا الوهم بعد هذه السنوات الطويلة من المراوغة والخداع الأمريكى الإسرائيلى باسم السلام.

وقد آن الأوان أن نقرر لأنفسنا مصيرنا.

الحروب الصليبية مستمرة

فى تعليقها على القصف الإسرائيلى الوحشى للبنان قالت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندا ليزا رايس إن ما نشهده الآن هو ميلاد شرق أوسط جديد، وهى زلة لسان تذكرنا بزلة لسان رئيسها بوش عند بداية غزو أفغانستان عندما وصفها بالحرب الصليبية الجديدة وحتى الآن لم تخرج أمريكا من مستنقع أفغانستان مثلما لم تتمكن حتى الآن من الخروج من ورطة العراق، وبدلا من أن تتعلم الولايات المتحدة من هذين الدرسين إذا بها تزل مرة أخرى وهذه المرة على لسان وزيرة الخارجية!

إن إعلان كونداليزا رايس عن شرق أوسط جديد ليس بالأمر الجديد علينا لأنه سلسة فى مسلسل السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط، وقد كان الإعلان ـ وعلى ما يدور فى ذهن السياسى الشرق أوسطى ـ محيرا للغاية لأنه من الناحية العلمية خطأ، ومن الناحية التكتيكية أثناء إدارة الأزمة فهو خطأ أيضاً، وإن كان بغرض التهديد بهز عروش وكراسى الحكم فهو خطأ أيضاً، ولكل الأسباب والدوافع يندرج تحت بند الخطأ الذى يوحى بأن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط باتت تقع تحت طائلة العشوائية، إما لسوء الفهم والإدراك لطبيعة المنطقة أو نقص فى المعلومات، وبالتالى خطأ فى التقييم وبالتالى فى التصرف.

* من الناحية التاريخية: فإن مفهوم الشرق الأوسط الجديد يأتى عكس حركة التاريخ والتى لا يوجد منطقة فى العالم بأسره مليئة بهذا الكم الهائل من الحوادث التاريخية والمتتالية والمتشابهة أيضاً والتى تعطى لأى دارس تاريخ أو فاهم لأدواته القدرة على الاستنتاج والاستنباط ثم القياس والاستدلال ومن هذه النقطة بالذات وقعت السياسة

الأمريكية فى خطأ الإعلان عن شرق أوسط جديد، فقد أتت إلى منطقة الشرق الأوسط دول وتيارات عاتية سابقة وبنفس قوة الولايات المتحدة مع مراعاة الزمن واختلاف التوقيت، ولكن متساوية من ناحية القدرة الهائلة على فعل ما تريد، وانتهى الأمر بهذه القوى أن تنوب فى نسيج هذه الأمة المتداعية أو المنهارة بمعيار الغرب، ولكن يجهل الكثيرون أن فى أعماق هذه الأمة شيئاً أقوى وأعمق بكثير من أى قوة بشرية عادية وهى قوة إلهية اختارت أن تكون هذه البقعة من العالم - وهى بالذات والتفرد أيضاً - مهبطاً لجميع الأديان السماوية دون غيرها من بقاع الأرض مكانا وعلى مختلف العصور والأزمان..

وهذه القوة ومهما بدا من مظاهرها من إخفاق أو إنحدار فهو فى القشرة الخارجية فقط، وهذا أغرى كثيراً من القوى والجحافل الهدارة بغواية الاجتياح نحو هذه المنطقة، ولكن سرعان ما تنوب هذه القوى عندما تصل إلى العمق الحقيقى والقوة الحقيقية التى وهبها الله لهذه المنطقة، فإذا بهذه القوة تنوب فى هذا النسيج الضعيف لتعيد تماسكه وتقوى قدراته وتحمل راياته وتدافع عنه بقوة وثوب جديد والأمثلة للتذكرة واضحة.

١ - قوة التتار وجحافلها، أتت إلى المنطقة وإذا بها تقتل وتحرق وتشرد المدن والبلدان بكاملها بقوة غاشمة وعاتية، وعندما وصلت إلى العمق الحقيقى والإلهى ذابت فى نسيج المنطقة المتداعى وأصبحت قوة مضافة إليه وألبسته ثوبا جديدا من القوة والمنعة وحملت الراية واتسع نفوذ وحدود المنطقة إلى مناطق أبعد وأعمق مما كانت عليه، والدليل التاريخى على ذلك أن التتار بعد أن حرقوا الكتب والمكتبات والمؤلفات العربية العظيمة وزلقوا بها وبالجثث فى نهر الفرات حتى قيل إنه امتلأ بها، ونفس هذه القوة ابتلعتها المنطقة وأسلم زعيمها «تيمور لنك» وكتب على باب قصره «العلم فريضة على كل مسلم» صدق رسول الله وبالعربية أيضاً!

٢ - الحملات الصليبية و- بعدها مع الفارق - الحلم العثمانى انتهت بنفس النتيجة ونفس النتيجة ونفس الآثار والأفعال.. ومن هنا كانت الدعوة نحو نظرة أعمق وأفضل للتاريخ ومعطياته ومنابعه ومرادفاته للقياس والاستدلال، وإلا ما فائدة المعلومات التى هى

أساس الأفكار والأفعال كما تقول النظريات العلمية الحديثة.. وننتهى إلى القول بأنها فعلا دعوة ينقصها الكثير وضد حركة التاريخ.

* من الناحية العلمية: إن الإعلان عن الشرق الأوسط الكبير هو إعلان خطأ أيضاً لأنه لم يع القدرة الفعلية لإمكانيات وطاقة الشعوب، وأيضاً أعود لأقول فى هذه المنطقة الخاصة من العالم ذات الطابع الخاص والمواصفات الخاصة والعمق المميز، فمهما كانت التيارات الحديثة والدعوة إلى الحضارة وحرية الرأى والتعبير واختيار الديانة والسلوك أيضاً حتى وإن كان مشيناً ويغطى بدعوى مسايرة التقدم والحضارة العربية والانسياق نحوها للتعلق بمسيرة التقدم وأدواته بعد انتشار الأقمار الصناعية والفضائيات، ومع ذلك فعندما يحين الأمر تجد كل هذه الظواهر قد اختفت وحل محلها التضرع إلى الله والتشبث بحبله المتين وتذوب النعرات والأطياف والطوائف فى بوتقة الوطنية وترى الشىء العجيب بعد ساعات فقط من سماع أول شريط من الأغانى الوطنية والدينية، لتعود المنطقة بثيابها البيضاء وتلتف حول قادتها وزعمائها مهما كانت العلاقة لتقوى من عزمها وتقف خلفها بنوع من التفانى ومبدأ نكون أو لا نكون وهكذا أمرنا الله..

إذاً المبدأ المعلوماتى بأن ما تم بثه من أفكار حديثة، أصبغ العمق بصبغة غربية تطيح معها بالثوابت والاعتقادات، هو مبدأ خاطىء لم يراع العمق التاريخى وتنقصه المعلومة الصحيحة عند التطبيق.

* من الناحية التكتيكية: فإن الدعوة إلى الشرق الأوسط الكبير خطأ أيضاً أثناء إدارة الأزمة لأنه جاء وسط يقظة علمية ومتانية ومتأملة من علماء ومستشارين وصناع القرار وأيضاً من الحكام بأنه سلسلة من مسلسل التهديد والوعيد للحكام والساسة العرب، إما أن تكونوا معنا وإما أن تصبحوا هدفاللإطاحة ونأتى بقوم غيركم يسبحون بحمدنا ويقدسون لنا وهذا نوع من الشرك، ومحاولة للاشتراك فى القدرة الإلهية وبالتالى الكفر السياسى والدينى والذى يؤدى إلى الخطأ الفادح.. وليس هنا عودة للتاريخ البعيد ولكن الأحداث القليلة السابقة فى الشرق بداية من الهلال الخصيب ثم حلف بغداد ثم الحلف الإسلامى ثم الشرق الأوسط الكبير ثم الشرق الأوسط الجديد، وكلها مسميات

أشعرتنا بالإحباطات الأمريكية والغربية فى المنطقة بعكس الفرض منها كما وضعها خبراء السياسة الأمريكية فلم تكن تهديدا بل تذكيرا لنا.

* أما من الناحية السياسية: كيف ينجح الشرق الأوسط الجديد ومخاضة الغريب وسط سياسة لى الذراع، أو كما قال بعض الساسة تكسير العظام بين فرنسا والجزائر، ففرنسا أعلنت عن طبيعة مرض الرئيس بوتفليقة ونشرته وهو مخالف للقواعد والأصول المهنية والدولية أثناء علاجه بفرنسا كنوع من الضغط لكى تحصل فرنسا على اتفاق تعاون استراتيجى جديد مع الجزائر يتيح لها المزايا بالاستفادة من الإمكانيات الجزائرية الجديدة فى النفط والغاز، لكن الجزائر أرادت أن تقول إن الزمن تغير وطالبت بأن تكون الاتفاقية على صفحة بيضاء بإعلان فرنسا الاعتذار الرسمى عن فترة الاحتلال السابقة ولكن فرنسا رفضت ذلك.

ثم إخفاق السياسة الأمريكية فى العراق من بحث عن أسلحة الدمار الشامل ثم من أجل الديمقراطية، ثم أبو غريب وبعقوبة والأنبار وما يحدث فيها. ثم مسلسل إسرائيل المدعومة أمريكيا فى غزة والأراضى المحتلة وما يحدث فى الصومال ثم السودان وتوابعه، انتقالا إلى سوريا ووضعها فى قائمة الإرهاب والضغوط السياسة والحصار الاقتصادى ثم ما حدث مع ليبيا طيلة أربعة عشر عاما.

إن عودة وزيرة الخارجية الأمريكية إلى المنطقة ثلاث مرات خلال عشرة أيام هو تسلسل طبيعى لسوء التقدير وفارق الإمكانيات المعلوماتية عن طبيعة تركيبة المنطقة الشرق أوسيطة وعمق وقدرة إمكانياتها الشعبية، فقد كانت التغييرات يكفى أن تصدر من سفير أو مساعد لوزير الخارجية الأمريكى فيتم المراد، ثم تصاعدت الوتيرة لتأتى التصريحات على لسان وزيرة الخارجية، ثم أتت إلى المنطقة آمرة ومتوعدة بشرق أوسط جديد ولكنها تعود هذه المرة، والطبيعى أن تعود بشكل مبتسم وصبوح ومعها بعض الوعود البراقة، فنرجو أن تكون أدركت أنه ليس من السهل ولادة شرق أوسط جديد لم يأت مخاضه، فهذا الشرق الجديد لم يأت بطريقة شرعية ولم يكن نابعا من المنطقة وطبقا لإرادة شعوبها ورضاها وبميزان العدل وتوافق النواميس الطبيعية.

إنها أحداث متتالية ومتسارعة وغريبة لا تبشر بترحاب وبشرى على مستوى الوطن العربى نحو شرق أوسط جديد.

إذا أرادت كوندى شرقا جديداً بالقهر والعدوان فلن يخلف خلفه سوى نحس اليوم وعار التستر وشؤم الهزيمة، ولكن لو تحررت مزارع شبعا والضفة وغزة والجولان فسيخلق شرق جديد ليس فيه سادة وعبيد.

مجازر قانا «كلاكيت تانى مرة»

* لم تكن قانا التى راح ضحيتها ٦٠ قتيلا غالبيتهم من الأطفال والنساء هى الأولى من نوعها.. فقد سبقها منذ عشر سنوات مذبحة قانا الأولى. عشر سنوات كاملة تفصل بين وقوع مذبحة قانا ٩٦ والمذبحة الدامية الأخيرة التى راح ضحيتها على الأقل وحتى مثول «اخر ساعة» للطبع ما لا يقل عن ٥٧ قتيلا غالبيتهم من النساء والأطفال «٣٧ طفلا» فيما لا يزال عشرون طفلا تحت الأنقاض فى هجوم للقوات الإسرائيلية استهدف مبنى مكونا من ثلاثة طوابق على قرية قانا بجنوب لبنان فى أشد الهجمات ضراوة منذ بدء العدوان الإسرائيلى الغاشم على لبنان وبما أعاد للأذهان تفاصيل مذبحة «قانا» ٩٦ والتى استهدفت مدنيين فى الجريمتين، ووقعت فى ١٨ إبريل قبل عشر سنوات.

فقبل عشر سنوات لقى ١٠٥ من المدنيين العاملين فى قوات الطوارئ الدولية مصرعهم بعد عشرات الغارات على قانا، وتسبب إصدار تقرير الأمم المتحدة حول مذبحة قانا الأولى فى عدم التجديد للدكتور بطرس بطرس غالى لفترة ولاية ثانية.

استدعى أحمد أبو الغيط وزير الخارجية بعد عودته من زيارة قصيرة إلى دمشق السفير الإسرائيلى بالقاهرة شالوم كوهين لإبلاغه الغضب المصرى الشديد والإدانة الكاملة لعملية القصف الإسرائيلى للمدنيين فى لبنان والذى أسفر عن استشهاد عدد كبير من الأطفال والنساء والمدنيين فى قانا. وحمل أبو الغيط الحكومة الإسرائيلية المسئولية الكاملة لما حدث فى قانا، مشدداً فى هذا السياق على ضرورة الوقف الفورى لإطلاق النار وجميع العمليات العسكرية، ومطالباً المجتمع الدولى بسرعة التدخل من أجل وقف التدهور فى الأوضاع وإنقاذ شعب لبنان من كارثة إنسانية تحدث به نتيجة رفض إسرائيل قبول وقف إطلاق النار للسماح بمرور المساعدات ومعونات الإغاثة.

كما استدعى أبو الغيط وزير الخارجية السفير الأمريكى بالقاهرة فرانسيس ريتشاردونى حيث تم إبلاغه بضرورة التحرك من أجل وقف العدوان الإسرائيلى وأهمية نهوض الولايات المتحدة بمسئولياتها فى وقف إطلاق النار فوراً، وحمل أبو الغيط السفير الأمريكى رسالة شفهية إلى وزيرة الخارجية الأمريكية المتواجدة فى إسرائيل بهذا المعنى.

فى أعقاب الغارة الأخيرة أكد أحد الناجين الخمسة فقط ويدعى غازى العريبى أن أغلب الضحايا من عائلتى شلهوب وهاشم، وأكد أن القصف الأول وقع فى الواحدة فجرا ضد الملجأ فخرج بعض الأشخاص منه وبعد عشر دقائق وقعت الغارة الثانية التى دمرت المكان بالكامل.

أما رباب فأكدت أنها أخرجت ابنها وزوجها الشيخ محمد الذى كان جريحا وعندما عادت لإخراج ابنتها انهار الملجأ ولا تزال ابنتها تحت الأنقاض، وأضافت أن عمليات القصف أدت لتغطية المنطقة بالكامل بسحب الغبار وحجبت الرؤية.

وقد توالت ردود الأفعال عقب وقوع المذبحة التى استهدفت دماء الأطفال والنساء والمدنيين رفضت لبنان استقبال وزيرة الخارجية الأمريكية، «رايس» والتى اكتفت بالإعراب عن أسفها، وعادت بخفى حنين وأولمرت الى نيويورك وبعدما سالت دماء الأبرياء من الأطفال الشهداء طالبت بعد فوات الأوان بأنه يجب وقف إطلاق النار.

وحيا الرئيس اللبنانى «إميل لحود» الصامدين فى قانا قائلاً إنها أول مرة تصمد قوة صغيرة فى بلد صغير مثل لبنان فى مواجهة إسرائيل، وأعلن رئيس الحكومة اللبنانية فؤاد السنيورة أن لبنان يرفض المفاوضات قبل وقف إطلاق النيران، فيما أدان العاهل الأردنى الملك عبد الله الهجوم ووصفه بأنه جريمة بشعة تنتهك كافة المواثيق الدولية..

فيما دعا البابا بنديكت السادس عشر إلى وقف فورى لإطلاق النيران، ووصف الرئيس الفرنسى جاك شيراك الحادث بأنه «مروع للغاية».

أما حزب الله فلقد توعد بالثأر وأن هذه المجزرة لفعل خطير وكبير، وأكد أن المجزرة الرهيبة كغيرها لن تبقى دون رد.

وبدموع التماسيح أكد رئيس الوزراء الإسرائيلى «إيهود أولمرت» أن إسرائيل لن تقبل بوقف إطلاق النار حتى بعد قصف قانا ودافع أولمرت عن المجزرة الإسرائيلية قائلا: إن إسرائيل طلبت من سكان قانا بجنوب لبنان مغادرة المكان قبل أن تشن غارة هناك ونفى علم إسرائيل بوجود مدنيين داخل قانا، وهو الأمر الذى فنده الرئيس اللبنانى «إميل لحود» مؤكدا أن أولمرت كان يعلم بوجود مدنيين فى قانا.

وحاول أولمرت تبرير المجزرة الوحشية بقوله إن قانا ومحيطها كانت مصدرا لإطلاق الصواريخ على مدن الشمال الإسرائيلى، وزعم أن حزب الله أطلق عشرات القذائف من أرض قانا.

وأبدى أولمرت أسفه العميق لمقتل مدنيين أبرياء، وأضاف: إن إصابة الأبرياء بعيدة كل البعد عن روحنا وطريقتنا فى التفكير، كما تعارض تماما مصالحنا بحسب مزاعمه الكاذبة والمتناقضة مع نفسها.

ويبدو أن أولمرت بالمذبحة المروعة التى ارتكبها يحقق رغبة الحاخامات اليهود باستباحة دماء الأطفال والأبرياء والمدنيين والتى صدرت قبل نحو أسبوعين.

وحتى الآن أسفرت عمليات العدوان الإسرائيلى على لبنان إلى استشهاد ٧٥٠ لبنانيا غالبيتهم من المدنيين، وإصابة أكثر من ١٨٠٠ شخص، ونزوح ما يزيد على ٨٠٠ ألف شخص، بالإضافة إلى تدمير بنية تحتية تقدر قيمتها بأكثر من مليارى ونصف مليار دولار، كما نزح نحو ٣٣٠ ألف إسرائيلى من شمال إسرائيل هربا من صواريخ المقاومة اللبنانية.

دماء أطفال لبنان البريئة تصرخ لتطالب بمحاسبة المسئولين عن إسالة دمائهم الطاهرة فى قانا، واتخاذ موقف رادع ضد العربدة الإسرائيلية، ومحاكمة السفاحين.

علاء مطر

اللواء صلاح سليم:

أمريكا تحارب مع إسرائيل في لبنان ولا تكتفي بدعمها

«ما بعد حيفا» مرحلة جديدة تدخلها الحرب اللبنانية الإسرائيلية.. يبدو فيها حزب الله أكثر صموداً أو استمراراً وإصراراً على المقاومة، وهو ما دفع إسرائيل للانسحاب من قرى مارون الراس وبنت جبيل وتلة مسعود، وإن كان البعض يرى أن هذا الانسحاب ما هو إلا إجراء تكتيكى تتبعه هجمة شرسة لتحقيق الهدف الأكبر فى القضاء على حزب الله.

التخوف من التصعيد الإسرائيلى المتوقع يقابله ثقة فى إرادة المقاومة اللبنانية وقدرتها على مواصلة الصمود وإلحاق مزيد من الخسائر بدولة الإرهاب الإسرائيلية.

فى محاولة لإلقاء مزيد من الضوء على ما يجرى على الساحة اللبنانية وقراءة مشاهد الحرب بعين خبيرة كانت هذه الرؤية للخبير الإستراتيجى اللواء صلاح الدين سليم.

* ما هو السيناريو المتوقع لمرحلة ما بعد حيفا.. كيف ستكون مشاهد المعركة فيها؟!

– حتى الآن فشلت إسرائيل فى تحقيق اختراقات برية مؤثرة لشريحة الجنوب اللبنانى بعمق ٢٠ كيلو متراً شمال الخط الأزرق وجنوب نهر الليطانى نتيجة فداحة الخسائر فى الأرواح فضلاً عن الخسائر المادية «دبابات ومدرعات» ومن ثم لجأت

إسرائيل إلى إجراء انسحاب تكتيكي مؤقت من بعض المواقع فى مثلث مارون الراس وبنت جبيل وتلة مسعود لكن هذا لا يعنى أنها ستتوقف عن الاختراق البرى، فهى تستعد لزيادة حجم قواتها وشن هجوم جديد لتنفيذ الاختراق البرى، ومن ثم تعمل على زيادة لواءات المشاة من أربعة لواءات مدرعة إلى ثمانية لواءات مشاة مدرعة، وربما تقوم خلال يومين بمعاودة الاختراق وإن كان من المتوقع ألا تستخدم مجموعات كتائب مدعمة، وإنما تستخدم لواءات مدعمة ليكون اختراقها أعمق، ومن المتوقع أيضاً استمرار القصف النيرانى بالطيران والمدفعية والصواريخ أرض ـ أرض بهدف تدمير بعض مواقع حزب الله فى الجنوب اللبنانى وإلى عمق يصل إلى ٧٠ كيلو متراً إلى جانب الاستمرار فى قصف قرى الجنوب لتهجير من بقى فيها من أهلها، ومعروف أن أكثر من ٣/٤ سكان الجنوب فروا من ديارهم نتيجة التركيز النيرانى على منطقة الجنوب فى المرحلة الحالية من العمليات.

واستعداداً للمعركة القادمة رفعت إسرائيل حجم استدعاء الاحتياطى من ١٢ ألفاً إلى ٣٠ ألف جندى، وهو ما يعنى أن هناك تصميماً من إسرائيل على استئناف العمليات ضد حزب الله، وربما القيام بعمل عسكرى محدود ضد بعض المواقع السورية الملاصقة للبقاع الشرقى فى لبنان.

* لكن هناك من يستبعد قيام إسرائيل بفتح جبهة ثالثة مع سوريا الآن؟!

ـ أنا قلت إن هناك احتمالا للقيام بعمل عسكرى محدود وفى شريحة من الأراضى السورية الملاصقة لسهل البقاع الشرقى وهو احتمال قائم ولا يجب إسقاطه حتى لا نفاجأ به، وهو ما يتطلب القيام بموقف عربى واضح وموحد يرفض توسيع نطاق الاشتباكات ويطالب بحسم بوقف إطلاق النار الفورى بوسيلة عملية.

* ما هو رد فعل المقاومة اللبنانية المتوقع؟

ـ حزب الله فى مواجهة هذا التحول الإسرائيلى سيعمل على تركيز عملياته، وعلى الاستعداد للغزو البرى من الجنوب بأحجام أكبر بالقوات الميكانيكية والمدرعة، ومن ثم نراه قد أجرى درجة من درجات التصعيد لإصابة العمق الاستراتيجى بالتحول من

استخدام المدفعية الصاروخية وحدها إلى استخدام صواريخ أرض أرض، وهو لم يستخدم بعد الصاروخ «زلزال» وإنما استخدم على الأرجح - صواريخ رعد، ولا يزال استخدام هذه الصواريخ من قبل حزب الله دون الكثافة المطلوبة، فهذه الصواريخ برأسها المحدود (مائة كيلو جرام أى حوالى ٢٥٠ رطلا) وهى تحتاج لتركيز أعلى فى الاستخدام وأن تطلق فى قصفات جماعية من ٩ إلى ١٢ صاروخاً ضد نفس الهدف لإحداث دمار مؤكد.

لكن على وجه العموم يمكن القول إن حزب الله نجح حتى الآن فى الاستمرار فى بث الرعب والتأثير السيكولوجى على إسرائيل وكان من الممكن زيادة هذا التأثير لو دعمته حركة مؤازرة من المجتمع المدنى العربى.

وفى رأيى أيضاً أن الحكومات العربية تستحق اللوم لرفضها التهديد بإجراءات جماعية لعدم التزام إسرائيل بتوقيت لوقف إطلاق النار.

* فى ضوء الموقف العربى والحشد الإسرائيلى والدعم الأمريكى إلى أى مدى يمكن أن يستمر حزب الله فى المقاومة؟

- إذا استمر الموقف العربى واستمر الخلاف الدولى حول توقيت وقف إطلاق النار، فمن المتوقع أن تعاود إسرائيل هجومها البرى وبكثافة أعلى للاختراق، لكن هذا لا يعنى أن حزب الله سيتوقف عن المقاومة بشكل سريع فهو يملك القدرة على القتال لأسابيع طويلة ممتدة، وهو لم يضع الوقت هباءً إنما أعد رجاله منذ مايو ٢٠٠٠ وهو يملك وسائل أخرى يمكن أن تحدث تأثيراً خطيراً فى العمق الإسرائيلى، ويستعد لخوض مواجهة حقيقية مع إسرائيل، وبإمكانه البدء فى غارات حقيقية ضد مناطق حشد القوات الإسرائيلية جنوب الخط الأزرق. ومن يفترض سقوط حزب الله خلال أيام أو حتى أسابيع فهو واهم.

وأحب أن أؤكد هنا على أن دور أمريكا فى هذه الحرب ليس مجرد دعم لإسرائيل، والأدق والصحيح أن هناك حرباً أمريكية إسرائيلية ضد الشعب اللبنانى وضد حزب اللة وليست مجرد حرب إسرائيلية مدعومة أمريكياً ومن لا يعترف بذلك فهو إما ساذج

سياسياً أو جاهل إستراتيجياً.. فأمريكا تقوم باعتماد خطط العمليات ونقل الذخائر والأسلحة الذكية من قاعدة خور العيديد القطرية مباشرة إلى المطارات الإسرائيلية ومن القواعد الاسكتلندية والبريطانية إلى القواعد الإسرائيلية، كما تقوم أجهزة المخابرات الأمريكية بإعطاء كافة صور الأقمار الصناعية إلى إسرائيل لتستكمل تدميرها للبنان وتركيعها ولتجعل من إسرائيل القوة الإقليمية الأولى فى المنطقة.

وفى الواقع ـ كما قال الرئيس مبارك ـ إن تصرفات الولايات المتحدة فى الحرب الحالية تحتاج لمراجعة وفى رأيى أنه آن الأوان للتفكير الجدى فى إعادة التوازن المفقود فى العلاقات المصرية ـ الأمريكية والذى يصب فى صالح أمريكا وليس فى اتجاه المصالح المشتركة.

* هل تراهن على نجاح التحرك الدولى فى التوصل لقرار لوقف إطلاق النار أم الفشل؟

ـ التحرك الدولى ينصب بالدرجة الأولى الآن فى اتجاه تشكيل قوة فرض سلام طبقاً للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة للتمركز على الحدود اللبنانية الإسرائيلية فهو يريد فقط أن تتمركز هذه القوة كى تفرض وقف إطلاق النار لمحاولة تنفيذ القرار ١٥٥٩ الخاص بنزع سلاح حزب الله مع أنه من الأجدر أن يتم الحديث عن نزع سلاح جميع الميليشيات اللبنانية. وأن يتم مناقشة جميع القضايا المتعلقة بالملف اللبنانى ومنها قضية اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان والذين يصل عددهم إلى ٤٥٠ ألفاً. ومن هنا تقع المسئولية على الطرفين المصرى والسعودى لإثارتها وعدم الاكتفاء فقط بمجرد الدعوة لوقف إطلاق النار والحديث عن قضية مزارع شبعا وتلال كفر شوبا فضلاً عن بحث إمكانية تعويض لبنان عن الخسائر التى تكبدتها جراء الحرب الشرسة التى شنتها إسرائيل والتى يجب ألا تفلت من العقاب على ما ارتكبته من جرائم حرب.

* بحساب المكسب والخسارة هل يمكن اعتبار حزب الله نجح حتى الآن فى المعركة؟

ـ نعم حزب الله نجح.. وهو يذكرنى بجيش مصر عام ١٩٧٣ فهو علامة الضوء فى

التاريخ العسكرى وتاريخ الصمود الوطنى والقومى فى العالم العربى، جيش مصر ٧٣ وحزب الله ٢٠٠٦.. دليل الانتصار فإسرائيل خططت لهذه الحرب منذ ٢٠٠١ واعتمدها شارون بصورة نهائية ٢٠٠٥، هى إذن عملية متعمدة ومقصودة وما قام به حزب الله مقاومة وليس مغامرة.

* يخشى البعض من وقوع حرب أهلية إذا ما استمر التصعيد الإسرائيلى ضد لبنان؟

- لن تقوم حرب أهلية فى لبنان حتى لو اختلف بعض ساساتهم مع أهل الجنوب فأغلبية الشعب اللبنانى (٩٠٪ منه) لديه الرغبة فى الثأر القومى.. وعلينا أن نثق بأن إسرائيل تدفع الثمن باهظاً وهى خسرت كثيراً. أيضاً وستدفع الولايات المتحدة الثمن.



فهرس المحتويات

الفهـــرس